جامعة قطر
كليّة الشريعة والدراسات الإسلامية

أثر آيات الوعد والوعيد في التربية الأخلاقية

إعداد

الطالبة مؤمنه خضر عبدالله تايه

قُدّمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلّبات
كليّة الشريعة والدراسات الإسلامية
للحصول على درجة الماجستير في

التفسير وعلوم القرآن

يونيو 2018م/ رمضان 1439هـ

©2018. مؤمنه خضر عبدالله تايه. جميع الحقوق محفوظة.

لجنة المناقشة

استُعرضت الرسالة المقدّمة من الطالبة مؤمنه خضر عبدالله تايه بتاريخ 2018/05/08، وَوُوفِق عليها كما هو آتٍ:

نحن أعضاء اللجنة المذكورة أدناه، وافقنا على قبول رسالة الطالب المذكور اسمه أعلاه . وحسب معلومات اللجنة فإن هذه الرسالة تتوافق مع متطلبات جامعة قطر، ونحن نوافق على أن تكون جزءًا من امتحان الطالب.

_____

أ.د. حسن عبيد الغرباوي

المشرف على الرسالة

_____

أ.د. عبد الجبار سعيد

مناقش

_____

أ.د. محمد أيدين

مناقش

_____

تمّت الموافقة:

_____

الدكتور إبراهيم عبد الله الأنصاري، عميد كلّيّة الشريعة والدراسات الإسلامية

المُلخَّص

مؤمنة خضر عبدالله تايه ، ماجستير في التفسير وعلوم القرآن:

[يونيو] 2018.

العنوان: آيات الوعد والوعيد وأثرها في التربية الأخلاقية.

المشرف على الرسالة: أ.د. حسن عبيد الغرباوي.

تتلخص فكرة هذا البحث في أن آيات الوعد والوعيد في القرآن الكريم عرضت منظومة كاملة من الأخلاق التربوية، للشخصية الإسلامية المؤمنة، فحثت علي التحلي بها، بأسلوب مؤثر، ومقنع، يخاطب العقل والقلب معاً، فتحدث في نفس المتلقي التأثير المشجع، على التحلي بأخلاق الذين آمنوا وعملوا الصالحات، واتخاذها منهجاً حياتياً، وبالتالي تعود بالخير على الفرد المسلم، وعلى المجتمع الذي يحيا فيه.

وقد تم تقديم هذا البحث من خلال: مقدمة، وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة، على النحو التالي:

أما المقدمة فقد ذكرت فيها أسباب اختيار الموضوع، وأهمها: إرضاءً لله تعالى، بتقديم عمل علمي نافع، في مجال الدعوة والتربية، ونيلاً لشرف المساهمة في عملية التنظير، والتخطيط، والتطبيق، للأخلاق التربوية، في الميدان التربوي، مع الشعور بالحاجة إلى معرفة أثر آيات الوعد والوعيد في التربية الأخلاقية، وذكرت فيها منهجي في البحث، وخطته.

والتمهيد فقد بحثت فيه عن المعنى اللغوي، والاصطلاحي، لمصطلحات الدراسة، وهي: الوعد– الوعيد– التربية– الأخلاق، وورودها في القرآن الكريم.

أما الفصل الأول فقد استقرأت فيه آيات الوعد والوعيد، وجمعت أهم ما فيها من أخلاق إيجابية، للذين آمنوا وعملوا الصالحات، والتي رغبت فيها الآيات، وأهمها: خلق الصدق، والإحسان، والتوكل على الله، والعفاف، والتواضع، والإنفاق في سبيل الله، والعدل، وأهم الأخلاق السلبية للذين كفروا وصدوا عن سبيل الله، والتي حذرت منها الآيات، وأهمها: خلق الكذب، والفساد، والتبعية الجاهلية، الفحش والمنكر، الكبر، البخل والظلم، وقد تم تقديمها باعتبارها أهدافاً تربوية، ينبغي العمل على فهمها وإدراكها، وتطبيقها.

والفصل الثاني فقد استنبطت وجمعت فيه الأساليب الأدبية، والإقناعية، لآيات الوعد والوعيد في التربية الأخلاقية، وهي: أسلوب الحوار، والقصة، وضرب الأمثال، والقدوة الحسنة أو السيئة، والعبرة والموعظة الحسنة، والترغيب والترهيب.

أما الفصل الثالث والأخير من فصول الرسالة فقد استنتجت فيه أهم الآثار التربوية لآيات الوعد والوعيد على الفرد والجماعة.

وخاتمة البحث، لخصت فيها أهم النتائج التي توصلت لها من خلال فصول الرسالة، كما قدمت فيه بعض التوصيات، للباحثين، والعاملين في مجال التربية.

شكر وتقدير

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.

الحمد لله الذي وهبني النعم المعينة على طلب العلم وشرفني به، والصلاة والسلام على النبي محمد –صلى الله عليه وسلم– معلمنا وقدوتنا.

اعترافاً بفضلهم علي خلال مراحل حياتي وتعلمي أشكرهم وكلي امتنان لهم:

والداي الغاليان، أحبتي زوجي وأبنائي، إخواني وأخواتي، معلمي الأعزاء، وآخرون ساعدوني وساهموا في تعليمي وتعليم الكثيرين، وكل من شارك في تعليم الأجيال بعمل أو مال أو قرار أو دعاء، وآخرون لا نعلمهم ولكن الله يعلمهم.

أرجو الله أن تكون جهودكم قد أثمرت وأن تروني منتجا صالحاً استحق منكم جهدكم المبذول.

لهؤلاء جميعا أقدم شكري تقديري وأقول: جزاكم الله عني كل خير وجعل طلبي للعلم في ميزان حسنتاكم ونفع الله بكم، ووفقني معكم إلى تقديم المزيد إنه أهل ذلك وهو القادر عليه.

فهرس المحتويات

شكر وتقدير ..... هـ

المقدمة 1

الفصل التمهيدي: مصطلحات الدراسة: الوعد–الوعيد–التربية–الأخلاق **13**

المبحث الأول: معنى الوعد والوعيد 14

المطلب الأول: الوعد والوعيد لغة واصطلاحا *14*

المطلب الثاني: ورود كلمتي الوعد والوعيد في القرآن الكريم 16

المبحث الثاني: معنى التربية الأخلاقية 20

المطلب الأول: التربية الأخلاقية لغة واصطلاحاً *20*

المطلب الثاني: ورود لفظ التربية في القرآن الكريم *24*

المطلب الثالث: ورود لفظة الأخلاق في القرآن الكريم *25*

الفصل الأول: أهداف آيات الوعد والوعيد في التربية الأخلاقية **29**

المبحث الأول: أهداف آيات الوعد والوعيد في التربية الأخلاقية في الدعوة إلى أخلاق المؤمنين 30

المطلب الأول: خلق الصدق *31*

المطلب الثاني: خلق الإحسان *36*

المطلب الثالث: خلق التوكل على الله *42*

المطلب الرابع: خلق العفاف *46*

المطلب الخامس: خلق التواضع *51*

المطلب السادس: الإنفاق في سبيل الله *55*

المطلب السابع: خلق العدل *59*

المبحث الثاني: أهداف آيات الوعد والوعيد في التربية الأخلاقية في التنفير من أخلاق الكافرين 68

المطلب الأول: خلق الكذب *69*

المطلب الثاني: خلق الفساد 74

المطلب الثالث: التبعية الجاهلية..... 79

المطلب الرابع: خلق الفحش والمنكر..... 83

المطلب الخامس: خلق الكبر..... 89

المطلب السادس: خلق البخل 93

المطلب السابع: خلق الظلم 98

الفصل الثاني: أساليب آيات الوعد والوعيد في التربية الأخلاقية..... 107

المبحث الأول: الأساليب الأدبية في آيات الوعد والوعيد في التربية الأخلاقية.....108

المطلب الأول: أسلوب الحوار.....109

المطلب الثاني: أسلوب القصة 118

المطلب الثالث: أسلوب ضرب الأمثال 127

المبحث الثاني: أساليب الإقناع في آيات الوعد والوعيد وأثرها في التربية الأخلاقية.....137

المطلب الأول: أسلوب القدوة والأسوة الحسنة أو السيئة.....137

المطلب الثاني: أسلوب العبرة والموعظة 143

المطلب الثالث: أسلوب الترغيب والترهيب 153

الفصل الثالث: أثر آيات الوعد والوعيد في التربية الأخلاقية على الفرد والجماعة 168

المبحث الأول: أثر آيات الوعد والوعيد في التربية الأخلاقية على الفرد.....169

المطلب الأول: كمال الإيمان 169

المطلب الثاني: الوصول لأعلى الدرجات في الجنة.....173

المطلب الثالث: اكتساب محبة الله ثم محبة العباد 178

المطلب الرابع: السكينة والاطمئنان القلبي.....181

المبحث الثاني: أثر آيات الوعد والوعيد في التربية الأخلاقية على الجماعة.....186

المطلب الأول: الولاء والبراء، والمودة بين أفراد المجتمع المؤمن.....186

المطلب الثاني: الدعوة لدين الله بالقدوة الحسنة 190

المطلب الثالث: تحقيق المساواة ووحدة الصف 195

المطلب الرابع: تحقيق التكافل الاجتماعي.....200

الخاتمة 209

نتائج البحث 209

التوصيات 210

قائمة المصادر والمراجع 213

المراجع باللغة العربية:.....213

المقدمة

إن الهداية للصراط المستقيم، والعقيدة الصحيحة، والأخلاق الرفيعة، والعلم المصدق بالعمل، كلها مقاصد قرآنية عامة، والجزاء والعقاب في الدنيا ثم في الآخرة، هما العاقبة المرتبطة للالتزام بهذه المقاصد.

ولأن القرآن الكريم كتاب هداية وبيان؛ فقد بين لنا العقيدة السليمة والعبادة الصحيحة، ومعايير التعامل والأخلاق الرفيعة، التي ينبغي توفرها في الشخصية المسلمة، لتنال ثواب الله الذي أعده لعباده، الذين وصفهم في آيات كثيرة، بأنهم الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وفي المقابل فإنه حذرنا من شخصية الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله، بأبعادها المختلفة.

قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ (32) جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ (33) وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ (34) الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ (35) وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ (36) وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ (37)﴾ (سورة فاطر: 32-37).

وقد كان الاختيار لموضوع أثر آيات الوعد والوعيد في التربية الأخلاقية؛ من حيث أنها تمثل الثواب والعقاب الذي تخاطب به النفس البشرية، فمن الخطوط المتقابلة في النفس: الخوف والرجاء، والدوافع والضوابط، وبين هذا وذاك فإن آيات الوعد والوعيد، فيها حث للنفس التواقة،

لتحقيق المعايير السامية، التي تضبط السلوك البشري وترتقي به، وتحذر من الطبائع السلبية، التي تبعد عن الصراط المستقيم، فعندما تكون العواقب واضحة، تتكون لدى الإنسان الحرية الواعية، للاختيار بين طريق الخير، وطريق الشر.

لذا فقد جاء هذا البحث استجابة من الباحثة لدعوات القرآن الكريم المتكررة للتدبر والتبصر في هداياته، والتفاعل مع آياته لفهم غاياته المرادة وأبعاده المصرح بها للشخصية المسلمة المطلوبة لنكون بحق خير أمة أخرجت للناس.

أهمية الموضوع:

يعد موضوع أثر آيات الوعد والوعيد في التربية الأخلاقية، ضرورياً وهاماً، لأهمية المحاور التي يعالجها والتي ترتبط بالدرجة الأولى بإعداد جيل قرآني إيجابي قادر على حمل أعباء الرسالة والنهوض بالأمة، ومن هنا ظهرت أهمية هذا الموضوع والتي تتمثل في الآتي:

1. ضرورة أن يفهم المربون من معلمين وآباء أهداف التربية الأخلاقية لآيات الوعد والوعيد، لما لها من دور في ضبط وتوجيه سلوك المؤمن لتزكية نفسه والترقي بها في معارج الكمال الإنساني.

2. إدراك السمات الأخلاقية الأساسية للشخصية الإسلامية، والمعايير الأخلاقية، التي ينبغي التحلي بها، لتحقيق الحياة الطيبة للمجتمع المسلم، في الدنيا واستحقاق ثواب الله في الآخرة، والفوز بالجنة، والنجاة من النار.

3. حاجة الساحة المعرفية الإسلامية، للاستفادة من المنهج القرآني في التربية الأخلاقية، المراعي لفطرة الرجاء والخوف، وتوجيه الناشئة للتحلي بالأخلاق الإيجابية التي تعين الأمة أفراداً وجماعات على التحلي بالأخلاق المميزة للأمة الإسلامية.

أسباب اختيار الموضوع:

أولاً: الأسباب الذاتية:

1. إرضاءً لله تعالى بتقديم عمل علمي نافع في مجال الدعوة والتربية.

2. نيلاً لشرف المساهمة في عملية التنظير والتخطيط والتطبيق للأخلاق التربوية في الميدان التربوي.

3. استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن.

4. اهتماماً شخصياً من الباحثة بدراسة القيم والأخلاق التربوية الإسلامية المستنبطة من كتاب الله تعالى وتقديمها في صورة مبسطة واضحة للقائمين على العملية التعليمية التربوية من مربين ومعلمين ومهتمين.

ثانياً: الأسباب الموضوعية:

1. الحاجة إلى معرفة أثر آيات الوعد والوعيد في التربية الأخلاقية.

2. الحاجة لمعرفة أهداف ومعايير التعامل والأخلاق الرفيعة التي ينبغي توفرها في الشخصية المسلمة، كما تعرضها آيات الوعد والوعيد في القرآن الكريم.

3. الحاجة لإدراك الأساليب التربوية العملية المعينة على تطبيق أخلاق الذين آمنوا وعملوا لصالحات والالتزام بها.

4. الحاجة لإدراك الأساليب التربوية العملية المعينة على التنفير من أخلاق الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وتجنبها.

5. الحاجة إلى معرفة وفهم الآثار الإيجابية لآيات الوعد والوعيد على الفرد وعلى الجماعة المسلمة.

أهداف البحث:

تهدف هذه الدراسة لتحقيق مجموعة من الأهداف، هي:

1. استنباط الأهداف المتضمنة في آيات الوعد والوعيد في مجال التربية الأخلاقية.
2. بيان الأساليب المؤثرة لآيات الوعد والوعيد لتحقيق أهدافها.
3. التأكيد على أن لآيات الوعد والوعيد آثاراً إيجابية على الفرد المؤمن والجماعة المؤمنة.
4. تقديم إطار نظري شامل يوضح خريطة الأهداف لآيات الوعد والوعيد لتشكيل الشخصية المسلمة المنشودة، المحققة لهدف استخلاف الإنسان في الأرض.

مشكلات البحث وأسئلته:

في عالم مليء بالتحديات والمغريات والصراع بين الخير والشر؛ تحتاج النفس الإنسانية بما أودعه الله فيها من خصائص، إلى التحفيز والتشجيع للالتزام بالأخلاق التربوية الإيجابية، وتجنب الأخلاق السلبية، وذلك من خلال مخاطبة العقل والقلب معا، ثم بيان الآثار المترتبة على الالتزام بهذه الأخلاق على المسلم وعلى المجتمع في الدنيا والآخرة.

لذا كان من المهم أن يناقش البحث إمكانية اعتبار آيات الوعد والوعيد خارطة تربوية أخلاقية شاملة، محفزة وموضحة للسلوك الإنسان الإيجابي المرجو التحلي به، والسلوك السلبي المحذر منه. ويجيب عن الأسئلة الآتية:

1. ما الأهداف التربوية الأخلاقية التي يمكن استنباطها من خلال آيات الوعد والوعيد الموجهة للسلوك الإنساني للالتزام بأخلاق المؤمنين والتنفير من أخلاق الكافرين؟

2. وكيف تكون الأساليب القرآنية التي تعرض هذه الآيات مؤثرة ومقنعة لتدفع المؤمن للالتزام بما ورد فيها؟

3. وما الآثار الخاصة لهذه الآيات على الفرد المسلم؟

4. وما الآثار العامة لهذه الآيات على الجماعة المؤمنة؟

فرضيات البحث:

أعدت هذه الدراسة على أساس عدد من الفرضيات تعبر عن رؤية الباحثة ومنطلقاتها الفكرية في تناول هذا الموضوع، وهذه الفرضيات هي:

1. إن آيات الوعد والوعيد تتضمن منظومة كاملة من الأهداف التربوية الأخلاقية، تعرض من خلال الدعوة لأخلاق المؤمنين، والتحذير من أخلاق الكافرين.

2. للقرآن الكريم أساليب خاصة مقنعة ومؤثرة في عرض آيات الوعد والوعيد لتحقيق أهدافها في التربية الأخلاقية.

3. لتطبيق الأهداف الأخلاقية التربوية المتضمنة في آيات الوعد والوعيد آثارها العظيمة على الفرد المسلم والجماعة المسلمة.

الدراسات السابقة:

بعض الدراسات السابقة التي وجدتها وقد ناقشت المنهج القرآني في التربية، مع الإشارة لآيات الوعد والوعيد، في سياقات مختلفة، وبعض الدراسات التي ناقشت دور أسلوب الترغيب والترهيب في القرآن الكريم في التربية الأخلاقية وتعديل السلوك:

1. أساليب التشويق والتعزيز في القرآن الكريم: الحسين جرنو محمود جلو– إشراف د. محمود أحمد السيد، ود. محمد مصطفى الزحيلي– رسالة لنيل درجة الماجستير في التربية– جامعة دمشق– سوريا– 1988م.

2. طرق القرآن في الترغيب والترهيب: زاهر بن سيف الفرعي– إشراف د. سوهيرين محمد صالحين– بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير في علوم الوحي والتراث– الجامعة الإسلامية العالمية– كلية معارف الوحي والعلوم الإنساني– قسم القرآن والسنة– ماليزيا– مايو 2004.

3. الترغيب والترهيب ودورهما في استقامة الإنسان (دراسة قرآنية موضوعية): أحمد مصباح رزق – إشراف د. أ د عبد السلام حمدان اللوح – رسالة ماجستير مقدمة لاستكمال متطلبات درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن – الجامعة الإسلامية – كلية أصول الدين– مدينة غزة بفلسطين– 1430هـ/2009م.

يختلف بحث أثر آيات الوعد والوعيد في التربية الأخلاقية عن الدراسات السابقة، في أن الدراسة الأولى كانت دراسة في التربية بالدرجة الأكبر، فهي تبحث في ضوابط السلوك الإنساني في الأدبيات التربوية، ثم في الفكر الإسلامي، مع المقارنة بينهما لبيان أوجه الاختلاف والاتفاق. وقد تعرضت الدراسة للآيات القرآنية التي تتضمن عنصر التشويق والتحفيز والعقوبة، وكذلك التأثير في السلوك الإنساني، ومن هذه الآيات، بعض آيات الوعد والوعيد، باعتبارها أحد أساليب القرآن في الإقناع والترغيب والترهيب.

أما الدراسة الثانية فقد ركزت على بيان ألوان النعيم والعذاب الأخرويين، وهذا وعد ووعيد، من خلال النص القرآني عامة، مع التطرق للأسلوب القرآني في الخطاب، وبيان أهمية العهد المكي والمدني، وأثرهما في تشكيل أسلوب الترغيب والترهيب.

أما الدراسة الثالثة فقد بحثت في الترغيب والترهيب بصفة عامة، مثل الترغيب في الأمور الدينية، والترغيب في ثواب الآخرة، والترهيب من الجرائم، وكذلك الترهيب من عقاب الآخرة ودور كل ذلك في استقامة الإنسان، مع الاستشهاد بالآيات من القرآن الكريم، دون بيان أساليب التأثير والإقناع في هذه الآيات، أو التركيز على أثرها الإيجابي على الجماعة.

بينما البحث الذي بين أيدينا؛ فإنه ينطلق من آيات الوعد والوعيد، ويتحرك في إطارها للتوصل إلى القواعد التربوية الإسلامية التي ينبغي على الشخصية المسلمة التحلي بها، وهي قواعد عملية قابلة للتطبيق، سامية تزكي النفس وترتقي بها في معارج الكمال، لتحقق النموذج المنشود الذي يخطه القرآن الكريم، وذلك من خلال التوازن بين ما يجب التحلي به، وما يجب السلامة منه.

من هنا؛ فقد التزم البحث باستنباط أهداف وأساليب القرآن في التربية الأخلاقية من خلال آيات الوعد والوعيد ، والبحث عن أثرها على الفرد المسلم، وعلى الجماعة المسلمة، وعرضها ضمن خطين متوازيين في الحياة، طريق المؤمنين، المعبر عنهم بقوله تعالى: ﴿الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾، يقابله طريق الكافرين، والمعبر عنهم بقوله تعالى: ﴿الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله﴾. بغية التوصل لخارطة معرفية متكاملة حول الآثار العملية لهذه الآيات في تربية النفس الإنسانية. وهذا الموضوع لم أجد من خلال بحثي أنه قد أفرد بدراسة مستقلة، والله أعلم.

خطة البحث:

تم تقسيم البحث إلى مقدمة وفصل تمهيدي، وثلاثة فصول وخاتمة مذيلاً بفهرست المصادر والمراجع على النحو الآتي:

عنوان البحث:

أثر آيات الوعد والوعيد في التربية الأخلاقية.

المقدمة

الفصل تمهيدي: مصطلحات الدراسة: الوعد– الوعيد– التربية– الأخلاق.

المبحث الأول: معنى الوعد والوعيد.

المطلب الأول: الوعد والوعيد لغة واصطلاحا.

المطلب الثاني: ورود لفظ الوعد والوعيد في القرآن الكريم.

المبحث الثاني: معنى التربية الأخلاقية.

المطلب الأول: التربية الأخلاقية لغة واصطلاحا.

المطلب الثاني: ورود لفظ التربية في القرآن الكريم.

المطلب الثالث: ورود لفظ الأخلاق في القرآن الكريم.

الفصل الأول: أهداف آيات الوعد والوعيد في التربية الأخلاقية.

المبحث الأول: أهداف آيات الوعد والوعيد في التربية الأخلاقية في الدعوة إلى أخلاق المؤمنين.

المطلب الأول: خلق الصدق.

المطلب الثاني: خلق الإحسان.

المطلب الثالث: خلق التوكل على الله.

المطلب الرابع: خلق العفاف.

المطلب الخامس: خلق التواضع.

المطلب السادس: الإنفاق في سبيل الله.

المطلب السابع: خلق العدل.

المبحث الثاني: أهداف آيات الوعد والوعيد في التربية الأخلاقية في التنفير من أخلاق الكافرين.

المطلب الأول: خلق الكذب.

المطلب الثاني: خلق الفساد.

المطلب الثالث: التبعية الجاهلية.

المطلب الرابع: خلق الفحش والمنكر.

المطلب الخامس: خلق الكبر.

المطلب السادس: خلق البخل.

المطلب السابع: خلق الظلم.

الفصل الثاني: أساليب آيات الوعد والوعيد في التربية الأخلاقية

المبحث الأول: الأساليب الأدبية في آيات الوعد والوعيد في التربية الأخلاقية

المطلب الأول: أسلوب الحوار.

المطلب الثاني: أسلوب القصص.

المطلب الثالث: أسلوب ضرب الأمثال.

المبحث الثاني: أساليب الإقناع في آيات الوعد والوعيد في التربية الأخلاقية

المطلب الأول: أسلوب القدوة والأسوة الحسنة أو السيئة.

المطلب الثاني: أسلوب العبرة والموعظة.

المطلب الثالث: أسلوب الترغيب والترهيب.

الفصل الثالث: أثر آيات الوعد والوعيد في التربية الأخلاقية على الفرد والجماعة.

المبحث الأول: أثر آيات الوعد والوعيد في التربية الأخلاقية على الفرد.

المطلب الأول: كمال الإيمان.

المطلب الثاني: الوصول لأعلى الدرجات في الجنة.

المطلب الثالث: اكتساب محبة الله ثم محبة العباد.

المطلب الرابع: السكينة والاطمئنان القلبي.

المبحث الثاني: أثر آيات الوعد والوعيد في التربية الأخلاقية على الجماعة.

المطلب الأول: الولاء والبراء، والمودة بين أفراد المجتمع.

المطلب الثاني: الدعوة لدين الله بالقدوة الحسنة.

المطلب الثالث: تحقيق المساواة ووحدة الصف.

المطلب الرابع: تحقيق التكافل الاجتماعي.

الخاتمة

أولا: نتائج البحث.

ثانياً: التوصيات.

فهرست المصادر والمراجع.

منهج البحث:

يتطلب البحث في موضوع أثر آيات الوعد والوعيد في التربية الأخلاقية إتباع المناهج الأساسية الآتية:

1. المنهج الاستقرائي: من خلال تتبع آيات الوعد بالجنة، والوعيد من النار، والتحذير منها في القرآن الكريم كاملاً، باعتبارها مرجعاً أساسياً للباحثة تستنبط منه أهم الأهداف والوسائل والآثار لهذه الآيات على الفرد المؤمن والجماعة المؤمنة، مسترشدة بالسنة النبوية الشريفة.
2. المنهج التحليلي: وذلك بتحليل الآيات للوصول إلى المعاني والأفكار المشكلة لخريطة متكاملة في التربية الأخلاقية من خلال آيات الوعد والوعيد، مستعينة بالله تعالى، ومستفيدة من التراث العلمي الهائل في المكتبة الإسلامية.
3. المنهج الاستنباطي: وذلك بالبحث في دلالات الآيات، واستنباط المفاهيم والمعاني، الدالة على أثر تطبيق الأهداف الأخلاقية، التي دعت لها آيات الوعد والوعيد في حياة الأمة الإسلامية.
4. المنهج المقارن: من خلال المقارنة الصريحة أو الضمنية بين أخلاق الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وأخلاق الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله، ومصير كل فريق منهم.

والله الموفق.

الفصل تمهيدي:

مصطلحات الدراسة: الوعد– الوعيد– التربية– الأخلاق.

المبحث الأول: معنى الوعد والوعيد.

المطلب الأول: الوعد والوعيد لغة واصطلاحا.

المطلب الثاني: ورود لفظ الوعد والوعيد في القرآن الكريم.

المبحث الثاني: معنى التربية الأخلاقية.

المطلب الأول: التربية الأخلاقية لغة واصطلاحا.

المطلب الثاني: ورود لفظ التربية في القرآن الكريم.

المطلب الثالث: ورود لفظ الأخلاق في القرآن الكريم.

الفصل التمهيدي: مصطلحات الدراسة: الوعد–الوعيد–التربية–الأخلاق

الوعد والوعيد، من الألفاظ التي كثر استعمالها في القرآن الكريم، وقد كان لها معانٍ عدة وفقا للسياق الذي وردت فيه، أما لفظتي التربية والأخلاق فلم تردا بهذه الصيغة، ولكنهما وردتا بصيغ مختلفة سيتم بيانه من خلال هذا الفصل.

المبحث الأول: معنى الوعد والوعيد

من الملاحظ أن آيات الوعد والوعيد في القرآن الكريم قد تطرقت للحديث عن الأخلاقية الإيجابية التي ينبغي التحلي، والأخلاق السلبية التي ينبغي اجتنابها، ولكي تتحقق الاستفادة من هذه الآيات في سياق التربية الأخلاقية، نحتاج إلى تحديد الأهداف الأخلاقية الواردة فيها، وقبل ذلك لا بد لنا من الانطلاق من معنى الوعد والوعيد في اللغة, ثم معناهما في الاصطلاح، واستكمالاً لاستيعاب معنى الوعد والوعيد، لا بد من ذكر استعمال القرآن الكريم لهاتين المفردتين، والمعاني التي تدور حولها.

المطلب الأول: الوعد والوعيد لغة واصطلاحا

أولاً: الوعد والوعيد في اللغة:

جاءت كلمتي الوعد والوعيد في المعاجم العربية تحت مادة (وَ عَ دَ)، حيث يظهر أن (الوَعْد) يكون في الخير، وقد يكون في الشر، أما (الوَعيد) فيكون في الشر فقط، ويعني التهديد والإنذار، كما أن كلمة (الوَعْد) قد تدل على المكان أو الزمان. فيقول الإمام اللغوي الجوهري: "الوَعْدُ يستعمل في الخير والشر، قال الفراء: يقال: وعدتُه خيراً ووعدتُه شرًّا، فإذا أسقطوا الخير والشر؛ قالوا في الخير الوَعْدُ والعِدَةُ، وفي الشر الإيعادُ والوَعيدُ"[1].

[1] – الجوهري، إسماعيل بن حماد (ت393هـ)، **الصحاح**، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار (بيروت: دار العلم للملايين، ط2، 1399هـ/ 1979م) باب الدال، فصل الواو، مادة (وَعَدَ)، ج2، ص551-552.

ويقول الإمام الزمخشري: "وعدته كذا، وأوعدته بالعقوبة، وتوعدته، وقد أخلف وعده، وعدته، وموعده، وموعدته، وموعوده، وميعاده، وهذا الوقت والمكان ميعادهم وموعدهم، وتواعدوا واتعدوا، ووعدته فاتعد أي: قبل الوعد، نحو وعظته فاتعظ، واشتدّ الوعيد"[1].

ثانياً: الوعد والوعيد في الاصطلاح:

والوعد في الاصطلاح يعني التبشير بالجنة ونعيمها، أما الوعيد فيعني التحذير من النار وعذابها، وقد أفرد صاحب رياض الجنة الفقيه ابن أبي زمنين باباً فِي اَلْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ، بين فيه قول أهل السنة في معنى الوعد والوعيد، حيث يقول: "وَمِنْ قَوْلِ أَهْلِ اَلسُّنَّةِ أَنَّ اَلْوَعْدَ فَضْلُ اَللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَنِعْمَتُهُ، وَالْوَعِيدَ عَدْلُهُ وَعُقُوبَتُهُ، وَأَنَّهُ جَعَلَ اَلْجَنَّةَ دَارَ اَلْمُطِيعِينَ بِلَا اِسْتِثْنَاءٍ، وَجَهَنَّمَ دَارَ اَلْكَافِرِينَ بِلَا اِسْتِثْنَاءٍ، وَأَرْجَى لِمَشِيئَتِهِ مِنَ اَلْمُؤْمِنِينَ اَلْعَاصِينَ مَنْ شَاءَ، وَاَللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَلَا يُسْأَلُ عَنْ فِعْلِهِ، وَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ فِيمَا وَعَدَ بِهِ اَلْمُؤْمِنِينَ اَلْمُطِيعِينَ: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (سورة النساء:13)، وَقَالَ فِي اَلْعُصَاةِ وَالْكَافِرِينَ:﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ (سورة النساء:14)[2].

ومما قاله الإمام الأصفهاني: "لا يكاد يخرج معنى الوعد والوعيد في الاصطلاح عنه في اللغة، يؤكد ذلك أقوال العلماء في أن الوعد يكون في الخير والتبشير به، والوعيد في الشر والتحذير منه، من هذه الأقوال: الوَعْدُ يكون في الخير والشّر، يقال وَعَدْتُهُ بنفع وضرّ وَعْداً ومَوْعِداً ومِيعَاداً، والوَعِيدُ في الشّرّ خاصّة، يقال منه: أَوْعَدْتُهُ، ويقال: وَاعَدْتُهُ وتَوَاعَدْنَا، قال الله

---

[1] – الزمخشري، أبو القاسم محمود بن أحمد (ت538هـ)، **أساس البلاغة**، ت: محمد باسل عيون السود (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1419هـ/ 1998م) كتاب الواو، مادة (وعَ دَ) ج2، ص344.

[2] – ابن أبي زمنين، أبو عبدالله محمد بن عبدالله الأندلسي (ت399هـ)، **رياض الجنة بتخريج أصول السنة**، ت: عبدالله بن محمد بن عبدالرحيم بن حسين البخاري (المدينة المنورة: مكتبة الغرباء الأثرية، ط1، 1415هـ) ج1، ص256.

عزّ وجلّ: (إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِ) (سورة إبراهيم:22)، وقوله تعالى: (أَفَمَنْ وَعَدْناهُ وَعْداً حَسَناً فَهُوَ لاقِيهِ) (سورة القصص:61)، ومن الوَعْدِ بالشّرّ قوله تعالى: (وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ) (سورة الحج:47)، وكانوا إنّما يستعجلونه بالعذاب، وذلك وَعِيدٌ"[1].

ويقول العلامة العيني في عمدة القاري: "الوعد في الاصطلاح: الإخبار بإيصال الخير في المستقبل، والإخلاف جعل الوعد خلافا، وقيل: هو عدم الوفاء به".[2]

وبعد أن تعرفنا على معنى الوعد والوعيد في اللغة والاصطلاح، وقد تبين معنا، تقارب المعنى اللغوي والاصطلاحي، أصبح لزاماً علينا تتبع هذه المفردة في القرآن الكريم، للتعرف على استعمالات القرآن الكريم لها والسياقات التي وردت فيها.

المطلب الثاني: ورود كلمتي الوعد والوعيد في القرآن الكريم

وردت كلمتا (وعد) و(وعيد) في القرآن الكريم بعدة صيغ، وكانت تدور حول عدة معان، ويمكن عرض هذه الصيغ والمعاني بإيجاز:

أولاً: الصيغ التي وردت فيها كلمتا (وعد ووعيد) في القرآن الكريم:

لقد حصر صاحب المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم[3] الصيغ التي وردت بها لفظة (وعد) بأنها اثنان وأربعون صيغة، منها؛ (وَعَدْتُكُمْ)، و(وَعَدْتَنَا)، و(وَعَدْتَهُمْ)، و(وَعَدَكُمْ)،

---

[1] – الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد (ت502هـ)، **المفردات في غريب القرآن**، ت: صفوان عدنان الداودي (دمشق/ بيروت: دار القلم/ الدار الشامية، ط1، 1412هـ) كتاب الواو، مادة (وَعَدَ)، ج1، ص875، (بتصرف).

[2] – العيني، بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد (ت855هـ)، **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، ضبطه وصححه: عبدالله محمود محمد عمر (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1421هـ/2001)ج1، ص346.

[3] – ينظر: عبدالباقي، محمد فؤاد، **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، (القاهرة: دار الحديث، د.ط، 1422هـ/2001م) ص843-845.

و(وَعْدًا)، و(مَوْعِدٌ)، وردت في أكثر من مائة موضع من القرآن الكريم، حيث وردت بصيغة الفعل، وبصيغة الاسم، وبصيغة المصدر.

فمن الأمثلة على ورود كلمة (وَعَدَ) بصيغة الفعل قوله تعالى: ﴿وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾ (سورة النساء:95)، وقوله تعالى:﴿رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ﴾ (سورة آل عمران: 194).

ومن الأمثلة على ورود كلمة (وَعْدَ) بصيغة الاسم قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ (سورة آل عمران: 9)، وقوله تعالى: ﴿بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلًا﴾ (سورة الكهف:58).

ومن الأمثلة على ورود كلمة (وَعْدَ) بصيغة المصدر قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ﴾ (سورة إبراهيم: 22)، وقوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا....﴾ (سورة القصص:61).

وأما لفظة (الْوَعِيدِ) فقد جاءت معرفة بالألف واللام (الْوَعِيدِ) في ثلاثة مواضع، منها قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ﴾ (سورة ق:20).

كما جاءت مجردة منهما (وَعِيدِ) وأصلها (وعيدي) في موضعين، وذلك في قوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ﴾ (سورة ق:45)، وقوله تعالى: (وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ (14)) (سورة إبراهيم:14).

ثانياً: المعاني التي دارت حولها كلمة (وعد) في القرآن الكريم:

جاءت كلمة (وَعَدَ) ومشتقاتها في القرآن الكريم ويراد بها معانٍ عدة نحو: مكان الوعد، أو زمانه، والعهد، والتخويف، ومعانٍ أخرى يختلف كل معنى منها باختلاف السياق الذي وردت فيه الكلمة، وقد ذكر الفيروزآبادي طرفا من هذه المعاني، نذكر منها ما له علاقة بالمعنى الاصطلاحي لكلمتي (الوعد) و(الوعيد)، وهي:

- الوعد بالجنة، ومن ذلك قوله تعالى: (وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ (22)) (سورة الذاريات:22).

- التخويف، كما في قوله تعالى: (الشَّيْطانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْر) (سورة البقرة:268)، أي: يخوفكم، فيحملكم على منع الزكوات.

- الوعد بالخير، وذلك في قوله تعالى: (وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَها) (سورة الفتح:20).

- الوعد بالشر، كما في قوله تعالى: (وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ) (سورة الحج:47).

- اليوم الموعود هو يوم القيامة، كما في قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ، وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ﴾ (سورة البروج:2).

- الوعد بالعذاب، كما في قوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ﴾ (سورة ق:45)[1].

والخلاصة: أن لفظة (وَعَدَ) ومشتقاتها وردت في القرآن الكريم بعدة صيغ إما مفردة، أو مضافاً لها الاسم أو الضمير، وأن الوعد يكون بالخير أو الشر، أما الوعيد فيكون بالشر فقط؛ وهو بمعنى الإنذار.

وآيات الوعد والوعيد في القرآن الكريم كثيرة، فكل الآيات التي تتضمن تبشيراً وترغيباً في الجنة ونعيمها، والآيات التي تحذر وتخوف من النار وعذابها، هي من آيات الوعد والوعيد، وإن

[1] – الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**، ت: محمد النجار (القاهرة: لجنة إحياء التراث الإسلامي، د.ط، 1412هـ/1992م) ج5، ص237–239، (بتصرف)، وينظر: مجمع اللغة العربية، **معجم ألفاظ القرآن الكريم** (مصر: الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث، 1409هـ/1988م) ج1، ص1184–1188.

لم تتضمن لفظة (وَعَدَ) أو أحد مشتقاتها، مثل قوله تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾(سورة البقرة: 25)، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آَمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآَخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (19)﴾ (سورة النور:19)، وهي الآيات القرآنية التي تم الاستشهاد بها خلال فصول الرسالة؛ للتعرف من خلالها على أخلاق المؤمنين الذين وعدهم الله بجنات تجري من تحتها الأنهار، والتعرف على أخلاق الكافرين الذين توعدهم الله بجهنم وسوء المصير.

المبحث الثاني: معنى التربية الأخلاقية

المطلب الأول: التربية الأخلاقية لغة واصطلاحاً

يتكون مصطلح التربية الأخلاقية من كلمتين، (التربية) و(الأخلاق)، سيتم من خلال هذا المبحث عرض معاني كل كلمة منهما في اللغة والاصطلاح، وبيان ورود كل منهما في القرآن الكريم، مع بيان معانيها في القرآن كما بينته عبارات المفسرين، ثم الوصول لتعريف مصطلح (التربية الأخلاقية).

أولاً: التربية لغة واصطلاحا:

التربية في اللغة:

لفظة التربية اسم، وهي مصدر، من الفعل (رَبَّ)، وفي المعاجم العربية جاءت تحت مادة (رَ بَ بَ) بمعنى: صاحب الشيء ومالكه، أو (رَبا) بمعنى: زاد ونما ونشأ، أو (رَبَوَ) بمعنى: ارتفع.

فيقول الجوهري: "ربا الشئ يربو ربوا، أي زاد، ورَبَّيْتُهُ تَرْبِيَةً وتَرَبَّيْتُهُ، أي غذوته، هذا لكلِّ ما ينمي، كالولد والزرع ونحوه"[1].

ويقول ابن منظور: " ورَبُّ كُلِّ شيْءٍ: مَالِكُهُ ومُسْتَحِقُّهُ، أَو صَاحِبُهُ، يُقَال فلانٌ رَبُّ هَذَا الشيءِ، أَي مِلْكُه لَهُ، وكُلُّ مَنْ مَلَكَ شَيْئاً فَهُوَ رَبُّهُ، يُقَال: هُوَ رَبُّ الدَّابَّةِ، ورَبُّ الدَّارِ، وَفِي حَدِيث أَشْرَاطِ السَّاعَةِ (أن تلد الأمة ربتها)"[2][1].

---

[1] – الجوهري، **الصحاح**، باب الواو، فصل الراء، مادة (رَبَا)، ج6، ص2349–2350، (بتصرف).

[2] – أخرجه مسلم في **صحيحه**، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله سبحانه وتعالى، ص22 رقم (8)، المصدر: مسلم، أبو الحسين بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت261هـ)، **المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم–** ت. حسان عبدالمنان الجبالي الكرمي (الأردن– بيت الأفكار الدولية– د.ط– 2008م).

ويقول العلامة الزبيدي: "و(الرَّبُّ) يُطْلَقُ فِي اللُّغَة على المَالِكِ، والسَّيِّدِ، والمُدَبِّرِ، والمُرَبِّي، والمُتَمِّمِ، ولاَ يطلق على غَيْرِ الله عزّ وجلّ إلاّ بالإضافَةِ، أَي إذا أُطْلِقَ على غَيْرِهِ أُضِيفَ فقِيلَ: رَبُّ كَذَا، و(الرَّبَّانِيّ) العَالِمُ المُعَلِّمُ الَّذِي يَغْذُو النَّاسَ بصِغَارِ العُلُومِ قبلَ كِبَارِهَا، و(الرَّبَّانِيُّ) كذلك هو: العَالِمُ الرَّاسِخُ فِي العِلْمِ والدِّينِ، أَو العَالِي الدَّرَجَةِ فِي العِلْمِ، وقيلَ: (الرَّبَّانِيُّ): المُتَأَلِّهُ العَارِفُ باللَّهِ تَعَالَى، وربيت القوم: سستهم، أي كنت فوقهم" [2].

من العرض السابق يتبين لنا أن كلمة (التربية) في اللغة تدور حول عدة معان أهمها:

أولاً: الرعاية والتنشئة.

ثانياً: النماء والزيادة.

التربية في الاصطلاح:

التربية مصطلح حديث، تتفق في معناها العام مع المعنى اللغوي، فالتربية هي عملية التنشئة اللائقة للإنسان، وتنمية أخلاقه، ليكون فرداً فاضلاً في مجتمعه، من هذه التعريفات:

تعريف رفاعة الطهطاوي: "التربية هي أن تبني خلق الطفل علي ما يليق بالمجتمع الفاضل، وأن تنمي فيه جميع الفضائل التي تصونه من الرذائل"[3].

تعريف المناوي: "التربية: إنشاء الشيء حالا فحالا إلى حد التمام"4.

---

[1] – ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت711هـ)، **لسان العرب**، تحقيق: عبدالله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي (القاهرة: دار المعارف، د.ط، د.ت) باب الباء، فصل الراء، مادة (رَبَبَ) ج19، ص1546–1547.

[2] – الزبيدي، السيد محمد مرتضى الحسيني (1205هـ)، **تاج العروس من جواهر القاموس**، تحقيق: عبدالستار أحمد فراج (الكويت: مطبعة الكويت، د.ط، 1391هـ/ 1971م) باب الباء، فصل الراء، مادة (رَبَبَ) ج2، ص461–462.

[3] – إبراهيم عبدالله ناصر وآخرون، **مدخل إلى التربية** (عمان: الجامعة الأردنية، ط2، 2010) ص19.

[4] – المناوي، زين الدين محمد بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي القاهري (ت1031هـ)، **التوقيف على مهمات التعاريف**، ت: عبد الخالق ثروت (القاهرة: عالم الكتب، ط1، 1410هـ/1990م) ص95.

ثانياً: الأخلاق لغةً واصطلاحاً:

الأخلاق في اللغة جمع خلق، وتعني الطبع والسجية، وهذا ما يتبين من أقوال العلماء:

فيقول الفيومي: "(الخُلُقُ)، بالضَّمِّ، وبضَمَّتَيْنِ: السَّجيَّةُ"[1].

ويقول الفيروزآبادي: "والخُلْقُ، بالضم وبضَمَّتَيْنِ: السَّجِيَّةُ والطَّبْعُ، والمُروءةُ والدينُ"[2].

ويقول الزبيدي أن معنى كلمة (خُلُق): "وهُو مَا خُلِقَ عليهِ من الطَّبْع، وَمِنْه حَدِيثُ عائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: (كانَ خُلُقُه القُرآنَ)[3]، أَي: كانَ مُتَمَسِّكاً بهِ، وبِآدابِهِ وأَوامِرِه ونَواهِيه، وَمَا يَشْتَمِلُ عَلَيْهِ من المَكارِم والمَحاسِنِ والألطافِ، وقالَ ابنُ الأعْرابِيّ: الخُلُقُ: المُرُوءةُ، والخُلُقُ: الدِّينُ، وفِي التَّنْزِيل: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (سورة القلم:4)، وحَقِيقَتُه أَنَّه لصُورَةِ الإنسان الباطِنَةِ، وَهِي نَفْسُه وأَوْصافُها، ومعانِيها المختصة بهَا بمَنْزِلَةِ الخَلْقِ لصُورَتِهِ الظاهِرَةِ وأَوْصافِها ومَعانِيها، وَلَهُمَا أوصافٌ حَسَنَةٌ وقَبِيحَةٌ، والثوابُ والعقابُ يَتَعَلَّقانِ بأَوْصافِ الصُورَةِ الباطِنَةِ، أَكْثَرَ مِمّا يَتَعَلَّقانِ بأَوْصافِ الصُّورَةِ الظّاهِرَةِ، وَلِهَذَا تَكَررتِ الأَحادِيثُ فِي مَدْح حُسْنِ الخلُقِ فِي غَيْرِ مَوْضع، كقَولِه: (أَكْمَلُ المُؤْمنِينَ إيماناً أَحْسَنُهم خُلُقاً)[4]"[5].

---

[1]– الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقريء، **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير** (بيروت: المكتبة العلمية، د.ط، د.ت) باب الخاء مع اللام وما يثلثهما، ج1، ص180.

[2]– الفيروزآبادي، **القاموس المحيط**، باب القاف، فصل الخاء، ج1، ص881.

[3] – أخرجه الطبراني في **المعجم الأوسط**، باب الألف، ج1، ص30، رقم (72)، وقال: لَا يُرْوَى عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ عَنْ عَائِشَةَ إِلَّا بِهَذَا الْإِسْنَادِ، تَفَرَّدَ بِهِ: زَيْدُ بْنُ وَاقِدٍ، وصححه الألباني في **صحيح الجامع الصغير وزياداته**، حرف الكاف، باب كان وهي الشمائل الشريفة، ج2، ص872، رقم (4811).

المصدر: الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد (ت360هـ)، **المعجم الأوسط**، ت: طارق الحسيني (القاهرة: دار الحرمين، د.ط، د.ت)، والألباني، محمد ناصرالدين (ت1420هـ)، **صحيح الجامع الصغير وزياداته** (د.م: المكتب الإسلامي، د.ط، د.ت).

[4] – أخرجه الترمذي في **سننه**، ج2، ص454، رقم (1162)، وقال: (حسن صحيح)، المصدر: الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى (ت279هـ)، **الجامع الكبير المعروف بسنن الترمذي**، ت: بشار عواد معروف (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1، 1996م).

[5]– الزبيدي، **مرجع سابق**، باب القاف، فصل الخاء مع القاف مادة (خُلُق) ج25، ص257–258.

الأخلاق في الاصطلاح:

للعلماء تعريفات لمعنى الأخلاق تتفق مع المعاني اللغوية للكلمة كما وردت في المعاجم اللغوية، من هذه التعريفات:

قول العلامة الجاحظ: "إن الخلق هو حال النفس، بها يفعل الإنسان أفعاله بلا روية ولا اختيار، والخلق قد يكون في بعض الناس غريزة وطبعا، وفي بعضهم لا يكون إلا بالرياضة والاجتهاد، كالسخاء، قد يوجد في كثير من الناس من غير رياضة ولا تعلُّم، وكالشجاعة، والحلم، والعفة، والعدل، وغير ذلك من الأخلاق المحمودة".[1]

وقول الإمام الماوردي: "الْأَخْلَاق غرائز كامنة، تظهر بِالِاخْتِيَارِ، وتقهر بالاضطرار، وللنفس أَخْلَاق تحدث عَنْهَا بالطبع، وَلها أَفعَال تصدر عَنْهَا بالإرادة، فهما ضَرْبَان؛ لَا تنفك النَّفس مِنْهُمَا أَخْلَاق الذَّات، وأفعال الْإِرَادَة"[2].

وقول الإمام الغزالي: "الخلق عبارة عن هيئة في النفس، راسخة عنها، تصدر الأفعال بسهولة ويسر، من غير حاجة إلى فكر وروية، فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة المحمودة عقلا وشرعا؛ سميت تلك الهيئة خلقا حسنا، وإن كان الصادر عنها الأفعال القبيحة؛ سميت الهيئة التي هي المصدر خلقا سيئاً" [3].

وقول الإمام ابن عاشور: "الخلق في اصطلاح الحكماء: ملكة، أي: كيفية راسخة في النفس، أي: متمكنة من الفكر تصدر بها عن النفس أفعال صاحبها بدون تأمل، فخلق المرء

---

[1] – الجاحظ، أبو عثمان عمر بن بحر (ت421هـ)، **تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق** (مصر: دار الصحابة للتراث، ط1، 1410هـ/1989م) ص12.

2 – الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي(ت450هـ)، **تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملك**، ت: محي هلال السرحان وحسن الساعاتي (بيروت: دار النهضة، د.ط، د.ت) ص5-6.

[3] – الغزالي، أبي حامد محمد بن محمد (ت505هـ)، **إحياء علوم الدين** (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1406هـ/1986م) ج3،ص58.

مجموع غرائز، أي: طبائع نفسية مؤتلفة من انطباع فكري، إما جبلي في أصل خلقته، وإما كسبي ناشئ عن تمرن الفكر عليه وتقلده إياه، لاستحسانه إياه عن تجربة نفعه، أو عن تقليد ما يشاهده من بواعث محبة ما شاهد، وينبغي أن يسمى اختيارا من قول أو عمل لذاته، أو لكونه من سيرة من يحبه ويقتدي به ويسمى تقليدا، ومحاولته تسمى تخلقاً"[1].

من خلال العرض السابق يتضح أن هذه التعريفات تشترك في أن الأخلاق قد تكون فطرية، وقد تكتسب بالتدريب، والتأديب، والتربية، وهذا مناط العلمية التربوية في الفكر الإسلامي، وهي قابلية الإنسان لاكتساب الأخلاق والقيم التربوية الحميدة، واجتناب الأخلاق والقيم الفاسدة.

المطلب الثاني: ورود لفظ التربية في القرآن الكريم

أولاً: التربية:

باعتبار أن أصل لفظة (تربية) من مادة (رَ بَ بَ) بمعنى المالك والصاحب والمستحق؛ فإن مشتقات كلمة (رَبَّ) وردت في القرآن الكريم في عدة مواضع بصيغة الاسم المفرد المضاف له الاسم أو الضمير، أو بصيغة الجمع، أو بصيغة الجمع مع الإضافة، وهي على النحو التالي:[2]:

1. صيغة المفرد المضاف له الاسم أو الضمير مثل: (رَبِّ الْعَالَمِينَ)، و(رَبُّكَ)، و(رَبُّكُمَا)، و(رَبَّهُ)، و(رَبِّهَا)، ومن الأمثلة على ذلك، قوله تعالى: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (سورة الفاتحة:2)، وقوله تعالى:﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (سورة آل عمران:133).

---

[1] – ابن عاشور محمد الطاهر بن محمد بن محمد التونسي (1393هـ): **التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)** (تونس– الدار التونسية للنشر، د.ط، 1984م) ج10، ص172.

[2] – ينظر: عبد الباقي، محمد فؤاد، **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، ص 350-367.

2.صيغة الجمع مثل: (أَأَرْبَابٌ)، و(رِبِّيُّونَ)، و(الرَّبَّانِيُّونَ)، ومن الأمثلة على ذلك، قوله تعالى: ﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ (سورة يوسف:39)، وقوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ...﴾ (سورة آل عمران:146).

3.صيغة الجمع مع الإضافة، في كلمة (وَرَبَائِبُكُمُ)، في قوله تعالى: ﴿وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ...﴾ (سورة النساء:23).

وباعتبار أن أصل لفظة (تربية) من مادة (رَ بَ ا)، أو (رَ بَ وَ) بمعنى الزيادة والنماء والتنشئة؛ فإن مشتقات كلمة (رَبا) وردت في القرآن الكريم في عدة مواضع[1]، بصيغة الفعل الماضي والمضارع والاسم المفرد، وذلك على النحو التالي:

1. صيغة الفعل الماضي والفعل المضارع مثل: (رَبَّيَانِي)، و(لِيَرْبُوَ)، و(نُرَبِّكَ)، و(وَيُرْبِي)، ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ (سورة الإسراء:24)، وقوله تعالى: ﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِبًا لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِنْدَ اللَّهِ﴾ (سورة الروم:39).

2. صيغة الاسم المفرد، مثل: (رَابِيَةً)، و(الرِّبَا)، و(رَبْوَةٍ)، ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (سورة البقرة:278)، وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ (سورة المؤمنون:50).

المطلب الثالث: ورود لفظة الأخلاق في القرآن الكريم

أما لفظة الأخلاق فقد جاءت في القرآن الكريم بصيغة (خُلُق) في آيتين هما:

[1] – ينظر: عبد الباقي، محمد فؤاد، **المرجع السابق**، ص 368.

1. قوله تعالى: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ﴾ (سورة الشعراء:137).

ومن معاني كلمة (خُلُقُ) الواردة في سورة الشعراء كما ذكرها المفسرون: التخرص وَالْكذب1، فيقول الطبري في معنى (خُلُقُ) الواردة في الآية: "مَعْنَاهُ: مَا هَذَا إِلَّا دِينُ الْأَوَّلِينَ وَعَادَتُهُمْ وَأَخْلَاقُهُمْ"[2].

2. قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (سورة القلم:4)، أي: دين عظيم، أو طبع عظيم، فيقول الإمام الشوكاني في تفسير الخلق العظيم: "قِيلَ:هُوَ الْإِسْلَامُ وَالدِّينُ، حَكَى هَذَا الْوَاحِدِيُّ عَنِ الْأَكْثَرِينَ. وَقِيلَ: هُوَ الْقُرْآنُ، رُوِيَ هَذَا عَنِ الْحَسَنِ وَالْعَوْفِيِّ، وَقَالَ قَتَادَةُ: هُوَ مَا كَانَ يَأْتَمِرُ بِهِ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ وَيَنْتَهِي عَنْهُ مِنْ نَهْيِ اللَّهِ، قَالَ الزَّجَّاجُ: الْمَعْنَى إِنَّكَ عَلَى الْخُلُقِ الَّذِي أَمَرَكَ اللَّهُ بِهِ فِي الْقُرْآنِ، وَقِيلَ: هُوَ رِفْقُهُ بِأُمَّتِهِ وَإِكْرَامُهُ إِيَّاهُمْ، وَقِيلَ: الْمَعْنَى: إِنَّكَ عَلَى طَبْعٍ كَرِيمٍ، قَالَ الْمَاوَرْدِيُّ: وَهَذَا هُوَ الظَّاهِرُ، وَحَقِيقَةُ الْخُلُقِ فِي اللُّغَةِ مَا يَأْخُذُ الْإِنْسَانُ نَفْسَهُ بِهِ مِنَ الْأَدَبِ، وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا سُئِلَتْ عَنْ خُلُقِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَقَالَتْ: (كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ.) 3."4.

---

[1] – البلخي، مقاتل بن سليمان (ت150هـ)، **الوجوه والنظائر في القرآن الكريم**، ت: حاتم صالح الضامن (دبي: مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، ط1، 1427هـ/ 2006م) ص92، وينظر: ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج (ت:597هـ)، **نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر**، ت: محمد عبدالكريم كاظم الراضي (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، 1404هـ/1984م) ج1، ص 284.

[2] – الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي (ت 310هـ): **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**– ت. عبدالله بن عبدالمحسن التركي (الرياض– دار هجر– ط1– 1422هـ/2001م) ج17، ص614.

[3] – أخرجه مسلم في **صحيحه**، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب جامع صلاة الليل ومن نام عنه أو مرض، ص182، رقم (746).

[4] – الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبدالله (ت1250هـ)، **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير** (دمشق: دار ابن كثير، ط1، 1414هـ) ج5، ص319.

وبناءً على ما سبق فقد اتضح تقارب المعنى اللغوي مع المعنى الاصطلاحي لكلمة (الخلق)، كما يبين القرآن الكريم أن لفظة (خُلُق) تعني الدين والطبع والأدب، فكأن خلق الإنسان، وما يتمتع به من سجايا، ومكارم، صارت عادته، ودينه.

ومن خلال العرض السابق لمعاني التربية، ومعنى الأخلاق، فيمكن القول بأن مصطلح **التربية الأخلاقية** يعني:

فن غرس الأخلاق في النفس الإنسانية، والله أعلم.

الفصل الأول

أهداف آيات الوعد والوعيد في التربية الأخلاقية.

المبحث الأول: أهداف آيات الوعد والوعيد في التربية الأخلاقية في الدعوة إلى أخلاق المؤمنين.

المطلب الأول: خلق الصدق.

المطلب الثاني: خلق الإحسان.

المطلب الثالث: خلق التوكل على الله.

المطلب الرابع: خلق العفاف.

المطلب الخامس: خلق التواضع.

المطلب السادس: الإنفاق في سبيل الله.

المطلب السابع: خلق العدل.

المبحث الثاني: أهداف آيات الوعد والوعيد في التربية الأخلاقية في التنفير من أخلاق الكافرين.

المطلب الأول: خلق الكذب.

المطلب الثاني: خلق الفساد.

المطلب الثالث: التبعية الجاهلية.

المطلب الرابع: خلق الفحش والمنكر.

المطلب الخامس: خلق الكبر.

المطلب السادس: خلق البخل.

المطلب السابع: خلق الظلم.

الفصل الأول: أهداف آيات الوعد والوعيد في التربية الأخلاقية

لآيات الوعد والوعيد أهداف في تحقيق في التربية الأخلاقية من خلال الدعوة إلى أخلاق المؤمنين، وأهمها؛ خلق الصدق، خلق الإحسان، خلق التوكل على الله، وخلق العفاف، وخلق التواضع، الإنفاق في سبيل الله، وخلق العدل، وهذا ما سيتم تفصيله في المبحث الأول من هذا الفصل.

كذلك فإن لآيات الوعد والوعيد أهداف في التنفير من أخلاق الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله، وأهمها؛ خلق الكذب، وخلق الفساد، التبعية الجاهلية، وخلق الفحش والمنكر، وخلق الكبر، خلق البخل، وخلق الظلم، وهذا ما سيتم تفصيله في المبحث الثاني من هذا الفصل.

المبحث الأول: أهداف آيات الوعد والوعيد في التربية الأخلاقية في الدعوة إلى أخلاق المؤمنين

إن للتربية الأخلاقية دورها في تشكيل الشخصية المؤمنة، الإيجابية الفعالة التي ترقت في معارج الكمال والاستقامة حتى استحقت رضوان الله، والجنات التي تجري من تحتها الأنهار، من الآيات القرآنية المعينة على تعزيز الاستقامة والتربية الأخلاقية، آيات الوعد والوعيد، التي من أهدافها تعزيز الأخلاق الإيجابية، والتنفير من الأخلاق السلبية، لذا سيتم في المبحث الأول من هذا الفصل التعرض لمجموعة من أهم أخلاق المؤمنين، والتي رغبت فيها آيات الوعد والوعيد، مع بيان معنى كل خلق في اللغة والاصطلاح، واستخلاص الأهداف التربوية لكل خلق، كما تعرضها الآيات التي رغبت فيها، مع ذكر لطائف المفسرين حولها.

ولأن المقام لا يتسع لعرض جميع الأخلاق التربوية التي دعت لها آيات الوعد والوعيد ورغبت فيها فسيُكتفى في المبحث الأول من هذا الفصل باختيار سبعة فقط من أخلاق الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وهي: خلق الصدق، وخلق الإحسان، وخلق التوكل على الله، وخلق العفاف، وخلق التواضع، بالإضافة لخلق الإنفاق في سبيل الله، وكذلك خلق العدل.

وقد كان الاختيار والاقتصار على سبع من الأخلاق التربوية الإسلامية، من عامة الأخلاق وذلك للأسباب:

- حيث أن هذه الأخلاق قد تكررت في القرآن الكريم أكثر من غيرها من الأخلاق الأخرى، التي لها دور في تشكيل الشخصية المسلمة.
- كما أن هنالك من الأخلاق الأخرى ما قد يندرج ضمن الأخلاق السبع المختارة، فمثلا: خلق الوفاء بالعهد، وخلق الأمانة قد يندرج تحت خلق الصدق، وخلق التوكل على الله يدخل فيه خلق المبادرة، والمسارعة في الخيرات، وخلق العفاف يتضمن الأدب والحياء.

- كذلك فإن هذه الأخلاق المختارة، هي أمهات الفضائل، ومنها ما يعتبر خلقاً كلياً، أو مبدأ أخلاقي عام في ديننا، كالصدق، والإحسان، والعدل.

سيتم في هذا المبحث تحديد المفاهيم التربوية الأخلاقية الأساسية المستفادة من آيات الوعد والوعيد في تعزيز كل خلق من الأخلاق المختارة، وذلك بتقديم المعنى اللغوي والاصطلاحي لكل خلق، والأهداف التربوية الأخلاقية المستفادة من آيات الوعد والوعيد في تعزيز هذا خلق، مع التدليل على ذلك بثلاثة شواهد من الآيات القرآنية، مع الاستعانة بعبارات المفسرين الشارحة الموضحة.

المطلب الأول: خلق الصدق

الصدق لغة واصطلاحاً:

الصدق في اللغة: يكون في القول، ويعني القول المطابق للحقيقة، وفي الاصطلاح الصدق يكون في القول والعمل كذلك، فيقول العلامة ابن منظور: "الصِّدْق: نَقِيضُ الْكَذِبِ، صَدَقَ يَصْدُقُ صَدْقاً وصِدْقاً وتَصْداقاً. صَدَّقه: قَبِل قولَه. وصدَقَه الْحَدِيثَ: أَنبأَه بالصِّدْق"[1].

والصدق في الاصطلاح: يتسع ليشمل القول والعمل والنوايا كذلك، فيقول الإمام فخر الدين الرازي في تفسير معنى الصدق-: "الصِّدْقُ فِي الْقَوْلِ مَشْهُورٌ، وَهُوَ مُجَانَبَةُ الْكَذِبِ، وَالصِّدْقُ فِي الْفِعْلِ الْإِتْيَانُ بِهِ وَتَرْكُ الِانْصِرَافِ عَنْهُ قَبْلَ تَمَامِهِ، يُقَالُ: صَدَقَ فُلَانٌ فِي الْقِتَالِ وَصَدَقَ فِي الْجُمْلَةِ، وَيُقَالُ فِي ضِدِّهِ: كَذَبَ فِي الْقِتَالِ، وَكَذَبَ فِي الْجُمْلَةِ، وَالصِّدْقُ فِي النِّيَّةِ إِمْضَاءُ الْعَزْمِ وَالْإِقَامَةُ عَلَيْهِ حَتَّى يَبْلُغَ الْفِعْلَ"[2].

---

[1] – ابن منظور، **لسان العرب**، باب القاف، فصل الصاد، مادة (صَدَقَ) ج10، ص193.

[2]– الرازي، فخر الدين أبو عبدالله محمد بن عمر حسين القرشي الطبرستاني (ت606هـ)، **مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير** (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ط، 1425هـ/2004م) ج7، ص166.

إن خلق الصدق كان موضع ثناء وندب في القرآن الكريم عامة، ومن الأمثلة على ذلك؛ قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (سورة التوبة:119)، وآيات الوعد والوعيد تدعو للصدق وتحفز عليه، وتشوق للتخلي بهذا الخلق الهام من خلال بيان ما أعده الله للصادقين من أجر وثواب.

هنالك عدد من الأهداف التربوية الأخلاقية المستفادة من آيات الوعد والوعيد في تعزيز خلق الصدق، سَيُكتفى في هذا المطلب بذكر ثلاثة منها، مع الاستشهاد بالآيات القرآنية، وأقوال المفسرين، حولها، وهذه الأهداف هي:

1. معرفة أن صدق المؤمنين يكون باللسان والقلب والجوارح، مع التعرف على صفات الصادقين التي جعلت إيمانهم موضع مدح وثناء ومنها: التقوى، والصبر، وحب العبادة ، والمداومة على الطاعات ومنها الإنفاق في سبيل الله وملازمة الاستغفار.

2. اليقين بنفع الصدق لأهله في الآخرة، كما وعد الله تعالى، وإدراك مكانة الصادقين وأجرهم عند الله تعالى، فالصادقون استحقوا رضوان الله، وثوابه من جنات وأزواج مطهرة، مع الالتزام بتطبيق هذا الخلق في الدنيا وإن لم تكن المصلحة الشخصية في تطبيقه.

3. استحقاق الصادقين في عهدهم مع الله والثبات عليه المدح والثناء والوعد بالمنفعة في الآخرة، ومقارنة حال الصادقين في إيمانهم وأعمالهم بحال المنافقين الذين كانت أعمالهم مكذبة لأقوالهم، وبيان عاقبة كل فريق.

أما آيات الوعد والوعيد التي عرضت هذه الأهداف، فهي على النحو التالي:

الهدف الأول: معرفة أن صدق المؤمنين يكون باللسان والقلب والجوارح، مع التعرف على صفات الصادقين التي جعلت إيمانهم موضع مدح وثناء، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ

بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (15) الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (16) الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾ (سورة آل عمران:15-17).

حيث تبين الآيات أن من مظاهر تقوى المؤمنين؛ إيمانهم الصادق الذي يكون باللسان والقلب والجوارح، فمن أقوال المفسرين حول كلمة (الصادقين) الواردة في الآية؛ قول الإمام أبي السعود: "(والصادقين) في أقوالهم ونياتهم وعزائمِهم"[1].

كما يتوسع الشيخ محمد عبده في شرح كلمة (الصادقين) الواردة في الآية مبينا أشكال الصدق السابقة ومضيفاً لها نوعاً رابعاً، ألا وهو الصدق في الوصف، حيث يقول: "وَالصِّدْقُ يَكُونُ فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ وَالْوَصْفِ، يُقَالُ: فُلَانٌ صَادِقٌ فِي عَمَلِهِ، صَادِقٌ فِي جِهَادِهِ، صَادِقٌ فِي حُبِّهِ، كَمَا يُقَالُ صَادِقٌ فِي قَوْلِهِ. أَقُولُ: وَيَدْخُلُ فِي ذَلِكَ الْإِيمَانُ وَالنِّيَّةُ"[2].

كما تبين الآيات كذلك صفات الصادقين، وأخلاقهم، التي جعلت إيمانهم موضع مدح وثناء ومنها: التقوى، والصبر، وحب العبادة، والمداومة على الطاعات ومنها الإنفاق في سبيل الله وملازمة الاستغفار، وتبشرهم بالأجر العظيم، وهو الخلود في الجنات التي تجري من تحتها الأنهار، والأجر الأكبر يكون في نيل رضوان الله.

---

[1]– أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى العمادي (ت982هـ)، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم** (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ط، د.ت) ج2، ص16.

[2] – رشيد رضا، محمد القلموني الحسيني (ت1354)، **تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)**، (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، 1995م) ج3، ص208.

وهناك من آيات الوعد والوعيد التي تحث على خلق الصدق، وتعتبره سبباً لدخول الجنة، ونيل رضا الله –سبحانه وتعالى–، كما في سورة المائدة، التي تم الاستشهاد بها في الهدف الثاني.

4. **الهدف الثاني:** اليقين بنفع الصدق لأهله في الآخرة، كما وعد الله تعالى، وإدراك مكانة الصادقين وأجرهم عند الله تعالى، فالصادقون استحقوا رضوان الله، وثوابه من جنات وأزواج مطهرة، مع الالتزام بتطبيق هذا الخلق في الدنيا وإن لم تكن المصلحة الشخصية في تطبيقه، كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (119)﴾ (سورة المائدة:119).

فالآية واضحة وصريحة في أن الصدق في الدنيا قد نفع صاحبه في الآخرة، منفعة بلغ بها رضوان الله عز وجل، وفيها وعد منه تعالى للصادقين بالثواب الكبير من الجنات التي تجري من تحتها الأنهار، والأزواج المطهرة، وفي هذا تشجيع للمؤمن، على الالتزام بتطبيق هذا الخلق في الدنيا، وإن لم تكن المصلحة الشخصية في تطبيقه، عندما يدرك هذه المنفعة العظيمة للصدق في الآخرة.

وحول هذا المعنى يقول ابن عاشور: "وَمَعْنَى نَفْعِ الصِّدْقِ صَاحِبَهُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ أَنَّ ذَلِكَ الْيَوْمَ يَوْمُ الْحَقِّ فَالصَّادِقُ يَنْتَفِعُ فِيهِ بِصِدْقِهِ، لِأَنَّ الصِّدْقَ حَسَنٌ فَلَا يَكُونُ لَهُ فِي الْحَقِّ إِلَّا الْأَثَرُ الْحَسَنُ، بِخِلَافِ الْحَالِ فِي عَالَمِ الدُّنْيَا عَالَمِ حُصُولِ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ فَإِنَّ الْحَقَّ قَدْ يَجُرُّ ضُرًّا لِصَاحِبِهِ بِتَحْرِيفِ النَّاسِ لِلْحَقَائِقِ، أَوْ بِمُؤَاخَذَتِهِ عَلَى مَا أَخْبَرَ بِهِ بِحَيْثُ لَوْ لَمْ يُخْبِرْ بِهِ لَمَا اطَّلَعَ عَلَيْهِ أَحَدٌ، وَأَمَّا مَا يَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ مِنَ الثَّوَابِ فِي الْآخِرَةِ فَذَلِكَ مِنَ النَّفْعِ الْحَاصِلِ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ"[1].

[1] – ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج7، ص118.

كما أن هنالك مواضع أخرى من آيات الوعد والوعيد تثني على خلق الصدق، وتربط الصدق بالقول بالصدق في العمل، وتمثل له بالشهادة في سبيل الله، وهذا ما سيتم بيانه في الهدف الثالث.

5. **الهدف الثالث:** معرفة استحقاق الصادقين في عهدهم مع الله والثبات عليه المدح والثناء، والوعد بالمنفعة في الآخرة، ومقارنة حال الصادقين في إيمانهم وأعمالهم بحال المنافقين الذين كانت أعمالهم مكذبة لأقوالهم، وبيان عاقبة كل فريق، كما في قوله تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا (23) لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا (24)﴾ (سورة الأحزاب:23-24).

فالآيات تتحدث عن نوع من أنواع الصدق العملي؛ وتبين أن استحقاق الصادقين في عهدهم مع الله والثبات عليه المدح والثناء، والوعد بالمنفعة في الآخرة، ذلك أن الصدق في الميدان، يجمع بين الصدق في النوايا، والأعمال، وصدق التوكل على الله، لتحقيق الانتشار للدعوة الإسلامية والأمن للأمة المسلمة.

والصدق كما تقدم خلق كلي يضم مجموعة من الأخلاق الحميدة كالوفاء بالوعد، وإصلاح السرائر، وارتباط الأفعال بالأقوال، وهذا من أعلى درجات الصدق، وحول تصديق الأفعال للأقوال، يبين الشيخ السعدي سبب استحقاق الصادقين للأجر من الله تعالى، من خلال تفسير قوله تعالى: (لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ): "أي: بسبب صدقهم، في أقوالهم، وأحوالهم،

ومعاملتهم مع الله، واستواء ظاهرهم وباطنهم، قال الله تعالى: ﴿هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴾ (سورة المائدة: 119)"[1].

كما تشير الآيات لصدق الاعتقاد، من خلال مقارنة حال الصادقين في إيمانهم وأعمالهم، بحال المنافقين الذين كانت أعمالهم مكذبة لأقوالهم، وبيان عاقبة كل فريق، فالذين آمنوا لهم المغفرة والرحمة، والمنافقين لهم العذاب من الله، أو المن عليهم بالتوبة، والمغفرة والرحمة منه تعالى.

والسؤال الذي يحتاج للتفكير، كيف سيكون حال المجتمع لو طبق هذا الخلق عملياً، وكيف سيتفنن المعلمون، والمربون في تنشئة طلابنا، لاسيما في المراحل الأولى على هذا الخلق، وهذه القيمة؟! تفعيلاً لمنهج (وعملوا الصالحات).

المطلب الثاني: خلق الإحسان

الإحسان لغة واصطلاحاً:

الإحسان في اللغة: مشتق من الحسن، ويضم معاني الجمال في الهيئة والفعل، ومما يدل على ذلك شرح علماء اللغة لمعنى الإحسان، ومنها:

يقول ابن فارس: "حَسُنَ (الْحَاءُ وَالسِّينُ وَالنُّونُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، فَالْحُسْنُ ضِدُّ الْقُبْحِ، يُقَالُ رَجُلٌ حَسَنٌ وَامْرَأَةٌ حَسْنَاءُ وَحُسَّانَةٌ"[2].

ويقول العلامة الفيروزآبادي: "الحُسْنُ، بالضم: الجَمالُ، والإِحْسانُ: ضِدُّ الإِساءَةِ، وهو مُحْسِنٌ ومِحْسانٌ"1.

---

[1] – السعدي، عبدالرحمن بن ناصر (ت1376هـ)، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان** (الكويت: جمعية إحياء التراث الإسلامي، ط4، 1420هـ/2000م) ج2، ص912.

[2] – ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن زكريا القزويني (ت395هـ)، **معجم مقاييس اللغة**، ت: عبدالسلام هارون (د.ب، دار الفكر، د.ط، 1399هـ/1979م) كتاب الحاء، باب الحاء والسين، مادة (حَسُنَ)، ج2، ص57.

أما اصطلاحاً فإن كلمة (إحسان) لها معانٍ، منها الإنعام على الغير، أو الإخلاص في العمل، أو استشعار مراقبة الله، كما جاء في الحديث الصحيح الذي سأل فيه جبريل –عليه السلام– النبي –صلى الله عليه وسلم– عن الإحسان: (قَالَ: مَا الإِحْسَانُ؟ قَالَ: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ)"2.

ومن العلماء من فسر معنى الإحسان بأنه: "الإخلاص، أو إجادة العمل"[3].وفي معنى الإحسان يقول الأصفهاني: "الإحسان يقال على وجهين: أحدهما: الإنعام على الغير، يقال: أحسن إلى فلان، والثاني: إحسان في فعله، وذلك إذا علم علما حسنا، أو عمل عملا حسنا"[4].

وهكذا يفهم من عبارات العلماء حول المعنى الاصطلاحي للإحسان، أنه يكون في العمل، وانه يرفعه من الحالة العادية إلى حالة الإجادة والإتقان، وقد أثنى القرآن الكريم على المحسنين في قوله تعالى: (أَحْسَنُ عَمَلًا) (سورة هود:7)، وقوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) (سورة البقرة:195)، وقوله تعالى: (إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ) (سورة الأعراف:56).

إن خلق الإحسان كان محل ندب ومدح وثناء في القرآن الكريم عامة، ومن الأمثلة على ذلك؛ قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ (سورة النحل:128)، وآيات الوعد والوعيد تثني على المحسنين، وتبين ما أعده الله لهم من ثواب.

لقد رغبت آيات الوعد والوعيد في خلق الإحسان في مواضع عدة من القرآن الكريم، مبينة أجر المحسنين، وصفاتهم، مما يعزز ويشجع على التحلي بهذا الخلق المتميز من حيث كيفيته وتأثيره.

---

[1] – الفيروزآبادي، **القاموس المحيط**، باب النون، فصل الحاء، مادة (حُسْنُ)، ج1، ص1189 (بتصرف).

[2] – ابن منظور، **لسان العرب**، باب النون، فصل الحاء، مادة (حَسُنَ) ج13، ص117.

[3] – صديق خان، محمد القنوجي البخاري، **عون الباري بحل أدلة البخاري** (قطر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط1، 1430هـ/ 2009م) ج1، ص305.

[4] – الأصفهاني، **المفردات في غريب القرآن**، كتاب الحاء، مادة (حَسُن) ج1، ص236–237.

وهنالك عدد من الأهداف التربوية الأخلاقية المستفادة من آيات الوعد والوعيد في تعزيز خلق الإحسان، سَيُكتفى في هذا المطلب بذكر ثلاثة منها، مع الاستشهاد بالآيات القرآنية، وأقوال المفسرين، حولها، وهذه الأهداف هي:

1. التعرف على خلق الإحسان ومكانة المحسنين وما أعده الله تعالى للمحسنين من أجر وثواب، بما يشجع على تطبيق الإحسان عملياً في حياة المسلم، مع الحرص على إجادة العمل وإتقانه.

2. توضيح بعض صفات المحسنين وأخلاقهم، مثل الصدق، والتقوى.

3. إدراك الأعمال والطاعات التي استحق معها المؤمنون اعتبارهم من المحسنين، واستنتاج أن المحسن هو من وفقه الله إلى أن يؤدي حق خالقه، وحق الناس، وحق نفسه.

أما آيات الوعد والوعيد التي عرضت هذه الأهداف، فهي على النحو التالي:

الهدف الأول: التعرف على خلق الإحسان ومكانة المحسنين وما أعده الله تعالى للمحسنين من أجر وثواب، بما يشجع على تطبيق الإحسان عملياً في حياة المسلم، مع الحرص على إجادة العمل وإتقانه، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا (30) أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا (31)﴾ (سورة الكهف: 29-31).

حيث تبين الآيات أن العمل الذي استحق به صاحبه وصف الإحسان هو ما توفر فيه الإيمان والصلاح، لذا فقد جاء الوعد من الله للمؤمنين المحسنين في أعمالهم، بالثواب.

فيبين الشيخ السعدي العلاقة بين الإيمان، والإسلام، والإحسان، كما في الآية، حيث يقول: "وإحسان العمل: أن يريد العبد العمل لوجه الله، متبعا في ذلك شرع الله، فهذا العمل لا

يضيعه الله، ولا شيئا منه، بل يحفظه للعاملين، ويوفيهم من الأجر، بحسب عملهم وفضله وإحسانه"[1].

وفي الآيات بيان لنوع الثواب الذي وعد الله به المؤمنين المحسنين، وهو التنعم بجنات تجري من تحتها الأنهار، مع ما في ذلك من أشكال النعيم، من الاستمتاع بحلية أهل الجنة، وثيابهم، وكل ذلك زيادة في التسلية والتشويق.

وفي ذكر هذا الثواب والأجر العظيم لمن آمن بالله، وعمل صالحاً، وأحسن العمل، تشجيع للمؤمن على تطبيق هذا الخلق عملياً في حياته، والحرص على إتقان العمل وإجادته.

وهنالك من آيات الوعد والوعيد ما تبين صفات المحسنين، وتربط خلق الإحسان بأخلاق أخرى مثل الصدق، والتقوى، وهذا ما سيتم بيانه في الهدف الثاني.

الهدف الثاني: توضيح بعض صفات المحسنين، فهم الصادقون، وهم المتقون، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (33) لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ (34) لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ (35)﴾ (سورة الزمر:33-35).

تشير الآية لشكل من أشكال الإحسان بالقول والعمل، مبينة أثره الإيجابي على صاحبه، فإحسان العمل في الدنيا، كان سببا في تكفير الذنوب، ونيل الثواب الطيب من الله.

ويبين الشيخ السعدي من هم (المحسنون) في الآية، فيقول عنهم: "الذين يعبدون الله كأنهم يرونه، فإن لم يكونوا يرونه فإنه يراهم (الْمُحْسِنِينَ) إلى عباد الله"[2].

---

[1] – السعدي، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، ج1، ص640.

[2] – السعدي، المرجع السابق، ج1، ص724.

وآية أخرى توضح طرفاً من أعمال المحسنين في الدنيا، هي أعمال الخاصة، الذين لا يكتفون بالواجبات، وإنما يزيدون عليها الكثير من النوافل، وقد حق لهم ذلك فهم الذين يعبدون الله كأنهم يرونه، وفي هذه الآية بيان للهدف الثالث من الأهداف التربوية الأخلاقية المستفادة من آيات الوعد والوعيد في تعزيز خلق الإحسان.

الهدف الثالث: إدراك الأعمال والطاعات التي استحق معها المؤمنون اعتبارهم من المحسنين، واستنتاج أن المحسن هو من وفقه الله إلى أن يؤدي حق خالقه، وحق الناس، وحق نفسه، وذلك كما في الآيات، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (15) آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ (16) كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (17) وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (18) وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ (19)﴾ (سورة الذاريات: 15-19).

حيث تبين الآيات الأعمال والطاعات التي استحق معها المؤمنون اعتبارهم من المحسنين، وهي: القيام بالليل، والاستغفار بالأسحار، والإنفاق في سبيل الله بالصدقة على السائل والمحتاج.

وقد فصل الإمام ابن عاشور القول في معنى (مُحسنين) الواردة في الآيات، شارحاً نوع إحسانهم، حيث يقول: "فَالْمَعْنَى: أَنَّهُمْ كَانُوا فِي الدُّنْيَا مُطِيعِينَ لِلَّهِ تَعَالَى وَاثِقِينَ بِوَعْدِهِ وَلَمْ يَرَوْه، وَجُمْلَةُ كانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ بَدَلٌ مِنْ جُمْلَةِ كانُوا قَبْلَ ذلِكَ مُحْسِنِينَ بَدَلُ بَعْضٍ مِنْ كُلٍّ لِأَنَّ هَذِهِ الْخِصَالَ الثَّلَاثَ هِيَ بَعْضٌ مِنَ الْإِحْسَانِ فِي الْعَمَل، وَهَذَا كَالْمِثَالِ لِأَعْظَمِ إِحْسَانِهِمْ فَإِنَّ مَا ذُكِرَ مِنْ أَعْمَالِهِمْ دَالٌّ عَلَى شِدَّةِ طَاعَتِهِمْ لِلَّهِ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِهِ بِبَذْلِ أَشَدِّ مَا يُبْذَلُ عَلَى النَّفْسِ".[1]

فالآية الكريمة تبين شكلاً من أشكال الإحسان، وتبين كذلك أثره على الفرد، ومما يمكن استنتاجه من الآيات كذلك، أن المحسن هو من وفقه الله إلى أن يؤدي حق خالقه، وحق الناس،

[1] – ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج26، ص348.

وحق نفسه، وذلك من خلال ثناء الآيات على المؤمنين المحسنين، وذكرها طرفاً من إحسانهم، الذي أوجب الله لهم به الجنات ذات العيون، وبيان أنهم يعملون عملاً تميز بأمرين:

الأول: أنه من حيث مستوى الأداء، هو فوق العادي، ذلك أن نفس المؤمن المتقي لله المخلص له العبادة، لا يشبع طموحها الاكتفاء بالواجبات، إن هذه النفس التواقة التي تعشق التواصل مع الله، مهما عملت من عمل تراه قليلاً في حق الله، لذا كان النشاط في الطاعة والاجتهاد عادة المتقين المحسنين.

الثاني: أن المحسن المُوَفَق من الله، أدى حق خالقه، وحق الناس، وحق نفسه، عندما اجتهد في الطاعة وخصص معظم الليل –والناس نيام– للصلاة والذكر والاستغفار، وأوجب على نفسه الإنفاق من ماله لمن هم في حاجته، وهو فيما سبق، قد أحسن لنفسه، فلم يتبعها هواها، ولكن جعل وقته، وماله، وجهده فيما يحب الله، وفيما ينفع الناس، فكانت أهلاً للفوز بما عند الله من نعيم، وأي بر للنفس أنفع من هذا البر؟!

ومن الملاحظ أن آيات القرآن الكريم عند حديثها عن المحسنين عادة ما تربط الإحسان بالإيمان، وبالتقوى، ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى: (لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآَمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (93)) (سورة المائدة: 93).

المطلب الثالث: خلق التوكل على الله

التوكل لغة واصطلاحاً:

التوكل في اللغة؛ يشمل على معاني؛ الاستسلام، والاعتماد، والركون، وكثيراً ما يرتبط التوكل بالله –عز وجل–، فيقول العالم ابن منظور: "والمُتَوَكِّل عَلَى اللَّهِ: الَّذِي يَعْلَمُ أَن اللَّهَ كافِلٌ رِزْقَهُ وأَمْرَه فيرْكَن إليه وحْدَه وَلَا يتوَكَّل عَلَى غَيْرِهِ"[1].

ويقول العلامة الزبيدي: "(وَكَلَ بِاللهِ) يَكِلُ، كَوَعَدَ يَعِدُ، (وَتَوَكَّلَ عَلَى اللهِ) تَوَكُّلاً، (وَأَوْكَلَ) إِيْكَالاً، (واتَّكَلَ) اتِّكَالاً: (اسْتَسْلَمَ إِلَيْهِ)، يُقَالُ: قَدْ (أَوْكَلْتَ عَلَى أَخِيْكَ العَمَلَ)، أَيْ: خَلَّيْتَهُ كُلَّهُ عَلَيْهِ"2.

والتوكل في الاصطلاح: يدور حول نفس المعاني اللغوية السابقة، فيقول العلامة الأصفهاني: "والتَّوَكُّلُ يقال على وجهين، يقال: تَوَكَّلْتُ لفلان بمعنى: تولّيت له، ويقال: وَكَّلْتُهُ فَتَوَكَّلَ لي، وتَوَكَّلْتُ عليه بمعنى: اعتمدت عليه قال عزّ وجلّ: (فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ) (سورة التوبة:51)، وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ (سورة الطلاق:٣)"[3].

كما يقول العلامة الجرجاني:"التوكل: هو الثقة بما عند الله، واليأس عما في أيدي الناس"4.

إن خلق التوكل على الله كان محل مدح وثناء في القرآن الكريم عامة، ومن الأمثلة على ذلك؛ قوله تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (سورة آل

---

[1] – ابن منظور، **لسان العرب**، باب اللام، فصل الواو، مادة (وَكَلَ) ج11، ص734.

[2] – الزبيدي، **تاج العروس من جواهر القاموس**، باب اللام، مادة (وَكَلَ) ج31، ص96.

[3] – الأصفهاني، **المفردات في غريب القرآن**، كتاب الواو، مادة (وَكَلَ) ج1، ص882.

[4] – الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف (ت816هـ)، **كتاب التعريفات**، ت: جماعة من العلماء (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1403هـ/1983م) ج1، ص70 (بتصرف).

عمران:159)، وآيات الوعد والوعيد تمدح المتوكلين على الله، وتعدهم بالرزق الكريم، والدرجات من عند الله تعالى.

وهنالك عدد من الأهداف التربوية الأخلاقية المستفادة من آيات الوعد والوعيد في تعزيز خلق التوكل على الله، سَيُكتفى في هذا المطلب بذكر ثلاثة منها، مع الاستشهاد بالآيات القرآنية، وأقوال المفسرين، حولها، وهذه الأهداف هي:

1. التعرف على معنى التوكل على الله، وصفات المؤمنين المتوكلين على الله التي جعلت إيمانهم موضع مدح وثناء ومنها: التقوى، وخشية الله، وحب العبادة، والمداومة على الطاعات ومنها الصلاة، والإنفاق في سبيل الله.

2. فهم العلاقة بين التوكل والصبر، والأجر المترتب عليه للمؤمنين في الدنيا والآخرة.

3. بيان جزاء المتوكلين على الله، وما أعده الله لهم من درجات في الآخرة ومغفرة ورزق كريم، وتطبيق هذا الخلق في الحياة العملية، مع المثابرة واستشعار الصبر، وتذكر الأجر الكريم الذي أعده الله للصابرين، المتوكلين عليه.

أما آيات الوعد والوعيد التي عرضت هذه الأهداف، فهي على النحو التالي:

الهدف الأول: التعرف على معنى التوكل على الله، والتعرف على صفات المؤمنين المتوكلين عليه، والتي جعلت إيمانهم موضع مدح وثناء، كما في قوله تعالى:﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (2) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (3) أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (4)﴾ (سورة الأنفال:2-4).

إن التوكل على الله الوارد في الآية المقصود به الثقة بالله، مع تفويض الأمور إليه، والإتيان بالأعمال الصالحة التي يحبها الله، يقول الإمام البغوي في شرح معنى التوكل في الآية: "وَعَلى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ، أَيْ: يُفَوِّضُونَ إِلَيْهِ أُمُورَهُمْ، وَيَثِقُونَ بِهِ، وَلَا يَرْجُونَ غَيْرَهُ، ولا يخافون سواه"[1].

كما أن الآية صريحة في أن المؤمنين الموعودين بالمغفرة من الله، وبالرزق الكريم، هم الذين جمعوا السجايا والخصال الطيبة، وهي: الخشية من الله، والتأثر بآياته، والتوكل عليه، بالإضافة لمحافظة على الصلاة، والإنفاق في وجوه الخير، فتثني الآيات عليهم، بقوله تعالى: (أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا).

ولا شك أن التوكل خلق هام في حياة المؤمن، يعود عليه بالنفع في الدنيا والآخرة، يقول الإمام ابن عطية شارحاً قوله تعالى: (وَعَلى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ): "عبارة جامعة لمصالح الدنيا والآخرة، إذا اعتبرت وعمل بحسبها، في أن يمتثل الإنسان ما أمر به، ويبلغ في ذلك أقصى جهده دون عجز، وينتظر بعد ما تكفل له به من نصر أو رزق أو غيره، وهذه أوصاف جميلة وصف الله بها فضلاء المؤمنين فجعلها غاية للأمة يستبق إليها الأفاضل"[2].

وخلق التوكل مرتبط بخلق بالصبر، فملاذ الصابرين التوكل على رب العالمين، كما سيظهر لنا من الهدف الثاني.

الهدف الثاني: فهم العلاقة بين التوكل والصبر، والأجر المترتب عليه للمؤمنين في الدنيا والآخرة، حيث يقول تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا

---

1 – البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء (ت510هـ)، **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، ت: عبدالرزاق المهدي (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط1، 1420هـ) ج2، ص268.

2 – ابن عطية، أبو محمد عبدالحق بن غالب بن عبدالرحمن بن تمام الأندلسي (ت542هـ)، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ت: عبدالسلام عبدالشافي محمد (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1422هـ) ج2، ص501.

حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (41) الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (42)﴾ (سورة النحل: 41-42).

فتعد الآيات التوكل على الله مظهرا من مظاهر الإيمان، وتربط بين التوكل على الله والصبر، وتعد المتوكلين بالأجر الحسن في الدنيا، بالأجر الأكبر في الآخرة.

ويشرح الإمام أبي السعود معنى الصبر، ومعنى التوكل، من خلال تفسير قوله تعالى: (الذين صَبَرُواْ): "أي: على الشدائد من أذية الكفار، ومفارقةِ الأهل، والوطن، وغيرِ ذلك، (يَتَوَكَّلُونَ)، أي: منقطعين إليه تعالى، معرِضين عما سواه، مفوِّضين إليه الأمرَ كلَّه"[1].

كما أن هنالك آيات أخرى تربط الصبر بالتوكل، وتعد المتوكلين على الله بالأجر الرفيع، كما سيظهر في الهدف الثالث.

الهدف الثالث: بيان جزاء المتوكلين على الله، وما أعده الله لهم من درجات في الآخرة، ومغفرة، ورزق كريم، وهو كما في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (58) الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (59)﴾ (سورة العنكبوت: 58-59)، حبث تبشر الآية المؤمنين الصابرين والمتوكلين على الله بالخلود، في جنات تجري من تحتها الأنهار، في غرف أعدت لهم، جزاء لهم على صبرهم، وتوكلهم علي الله.

ومن الملاحظ آن الآيات السابقة التي تمتدح خلق التوكل على الله قد ربطت التوكل على الله بالصبر، ذلك أن الصبر على قضاء الله والرضا به، يعبر عن عمق إيمان المؤمن بربه، والتوكل عليه وحدة يدل على ثقته بربه اللطيف الخبير.

---

1 – أبو السعود، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، ج5، ص116 (بتصرف).

وحول هذا المعنى يقول الإمام أبي حيان الأندلسي في تفسير قوله تعالى:(الَّذِينَ صَبَرُوا): "أَيْ عَلَى مُفَارَقَةِ أَوْطَانِهِمْ وَالْهِجْرَةِ وَجَمِيعِ الْمَشَاقِّ، مِنِ امْتِثَالِ الْأَوَامِرِ وَاجْتِنَابِ الْمَنَاهِي. وَعَلى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ: هَذَانِ جِمَاعُ الْخَيْرِ كُلِّهِ، الصَّبْرُ وَتَفْوِيضُ الْأُمُورِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى"[1].

المطلب الرابع: خلق العفاف

العفاف لغة واصطلاحاً:

العفاف في اللغة: من الفعل (عَفَّ) وتدور كلمة العفاف في اللغة حول معنى الكف عما حرم الله، حيث يقول العالم الأزهري: "يُقَال عفّ الْإِنْسَان عَن الْمَحَارِم يَعِفُّ عِفّةً وعَفافاً، فَهُوَ عَفيفٌ وَجمعه أعِفّاء وَامْرَأَة عفيفة الْفرج ونسوةٌ عفائف"[2]، ويقول العالم ابن منظور: "عفف: العِفّة: الكَفُّ عَمَّا لَا يَحِلّ ويَجْمُلُ. عَفَّ عَنِ المَحارِم والأَطْماع الدَّنِية يَعِفُّ عِفَّةً وعَفّاً وعَفافاً وعَفافة، فَهُوَ عَفِيفٌ وعَفٌّ، أَي كَفَّ وتَعَفَّفَ واسْتَعْفَفَ وأَعَفَّه اللَّهُ"3.

وفي الاصطلاح: فإن المعنى الاصطلاحي للكلمة يقترب من المعنى اللغوي، فالعفاف يعني ضبط شهوات النفس لتبتعد عما حرم الله، كما سيظهر معنا من عبارات المفسرين، فيقول الإمام السيوطي: "العفَّةُ: اعْتِدَال الشَّهْوَة، وَهِي عبارَة عَن التَّحَرُّز عَن تنَاول المشتهيات الْمُخَالفَة للشَّرْع والمروءة"4، ويقول الشريف الجرجاني: "العفة: هيئة للقوة الشهوية متوسطة بين الفجور،

---

[1] – أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن أثيرالدين (ت745هـ)، **البحر المحيط في التفسير**، ت: صدقي محمد جميل (بيروت: دار الفكر العربي، د.ط، 1420هـ) ج8، 365.

[2] – الأزهري، أبو منصور، محمد بن أحمد الهروي (ت370هـ)، **تهذيب اللغة**، ت: محمد عوض مرعب (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط1، 2001م) باب العين والفاء، مادة (عَفَّ) ج1، ص85.

[3] – ابن منظور، **لسان العرب**، باب الفاء، فصل العين، مادة (عَفَفَ) ج9، ص253.

[4] – السيوطي، عبدالرحمن بن أبي بكر جلال الدين (ت911هـ)، **معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم**، ت: محمد إبراهيم عبادة (القاهرة: مكتبة الآداب، ط1، 1424هـ/2004م) ج1، ص205.

الذي هو إفراط هذه القوة، والخمود الذي هو تفريطها، فالعفيف من يباشر الأمور على وفق الشرع والمروءة"[1].

والعفاف خلق عام، يدفع صاحبه للابتعاد عن كل ما نهى الله عنه، من معاصي، أو ذنوب، أو أكل أموال الناس بالباطل، سيركز هذا المطلب على خلق العفاف المتمثل في حفظ الفروج، والذي رغبت فيه آيات الوعد والوعيد في أكثر من موضع، واعدةً أهل العفاف بالجنات، مبينة صفات المؤمنين الذين استحقوا دخولها، وتذكر هذا الخلق العظيم (العفاف)، وتعبر عنه بقوله تعالى: (وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ) (سورة المؤمنون:5).

هنالك عدد من الأهداف التربوية الأخلاقية المستفادة من آيات الوعد والوعيد في تعزيز هذا الخلق، سَيُكتفى في هذا المطلب بذكر ثلاثة منها، مع الاستشهاد بالآيات القرآنية، وأقوال المفسرين، حولها، وهذه الأهداف هي:

1. فهم العلاقة بين فلاح العبد وحفظ الفرج، وتوضيح بعض من صفات المؤمنين أهل العفاف وأخلاقهم.

2. بيان مكانة خلق العفاف، وما أعده الله لأهل العفاف من درجات في الآخرة، ومغفرة ورزق كريم.

3. تطبيق خلق العفاف، والسلوكيات الإيجابية، المعينة على الالتزام به في الحياة العملية.

أما آيات الوعد والوعيد التي عرضت هذه الأهداف، فهي على النحو التالي:

الهدف الأول: فهم العلاقة بين فلاح العبد وحفظ الفرج، وتوضيح بعض من صفات المؤمنين أهل العفاف وأخلاقهم، كما في قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (1) الَّذِينَ هُمْ فِي

[1] – الجرجاني، **التعريفات**، باب العين، ج1، ص151.

صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (2) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (3) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (4) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (5) إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (6) فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (7) وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (8) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (9) أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (10) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (11)﴾ (سورة المؤمنون: 1-11).

في مطلع سورة المؤمنين تعدد الآيات أخلاق المؤمنين، المستحقين للخلود في الفردوس، وتذكر العفاف كأحد أخلاقهم، حيث يعبر عنه بقوله تعالى: (وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ)، وتؤكد الآيات على العلاقة بين فلاح العبد وحفظ الفرج، وحول لهذا المعنى يقول الإمام القاسمي: "دلت الآية على تعليق فلاح العبد على حفظ فرجه، وأنه لا سبيل له إلى الفلاح بدونه، وتضمنت هذه الآية ثلاثة أمور: من لم يحفظ فرجه لم يكن من المفلحين، وأنه من الملومين، ومن العادين، ففاته الفلاح واستحق اسم العدوان ووقع في اللوم"[1].

ويفسر الحافظ ابن كثير معنى حفظ الفروج، التي كانت موضع ثناء في الآية، فيقول: "أَيْ وَالَّذِينَ قد حفظوا فروجهم من الحرام، فَلَا يَقَعُونَ فِيمَا نَهَاهُمُ اللَّهُ عَنْهُ، مِنْ زنا ولواط، لا يَقْرَبُونَ سِوَى أَزْوَاجَهُمُ، الَّتِي أَحَلَّهَا اللَّهُ لَهُمْ، أو ما مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ، مِنَ السَّرَارِيِّ، وَمَنْ تَعَاطَى مَا أَحَلَّهُ اللَّهُ لَهُ، فَلَا لَوْمَ عَلَيْهِ وَلَا حَرَجَ"[2].

أما أخلاق وصفات المؤمنين أهل العفاف فهي: الخشوع، والإعراض عن اللغو، والإتيان بالواجبات مثل الزكاة والصلاة، وحفظ العهد.

---

1 - القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق (ت1332هـ)، **محاسن التأويل**، ت: محمد باسل عيون السود (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1418هـ) ج7، 281.

2 - ابن كثير، إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي (ت774هـ)، **تفسير القرآن العظيم**، ت: محمد حسين شمس الدين (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1419هـ).ج5، ص403-404.

وآية أخرى من آيات الوعد والوعيد يبشر الله فيها المسلمين والمسلمات بالمغفرة، وبالأجر الكريم، وهم الذين جمعوا بالإضافة للإيمان بالله تعالى، قيما أخرى، منها العفاف، خلق المؤمنين والمعبر عنه في الآية بقوله تعالى: (وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ)، وهذا ما سيتم بيانه من خلال الهدف الثاني.

الهدف الثاني: بيان مكانة خلق العفاف، وما أعده الله لأهل العفاف من درجات في الآخرة ومغفرة ورزق كريم، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا (35)﴾ (سورة الأحزاب: 35).

فالآية تذكر عشرة أهداف للشخصية المسلمة، الإسلام، والإيمان وهما هدفان كليان، يليهما ثمانية أهداف فرعية هي؛ القنوت، والصدق، والصبر، والخشوع، والتصدق، والصوم، وحفظ الفرج، وذكر الله كثيراً، وبهذا يتبين معنا أهمية حفظ الفرج، حيث ذكر ضمن عشرة أهداف أساسية، وجوهرية، تشكل شخصية المسلم المؤمن.

كما يتبين معنا أهمية تحقيق الأهداف العشرة، التي ذكرت في الآية، من خلال ما أعده الله لمن تحققت فيه من مغفرة وأجر عظيم.

ومن السور التي مدحت في المؤمنين حفظهم للفروج، وأنه مع أعمال وأخلاق أخرى أوجب الله لهم به الجنة؛ سورة المعارج، من خلال بيان العوامل التي ساعدت المؤمنين على استحقاق ثواب الله، وهذا ما سيتم بيانه في الهدف الثالث.

الهدف الثالث: تطبيق خلق العفاف وتوابعه في الحياة العملية، مع الأخلاق والأعمال الصالحة الأخرى، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا (19) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا

(20) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا (21) إِلَّا الْمُصَلِّينَ (22) الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ (23) وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ (24) لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ (25) وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ (26) وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ (27) إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ (28) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (29) إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (30) فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (31) وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (32) وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ (33) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (34) أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ (35)) ﴾ (سورة المعارج:19-35).

فتثني الآيات على المؤمنين المصدقين بيوم الدين، وتعدهم بالتكريم في الجنات، بأمان عن الدنيا وأكدارها، وتذكر بعضاً من أخلاقهم وأعمالهم الصالحة، التي كانوا عليها في الدنيا، ومنها: المحافظة على الصلاة، وإخراج الصدقات، وحفظ الفروج، وأداء الأمانات، وصون العهود.

ويبين الإمام البقاعي الحكمة من ذكر خلق العفاف بين الأخلاق الأخرى، كما تعرضه الآيات، فيقول: "ولما ذكر التحلي بتطهير النفس بالصلاة، وتزكية المال بالصدقة، ندب إلى التخلي عن أمر جامع، بين تدنيس المال والنفس، وهو الزنا الحامل عليه شهوة الفرج، التي هي أعظم الشهوات، حملاً للنفس على المهلكات، فقال بعد ذكر التخويف بالعذاب إعلاماً بأنه أسرع إلى صاحب هذه القادورة وقوعاً من الذباب في أحلى الشراب فقال: (وَالَّذِينَ هُمْ) أي ببواطنهم الغالبة على ظواهرهم (لِفُرُوجِهِمْ)، أي: سواء كانوا ذكوراً أو إناثاً (حَافِظُونَ) أي حفظاً ثابتاً دائماً عن كل ما نهى الله عنه"[1].

1 -البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر(ت885هـ)، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور** (القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، د.ط، د.ت) ج20، ص406.

وبذلك يتبين لنا من خلال الآيات السابقة، أن أية منظومة لتشكيل الشخصية المسلمة المؤمنة لا تكاد تخلو من خلق العفاف المعبر عنه بحفظ الفروج، والعفاف كذلك يكون بغض البصر، والتحلي بالأدب، وحفظ النفس وترفعها عما حرم الله كأكل المال الحرام.

المطلب الخامس: خلق التواضع

التواضع لغة واصطلاحا:

التواضع في اللغة يدور حول معنى التذلل لله، ولين الجانب مع الناس وعكسه الكبر والاستكبار، فيقول العالم ابن منظور: " التَّواضُعُ: التَّذَلُّلُ"1، ويقول العلامة الزبيدي: "تَوَاضَعَ الرَّجُلُ: إِذا تَذَلَّلَ، وقيلَ: ذَلَّ وتَخاشَعَ، وهُوَ مُطَاوِعُ"2.

واصطلاحا: فإن المعنى الاصطلاحي للكلمة يقترب من المعنى اللغوي، حيث يقول الإمام السيوطي: "التَّوَاضُعُ: استعظام ذَوي الْفَضَائِل من دونه فِي المَال والجاه، وَقيل: الرِّضَا بِمَنْزِلَة دون مَا يسْتَحقّهُ فَضله ومنزلته""3.

وقد عبرت آيات القرآن عن هذا الخلق بألفاظ وعبارات منها؛ التذلل للمؤمنين، وكذلك المشي هوناً، كما عبر عنه بنفي الكبر عن المؤمنين، كما في قوله تعالى (لَا يَسْتَكْبِرُونَ).

لقد بشرت آيات الوعد والوعيد أهل التواضع بالرزق والفضل والغلبة، وهنالك عدد من الأهداف التربوية الأخلاقية المستفادة من آيات الوعد والوعيد في تعزيز هذا الخلق، سَيُكتفى في هذا المطلب بذكر ثلاثة منها، مع الاستشهاد بالآيات القرآنية، وأقوال المفسرين، حولها، وهذه الأهداف هي:

---

1 – ابن منظور، **لسان العرب**، باب العين، فصل الواو، مادة (وَضَعَ) ج8، ص39.

2 – الزبيدي، **تاج العروس من جواهر القاموس**، باب الواو، مادة (وَضَعَ) ج22، ص343.

3 –السيوطي، **معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم**، ج1، ص203.

1. التعرف على خلق التواضع مع بيان أشكاله، وما أعده الله لمن تخلق بهذا الخلق.

2. التمييز بين موقفين؛ الأول: أذلة على المؤمنين، والثاني: أعزة على الكافرين.

3. التعرف على صفات المؤمنين المتواضعين، الذين استحقوا أن ينسبهم الله لنفسه، فهم عباد الرحمن، ومن صفاتهم: حبهم للعبادة، وخشيتهم لله.

أما آيات الوعد والوعيد التي عرضت هذه الأهداف، فهي على النحو التالي:

الهدف الأول: التعرف على خلق التواضع مع بيان أشكاله، وما أعده الله لمن تخلق بهذا الخلق، كما في قوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا (63) وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا (64) وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا (65) إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا (66) وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا (67) وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (68)﴾ (سورة الفرقان: 63-68).

في الآيات ثناء من الله على عباده المؤمنين، والمتواضعين، والمحبين للطاعات، والذين لا يغترون بما يقدمونه منها، فهم مشفقون على أنفسهم من عذاب جهنم -بالرغم ما يأتون به من طاعات-، ثم يختم المقطع القرآني بوعد الله تعالى لعباده بقوله : (أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا (75) خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا(76)) (سورة الفرقان:75-76).

وتظهر الآيات تفضيل الله للمتواضعين، فيقول البغوي في تفسير قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: (وَعِبادُ الرَّحْمنِ): "يعني أَفَاضِلُ الْعِبَادِ، وَقِيلَ: هَذِهِ الْإِضَافَةُ لِلتَّخْصِيصِ وَالتَّفْضِيلِ، وَإِلَّا فَالْخَلْقُ كُلُّهُمْ

عِبَادُ اللَّهِ، الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً، يعني: بِالسَّكِينَةِ وَالْوَقَارِ، مُتَوَاضِعِينَ، غَيْرَ أَشِرِينَ، وَلَا مَرِحِينَ، وَلَا مُتَكَبِّرِينَ".[1]

ومن أشكال تواضع المؤمنين أنهم يتذللون لإخوانهم، مع عزتهم على أعدائهم، كما سيتبين في الهدف الثاني.

الهدف الثاني: التمييز بين موقفين؛ الأول: أذلة على المؤمنين، والثاني: أعزة على الكافرين، كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (54) إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آَمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ (55) وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آَمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ (56)﴾ (سورة المائدة: 54-56).

فيقول الإمام البغوي: في تفسير قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: (أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ)، "يَعْنِي: أَرِقَّاءَ رُحَمَاءَ، لِقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: (وَاخْفِضْ لَهُما جَناحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ) (سورة الإسراء:24)، وَلَمْ يُرِدْ بِهِ الْهَوَانَ، بَلْ أراد أَنَّ جَانِبَهُمْ لَيِّنٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، وَقِيلَ: هُوَ (مِنَ) الذُّلِّ مِنْ قولهم دابة ذلول، يعني أنهم متواضعون. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: (وَعِبادُ الرَّحْمنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً) (سورة الفرقان:63)"[2].

ويقول الشيخ الشنقيطي: "أَخْبَرَ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ أَنَّهُمْ إِنِ ارْتَدَّ بَعْضُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي عِوَضًا عَنْ ذَلِكَ الْمُرْتَدِّ بِقَوْمٍ مِنْ صِفَاتِهِمُ الذُّلُّ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَالتَّوَاضُعُ لَهُمْ، وَلِينُ الْجَانِبِ، وَالْقَسْوَةُ وَالشِّدَّةُ عَلَى الْكَافِرِينَ، وَهَذَا مِنْ كَمَالِ صِفَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَبِهَذَا أَمَرَ اللَّهُ نَبِيَّهُ

---

[1] – البغوي، **معالم التنزيل في تفسير القرآن أو تفسير البغوي**، ج3، ص454.

[2] – البغوي، **المرجع السابق**، ج2، ص62-63.

– صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فَأَمَرَهُ بِلِينِ الْجَانِبِ لِلْمُؤْمِنِينَ، بِقَوْلِهِ: (وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ) (سورة الحجر:88)، وَقَوْلِهِ: (وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) (سورة الشعراء:215)"[1].

بهذا يفهم أن الشخصية المؤمنة المستحقة لوصف (حزب الله) وللغلبة؛ هي تلك الفئة التي أحسنت تربية النفوس، وأوجدت فيها التوازن اللازم بين التذلل للمؤمنين، والترفع على الكافرين. وآية أخرى من آيات الوعد والوعيد تعرض خلق التواضع، وتضرب مثلاً بالسكينة والوقار، والبعد عن التكبر، كما يعرض في الهدف الثالث.

الهدف الثالث: التعرف على صفات المؤمنين المتواضعين الذين استحقوا أن ينسبهم الله لنفسه، فهم عباد الرحمن، ومن صفاتهم: حبهم للعبادة، وخشيتهم لله، وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (15) تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (16) فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (17)﴾ (سورة السجدة: 15–17).

فالآيات الكريمة تبين تطبيق المؤمنين عمليا لخلق التواضع وترسم صورة لهم وهم يخرون تذللا لله –سبحانه وتعالى–، معبرة عن مشاعر الخوف والرجاء التي يعيشونها.

فيقول الشيخ المراغي في شرح الآيات: "أي ما يصدّق بحججنا وآيات كتابنا، إلا الذين إذا وعظوا بها خروا لله سجدا، تذللا واستكانة لعظمته، وإقرارا بعبوديته، ونزهوه في سجودهم، عما لا يليق به، مما يصفه به أهل الكفر، من الصاحبة، والولد، والشريك، يفعلون ذلك وهم لا

1 –الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبدالقادر الجنكي (ت1393هـ)، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن** (بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر، د.ط، 1415هـ/1995م) ج1، ص415.

يستكبرون عن طاعته، كما يفعل أهل الفسق والفجور حين يسمعونها، فإنهم يولون مستكبرين، كأن لم يسمعوها."[1].

ويقرب الإمام البقاعي الصورة في قوله تعالى: (خَرُّوا سُجَّدًا) حيث يقول: "أي بادروا إلى السجود مبادرة من كأنه سقط من غير قصد، خضعاً لله من شدة تواضعهم وخشيتهم وإخباتهم له خضوعاً ثابتاً دائماً، وقوله :(وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ) أي: لا يجددون طلب الكبر عن شيء مما دعاهم إليه الهادي، ولا يوجدونه خلقاً لهم راسخاً في ضمائرهم"[2].

وبهذا يظهر لنا أن من أجمل أنواع التواضع؛ التواضع مع الله سبحانه وتعالى، وقد مدح الله المؤمنين على هذا الخلق، وذكر أحد مظاهره وهو السجود لله، ووعدهم وعداً تتشوف إليه قلوبهم، والذي عبر عنه بقوله تعالى: (فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين).

المطلب السادس: الإنفاق في سبيل الله

الإنفاق لغة واصطلاحاً:

الإنفاق في اللغة يعنى الصرف، حيث يقول العلامة ابن سيده: "أَنْفق المَال: صرفه، وَفِي التَّنْزِيل: (وإِذا قيل لَهُم أَنْفقُوا مِمَّا رزقكم الله) أَي: أَنْفقُوا فِي سَبِيل الله وأطعموا وتصدقوا"[3].

والإنفاق في الاصطلاح: يدور حول نفس المعنى اللغوي، فيعني الصرف في المال وغيره، فيقول الأصفهاني: "والإِنْفَاقُ قد يكون في المَالِ، وفي غَيْرِهِ، وقد يكون واجباً وتطوُّعاً، قال تعالى: (وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ) (البقرة:195)، (وأَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْناكُمْ) (البقرة: 254)، وقال: (لَنْ

---

1 – المراغي، أحمد بن مصطفى (ت1371هـ)، **تفسير المراغي** (مصر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط1، 1365هـ/1946م) ج21، ص111.

2 –البقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، ج15، ص254 (بتصرف).

3 – ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسي (ت458هـ)، **المحكم والمحيط الأعظم**، ت: عبد الحميد هنداوي (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1421هـ/2000م) حرف القاف، مادة (نَفَقَ) ، ج6، ص447.

تَنالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَما تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ) (آل عمران: 92)، (وَما أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ) (سبأ:39)"[1].

وآيات الوعد والوعيد تبشر المنفقين أموالهم في سبيل الله بالأجر من الله تعالى، وتبشرهم وتعدهم بالأجر الكبير، وتبين أشكال إنفاقهم، فهم ينفقون أموالهم في كل وقت وبكل شكل.

وهنالك عدد من الأهداف التربوية الأخلاقية المستفادة من آيات الوعد والوعيد في تعزيز هذا الخلق، سَيُكتفى في هذا المطلب بذكر ثلاثة منها، مع الاستشهاد بالآيات القرآنية، وأقوال المفسرين، حولها، وهذه الأهداف هي:

1. تحديد أوقات وحالات الإنفاق في سبيل الله، وما أعده الله لمن تخلق بهذا الخلق من الأجر والثواب.

2. توضيح بعض من صفات المنفقين في سبيل الله، وأخلاقهم، مثل كظم الغيظ، والعفو عن الناس، والاستغفار من الذنوب.

3. تطبيق خلق الإنفاق في سبيل الله بحالاته في الحياة العملية.

أما آيات الوعد والوعيد التي عرضت هذه الأهداف، فهي على النحو التالي:

الهدف الأول: تحديد أوقات وحالات الإنفاق في سبيل الله، وما أعده الله لمن تخلق بهذا الخلق من الأجر والثواب، كما في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (274)﴾(سورة البقرة:274).

فالآيات تمتدح إنفاق المؤمنين لأموالهم في أوقات وأحوال مختلفة، وتعدهم بالأجر من الله، وتعدهم كذلك بالراحة والسكينة، وذلك بنفي الخوف والحزن عنهم، وأي أمر أجمل من هذا الأمر، وأطيب لنفس المؤمن.

---

[1] – الأصفهاني، **المفردات في غريب القرآن**، كتاب النون، مادة (نَفَقَ) ج1، ص819.

ويقول الإمام الألوسي في تفسير قوله تعالى: (الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهارِ سِرًّا وَعَلانِيَةً): "أي: يعممون الأوقات، والأحوال، بالخير والصدقة، فالمراد بالليل والنهار جميع الأوقات، كما أن المراد بما بعده جميع الأحوال، وقدم الليل على النهار، والسر على العلانية، للإيذان بمزية الإخفاء على الإظهار"[1].

كما يبين الشيخ المراغي أحوال وأزمان الإنفاق، فيقول: "إن الذين ينفقون أموالهم في جميع الأزمنة، وفي سائر الأحوال، ولا يحجمون عن البذل، إذا لاح لهم وجه الحاجة إلى ذلك، لهم ثوابهم عند ربهم، في خزائن فضله، ولا خوف عليهم، حين يخاف الباخلون من تبعة بخلهم بالمال، وحبسه حين الحاجة إلى بذله في سبيل الله"[2].

وآية أخرى تؤكد على قيمة الإنفاق في جميع أحوال المنفق والمنفق عليه، وترغب في المغفرة والأجر العظيم لمن أنفق في سبيل، وتدعو لذلك بعبارة (وسارعوا)، كما يتبين في الهدف الثاني.

الهدف الثاني: توضيح بعض من صفات المنفقين في سبيل الله، وأخلاقهم، مثل كظم الغيظ، والعفو عن الناس، والاستغفار من الذنوب، كما في قوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (133) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (134) وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (135) أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (136)﴾ (سورة آل عمران:133-136).

---

[1] – الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبدالله الحسيني (ت1270هـ)، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، ت: علي عبدالباري عطية (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1415هـ) ج2، ص46.

2 – المراغي، أحمد بن مصطفى، **تفسير المراغي**، ج3، ص52-53.

فالآيات الكريمة تبين تطبيق المؤمنين عمليا لخلق الإنفاق في سبيل الله، مع بيان أحوالهم حال الإنفاق، الإمام السمرقندي يعرض بعض المعاني في قوله تعالى: (فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ)، كما أوردها العلماء، مبيناً أبعاد الإنفاق في سبيل الله، ومنها: "ينفقون أموالهم في حال اليسر وفي حال العسر، وهذا قول الكلبي، وقال مقاتل والضحاك: في حال السعة والشدة، ويقال: في حال الصحة والمرض، ويقال: فِي السَّرَّاءِ، يعني في حال الحياة، وفي الضراء، يعني بعد الموت، ويقال في سراء المسلمين في عرسهم وولائمهم، والضراء في نوائبهم ومآتمهم"[1].

وسورة أخرى، تؤكد على قيمة الإنفاق في السر والعلانية، فهو مع الصبر وإقامة الصلاة ودفع السيئات بالحسنات، قد أوجب للمؤمنين جنات عدن لهم ولمن صلح من أهلهم، كما في الهدف الثالث.

الهدف الثالث: تطبيق خلق الإنفاق في سبيل الله بحالاته في الحياة العملية، كما في قوله **تعالى:** ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ (22) جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ (23)﴾ (سورة الرعد:22-23).

فقد ذكرت الآية صدقة السر، وصدقة العلن، لأن لكل واحدة مجالها، ووقتها المناسب، لحال المنفق والمستحق، وللعلماء في هذا أقوال.

فيقول البقاعي: "وقال: (سراً وعلانية) إشارة إلى الحث على استواء الحالتين تنبيهاً على الإخلاص، ويجوز أن يكون المراد بالسر ما ينبغي فيه الإسرار كالنوافل، وبالعلانية ما يندب إلى

---

[1]- السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم (ت375هـ)، **بحر العلوم**، ت: علي محمد معوض وآخرون (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1413هـ/1993م) ج1، ص299.

إظهاره كالواجب إلا أن يمنع مانع، وهذا تفصيل قوله تعالى: (وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ) (سورة البقرة: 3)"[1].

ويقول الإمام الْشوكاني في تفسير قوله تعالى: (وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْناهُمْ)، أَيْ: أَنْفَقُوا بَعْضَ مَا رَزَقْنَاهُمْ، وَالْمُرَادُ بِالسِّرِّ: صَدَقَةُ النَّفْلِ، وَالْعَلَانِيَةِ: صَدَقَةُ الْفَرْضِ وَقِيلَ: السِّرُّ لِمَنْ لَمْ يُعْرَفْ بِالْمَالِ، أَوْ لَا يُتَّهَمُ بِتَرْكِ الزَّكَاةِ، وَالْعَلَانِيَةُ لِمَنْ كَانَ يُعْرَفُ بِالْمَالِ أَوْ يتهم بترك الزكاة"[2].

وبهذا يتبين لنا أن خلق الإنفاق في سبيل الله من الأخلاق التي حثت عليها آيات الوعد والوعيد، وشوقت فاعله لنيل الأجر العظيم، والثواب من الله –سبحانه وتعالى–، كما بينت أن الإنفاق يكون حال اليسر والعسر، وفي السر والعلن، فلكل حالة من هذه الحالات، ولكل وقت من هذه الأوقات مزاياه، التي تعود بالنفع على الفرد المنفق، وعلى أفراد المجتمع المنفق عليهم، فيكون المنفق في سبيل الله قدوة لغيره من المسلمين.

المطلب السابع: خلق العدل

العدل لغة واصطلاحاً:

العدل في اللغة يدور حول معنى الاستقامة، حيث يقول العلامة الفيروزآبادي: "العَدْلُ: ضِدُّ الجَوْرِ، وما قامَ في النُّفوسِ أنه مُسْتَقيمٌ"[3].

والعدل في معناه الاصطلاحي يقترب من المعنى اللغوي، فيدور في فلك القسط والاستقامة، حيث يقول العلامة الجرجاني: "العدل: عبارة عن الأمر المتوسط بين طرفي الإفراط والتفريط، وفي اصطلاح النحويين: خروج الاسم عن صيغته الأصلية إلى صيغة أخرى، وفي

---

[1] –البقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، ج10، ص331.

2 – الشوكاني، **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، ج3، ص94.

[3] – الفيروزآبادي، **القاموس المحيط**، باب اللام، فصل العين، ص881.

اصطلاح الفقهاء: من اجتنب الكبائر، ولم يصر على الصغائر، وغلب صوابه، واجتنب الأفعال الخسيسة، كالأكل في الطريق والبول، وقيل: العدل، مصدر بمعنى: العدالة، وهو الاعتدال والاستقامة، وهو الميل إلى الحق"[1].

وفي سياق الحديث عن الأخلاق التربوية في آيات الوعد والوعيد، حث القرآن الكريم الذين آمنوا وعملوا الصالحات على أداء الأمانات، وعلى العدل بين الناس.

وهنالك عدد من الأهداف التربوية الأخلاقية المستفادة من آيات الوعد والوعيد في تعزيز هذا الخلق، سَيُكتفى في هذا المطلب بذكر ثلاثة منها، مع الاستشهاد بالآيات القرآنية، وأقوال المفسرين، حولها، وهذه الأهداف هي:

1. التعرف على أهمية خلق العدل، والترغيب فيه، وبيان ما أعد الله لأهل العدل من الأجر والثواب.
2. الالتزام بتطبيق هذا الخلق، وإن كان في تطبيقه مخالفة لهوى النفس وحظوظها، مع العدو، ومع الصديق.
3. التعرف على معنى القوامة لله، والشهادة بالعدل، على اعتبار أن ذلك من متطلبات الإيمان والعمل الصالح، وبيان استحقاق أهل العدل المدح والثناء والوعد بالأجر العظيم في الآخرة.

أما آيات الوعد والوعيد التي عرضت هذه الأهداف، فهي على النحو التالي:

الهدف الأول: التعرف على أهمية خلق العدل، والترغيب فيه، وبيان ما أعد الله لأهل العدل من الأجر والثواب، كما في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا (57) إِنَّ

[1] – الجرجاني، **كتاب التعريفات**، ج1، ص147.

اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا (58)﴾ (سورة النساء: (58-57).

فمن خلال الآيات يتبين أهمية خلق العدل، وذلك لما أعده الله لأهل العدل والقسط من الأجر الخاص، وترغيب المؤمنين، بهذا الخلق، فهو خلق الأنبياء والمرسلين، فأهل العدل هم الذين وعدوا بالوقوف في ظل الله يوم القيامة، فيبين الإمام البقاعي معنى العدل في قوله تعالى:(أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ): "أي: السواء بأن تأمروا من وجب عليه حق بأدائه إلى من هو له، فإن ذلك من أعظم الصالحات الموجبة لحسن المقيل في الظل الظليل، أخرج الشيخان وغيرهما عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: (سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل) الحديث[1]."[2].

وقد عبر القرآن الكريم عن هذا الخلق الهام بآيات، منها قوله تعالى: (كونوا قوامين بالقسط)، حيث حث على التجرد من إتباع هوى النفس، مذكراً باطلاع الله على خفاياها، كما يتبين ذلك من الهدف الثاني من الأهداف التربوية الأخلاقية المستفادة من آيات الوعد والوعيد في تعزيز خلق العدل.

---

[1]- أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب الأذان، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد، ص82، رقم (660)، المصدر: البخاري، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل (ت256هـ)، **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وسننه وأيامه**، ت. حسان عبدالمنان الجبالي الكرمي (الأردن- بيت الأفكار الدولية- د.ط- 2008م).

وأخرجه مسلم في **صحيحه**، كتاب الزكاة، باب فضل إخفاء الصدقة، ص244، رقم (1031).

وأخرجه ابن حبان في **صحيحه**، كِتَابُ إِخْبَارِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ مَنَاقِبِ الصَّحَابَةِ، رِجَالِهُمْ وَنِسَائِهِمْ بِذِكْرِ أَسْمَائِهِمْ رَضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ، بَابُ إِخْبَارِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْبَعْثِ وَأَحْوَالِ النَّاسِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، ج15، ص269، رقم (7338)، المصدر: ابن حبان، أبو حاتم، محمد بن حبان بن أحمد بن معاذ بن معبد التميمي، الدارمي، البستي (ت354هـ)، **صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان**، ت: شعيب الأرناؤوط (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط2، 1414هـ/1993م).

[2] -البقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، ج5، ص309.

الهدف الثاني: الالتزام بتطبيق هذا الخلق، وإن كان في تطبيقه مخالفة لهوى النفس وحظوظها، مع العدو، ومع الصديق، كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (135)﴾ (سورة النساء:135).

ومن أكبر وأهم أشكال العدل مع الغير، شهادة المؤمن على نفسه، وأهله لمصلحة الغير، يقول الإمام الطبري في بيان توجيهات الآية: "لِيَكُنْ مِنْ أَخْلَاقِكُمْ وَصِفَاتِكُمُ الْقِيَامُ بِالْقِسْطِ، يَعْنِي بِالْعَدْلِ، وَلَوْ كَانَتْ شَهَادَتُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ، أَوْ عَلَى وَالِدَيْكُمْ أَوْ أَقْرَبِيكُمْ، فَقُومُوا فِيهَا بِالْقِسْطِ وَالْعَدْلِ، وَأَقِيمُوهَا عَلَى صِحَّتِهَا بِأَنْ تَقُولُوا فِيهَا الْحَقَّ، وَلَا تَمِيلُوا فِيهَا لِغَنِيٍّ لِغِنَاهُ عَلَى فَقِيرٍ، وَلَا لِفَقِيرٍ لِفَقْرِهِ عَلَى غَنِيٍّ فَتَجُورُوا، فَإِنَّ اللَّهَ الَّذِي سَوَّى بَيْنَ حُكْمِ الْغَنِيِّ وَالْفَقِيرِ فِيمَا أَلْزَمَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ مِنْ إِقَامَةِ الشَّهَادَةِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِالْعَدْلِ أَوْلَى بِهِمَا، وَأَحَقُّ مِنْكُمْ، لِأَنَّهُ مَالِكُهُمَا وَأَوْلَى بِهِمَا دُونَكُمْ، فَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا فِيهِ مَصْلَحَةُ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا فِي ذَلِكَ وَفِي غَيْرِهِ مِنَ الْأُمُورِ كُلِّهَا مِنْكُمْ، لِذَلِكَ أَمَرَكُمْ بِالتَّسْوِيَةِ بَيْنَهُمَا فِي الشَّهَادَةِ لَهُمَا وَعَلَيْهِمَا"[1].

ويوضح الإمام فخر الدين الرازي معنى لفظة (قوامين) فيقول: "الْقَوَّامُ: مُبَالَغَةٌ مِنْ قَائِمٍ، وَالْقِسْطُ: الْعَدْلُ، فَهَذَا أَمْرٌ مِنْهُ تَعَالَى لِجَمِيعِ الْمُكَلَّفِينَ بِأَنْ يَكُونُوا مُبَالِغِينَ فِي اخْتِيَارِ الْعَدْلِ وَالِاحْتِرَازِ عَنِ الْجَوْرِ وَالْمَيْلِ، وَقَوْلُهُ شُهَداءَ لِلَّهِ أَيْ تُقِيمُونَ شَهَادَاتِكُمْ لِوَجْهِ اللَّه كَمَا أُمِرْتُمْ بِإِقَامَتِهَا، وَلَوْ كَانَتِ الشَّهَادَةُ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوْ آبَائِكُمْ أَوْ أَقَارِبِكُمْ"[2].

---

1 – الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ج7، ص584 (بتصرف).

2– الرازي، **مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير**، ج11، ص241.

وكذلك من آيات الوعد والوعيد ما تؤكد على أهمية تطبيق العدل ولو جانب المصلحة، وهوى النفس، كما يتبين ذلك من خلال الهدف الثالث.

الهدف الثالث: التعرف على معنى القوامة لله، والشهادة بالعدل، على اعتبار أن ذلك من متطلبات الإيمان والعمل الصالح، وبيان استحقاق أهل العدل المدح والثناء والوعد بالأجر العظيم في الآخرة، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآَنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (8) وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ (9) ﴾ (سورة المائدة: 8-9).

توجه الآيات المؤمنين بتحقيق الاستقامة على دين الله، والعدل في الشهادة حتى مع العدو، فالعدل من متطلبات التقوى، وهو من العمل الصالح الموجب لمغفرة الله ونيل الأجر العظيم.

فيقول الإمام القاسمي عن أهمية الاستقامة والعدل، في تفسير قوله تعالى: (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ)، "أي: مقتضى إيمانكم الاستقامة، فكونوا مبالغين في الاستقامة باذلين جهدكم فيها لله، وهي إنما تتم بالنظر في حقوق الله وحقوق خلقه فكونوا (شُهَداءَ بِالْقِسْطِ) أي: العدل، لا تتركوه لمحبة أحد ولا لعداوة أحد (وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ) أي: لا يحملنكم (شَنَآنُ) أي: شدة عداوة قَوْمٍ عَلى أَلَّا تَعْدِلُوا في حقهم"[1].

كما حث الرسول -صلى الله عليه وسلم- على هذا الخلق الرفيع، وبشر أهل العدل والقسط بالمكانة الرفيعة يوم القيامة؛ في قوله: "إن المقسطينَ، عند اللهِ، على منابرَ من نورٍ، عن يمينِ الرحمنِ -عز وجل-، وكلتَا يديهِ يمينٌ؛ الذين يعدلونَ في حُكمهِم وأهليهِم وما وُلّوا"[2].

---

1 - القاسمي، **محاسن التأويل**، ج4، ص77.

2 - أخرجه مسلم في **صحيحه**، كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل، وعقوبة الجائر، والحث على الرفق بالرعية، والنهي، عن إدخال المشقة عليهم، ص427، رقم (1827).

وبعد، فهذه أمثلة من أخلاق المؤمنين الموعودين بالجنة، كما أن هنالك أخلاقاً أخرى كالصبر والعفو والوفاء بالعهد، وكل خلق منها مكمل للآخر، وأخلاق أخرى جامعة لمعاني الإحسان والبر عبر عنها ألفاظ جامعة لمعاني الأخلاق الرفيعة، مثل: (الْمُخْبِتِينَ)، و(الْمُتَّقِينَ)، و(الْأَبْرَارَ)، والتي يذوب لها قلب المؤمن عند سماعها، مقلبا نظره في السماء، سائلا المولى – عز وجل–: اللهم اجعلني منهم.

ويستخلص مما سبق عرضه من نماذج لآيات الوعد والوعيد، والتي رغبت في أخلاق الذين آمنوا وعملوا الصالحات، أن أهم ما يخص من وعدهم الله بالجنة أمران:

الأمر الأول: هي أن الفئة التي استحقت الفوز بالجنة ونعيمها والنجاة من النار وعذابها هي التي جمعت بين شطري الإسلام؛ الإيمان والعمل الصالح، وقد عبر القرآن عن ذلك بوضوح في آيات منها؛ قوله تعالى:﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (سورة البقرة: 25)، وفي آية أخرى يقول تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا (57) ﴾(سورة النساء:57)، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ (11)﴾ (سورة البروج:11).

وآيات أخرى كثيرة، تربط العمل الصالح بالإيمان، فالعمل الصالح هو الثمرة الأكبر للإيمان بالله، أو هو الجانب العملي للعقيدة الصحيحة، التي هي عقيدة التوحيد، وعقيدة الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا، كما أن ربط عمل الصالحات بالإيمان يعني أن العمل الذي يستحق وصف الصلاح هو ما كان خالصاً لله تعالى، وكان بعيدا عن الرياء وعن المكاسب الدنيوية،

ومن المناسب هنا ذكر أحد الشروح التي قدمها المفسرون لبيان معنى قوله تعالى: (وعملوا الصالحات).

حيث يقول الإمام البغوي في شرح قوله تعالى: ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ﴾: "أَيِ: الْفِعْلَاتِ الصَّالِحَاتِ، يَعْنِي: الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ هُمْ مِنْ أَهْلِ الطَّاعَاتِ، قَالَ عثمان بن عفان –رضي الله تعالى– عَنْهُ: وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ، أَيْ: أَخْلَصُوا الْأَعْمَالَ، كَمَا قَالَ: ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صالِحاً﴾ (سورة الكهف:110)، أي: خاليا عن الرِّيَاءِ، قَالَ مُعَاذٌ: الْعَمَلُ الصَّالِحُ الَّذِي فِيهِ أَرْبَعَةُ أَشْيَاءَ: الْعِلْمُ، وَالنِّيَّةُ، وَالصَّبْرُ، وَالْإِخْلَاصُ"[1].

فالعمل الصالح هو منهاج المؤمن المسلم، الذي اختاره لنفسه في الحياة، باعتباره التطبيق العملي لعقيدة لا إله إلا الله، محمد رسول الله، وبما أن الدين الإسلامي دين كامل، وشامل، وجب أخذه بالكلية، وتطبيقه عقيدة وسلوكاً، والسلوك يكون في أرقى صوره، بالتحلي بأخلاق الذين آمنوا وعملوا الصالحات، الذين استحقوا الأوصاف السامية، التي يطلقها عليهم القرآن الكريم؛ مثل: (الْمُفْلِحِينَ)، و(الْمُحْسِنِينَ)، و(الْمُخْبِتِينَ)، و(الفائزين).

الأمر الثاني: هي أن أخلاق المؤمنين التي كانت موضع ندب وتحفيز، تعتبر أسزسية لكمال الإيمان، وهي درجة متقدمة من درجات الإيمان، بحيث يمكن القول أن صاحب الخلق، وصل لقمة الإيمان، بعد أن استكمل معاني اليقين، المولدة لمعاني الإخلاص، ثم كان أداء الفرائض، المتبوعة بالسنن، والانتهاء بتزكية النفس، وتحسين الإيمان بالأخلاق والآداب المندوبة.

وحول هذا المعنى يقول السفاريني: "...وَقَالَ الْحَجَّاوِيُّ فِي شَرْحِهِ: يُقَال: مَثَلُ الْإِيمَانِ كَمَثَلِ بَلْدَةٍ لَهَا خَمْسُ حُصُونٍ: الْأَوَّلُ مِنْ ذَهَبٍ، وَالثَّانِي مِنْ فِضَّةٍ، وَالثَّالِثُ مِنْ حَدِيدٍ، وَالرَّابِعُ مِنْ آجُرٍّ، وَالْخَامِسُ مِنْ لَبِنٍ، فَمَا زَالَ أَهْلُ الْحِصْنِ مُتَعَاهِدِينَ حِصْنَ اللَّبِنِ لَا يَطْمَعُ الْعَدُوُّ فِي الثَّانِي،

[1] – البغوي، **معالم التنزيل في تفسير القرآن أو تفسير البغوي**، ج1، ص74.

فَإِذَا أَهْمَلُوا ذَلِكَ طَمِعُوا فِي الْحِصْنِ الثَّانِي ثُمَّ الثَّالِثِ حَتَّى تَخْرَبَ الْحُصُونُ كُلُّهَا، فَكَذَلِكَ الْإِيمَانُ فِي خَمْسِ حُصُونٍ الْيَقِينُ، ثُمَّ الْإِخْلَاصُ، ثُمَّ أَدَاءُ الْفَرَائِضِ، ثُمَّ السُّنَنُ، ثُمَّ حِفْظُ الْآدَابِ، فَمَا دَامَ يَحْفَظُ الْآدَابَ وَيَتَعَاهَدُهَا فَالشَّيْطَانُ لَا يَطْمَعُ فِيهِ، وَإِذَا تَرَكَ الْآدَابَ طَمِعَ الشَّيْطَانُ فِي السُّنَنِ، ثُمَّ فِي الْفَرَائِضِ، ثُمَّ فِي الْإِخْلَاصِ، ثُمَّ فِي الْيَقِين"[1].

لذا كان الثناء القرآني على أصحاب الآداب الرفيعة، والوعد الإلهي لهم بأعلى الدرجات في الجنة، ولا عجب وبشارة الحبيب –صلى الله عليه وسلم– لأهل الأخلاق الفاضلة بالدرجة الرفيعة مع الأنبياء، وحول هذا المعنى يقول الحبيب –صلى الله عليه وسلم–: (إِنَّ أَحَبَّكُمْ إِلَيَّ، وَأَقْرَبَكُمْ مِنِّي فِي الْآخِرَةِ، أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا، وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ، وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي فِي الْآخِرَةِ، أَسْوَؤُكُمْ أَخْلَاقًا، الْمُتَشَدِّقُونَ، الْمُتَفَيْهِقُونَ، الثَّرْثَارُونَ)[2].

ولقد كان العرض السابق لسبعة من أخلاق الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وهي خلق الصدق، وخلق الإحسان، وخلق التوكل على الله، وخلق التواضع، وخلق العفاف، وخلق الإنفاق في سبيل الله، وخلق العدل، وذلك باعتبارها أمثلة ونماذج على الأخلاق الإسلامية، وقد تقدم في مطلع المبحث سبب اختيارها، وقد تم عرض الأهداف المستفادة من آيات الوعد والوعيد في تحقيق كل خلق منها، من خلال التمثيل لها بنماذج من آيات الوعد والوعيد، التي اثنت على من يتصف بها، وذلك للتركيز على مبدأ أن جميع الأخلاق التربوية في الإسلام، لم تشرع فقط لكونها تحقق المصالح والمنافع الدنيوية فقط، بل أيضا لأنها تجعل صاحبها مستحقاً للتوفيق من الله في الدنيا ، وللرزق الكريم من الله تعالى في الآخرة، فالجزاء في الآخرة ينبغي أن يكون

---

[1] – السفاريني، شمس الدين أبو العون محمد بن أحمد بن سالم (ت1188هـ)، **غذاء الألباب شرح منظومة الآداب** (مصر: مؤسسة قرطبة، ط2، 1414هـ/1993م) ج1، ص37.

[2] – أخرجه ابن حبان في **صحيحه**، كتاب الحظر والإباحة، باب ذكر خصال من كن فيه استحق بغض المصطفى –صلى الله عليه وسلم–، ج12، ص368، رقم (5557)، وقال: (حديث صحيح).

حاضرا في عقل الإنسان عندما يحسن العمل، ففي نهاية الأمر هو يتعامل مع الله سبحانه وتعالى.

وهذا المبدأ هو الذي يميز منظومة الأخلاق في الإسلام عن غيرها من المنظومات الأخلاقية الوضعية، الذي شرعت الأخلاق، ودعت لها، لما لها من دور في تنظيم المجتمع، والعون على سيادة الأمن، والأمان فيه، أو لأثرها الإيجابي على النفس.

إن الفهم الأعمق لهذه الأخلاق التربوية في المنظومة الإسلامية يتطلب معرفة السلوكيات المضادة لها، وهي المعبر عنها بأخلاق اللذين كفروا وصدوا عن سبيل الله، وذلك عملا بمبدأ معرفة الشر مخافة الوقوع فيه، لذا فقد اهتم المبحث الثاني من هذا الفصل بذكر طرف من أخلاق الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله، كما بينتها آيات الوعد والوعيد، وما أعده الله لهم من جزاء على هذه المواقف.

المبحث الثاني: أهداف آيات الوعد والوعيد في التربية الأخلاقية في التنفير من أخلاق الكافرين

سيتم في المبحث الثاني من هذا الفصل التعرض لمجموعة من أخلاق الكافرين، والتي ذمها القرآن في عدة مواضع منها آيات الوعد والوعيد، وحذر منها، مع بيان معنى كل خلق في اللغة والاصطلاح، واستخلاص الأهداف التربوية المستفادة من آيات الوعد والوعيد في التحذير من أخلاق الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله، مع ذكر لطائف المفسرين حولها.

وكما تم الإشارة إليه في بداية الفصل ، فإن الموقف الواضح للكافرين هو الصد عن سبيل الله وهذا الموقف هو الذي استحقوا عليه جهم وبئس المصير، وهذا الصد يأخذ أشكالاً، ويمارس من خلال الشخصية الكافرة التي تعمل بأخلاقها وسماتها على تحقيق هدف الصد عن دين الله الحق، لكن الله يفشل محاولاتهم، ويبشرهم بجهنم وبئس المصير، يقول تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ (36) ﴾ (سورة الأنفال:36).

سيكتفى هذا المبحث بذكر سبعة من أخلاق الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وهي: خلق الكذب، وخلق الفساد، والتبعية الجاهلية، والفحشاء والمنكر، وخلق الكبر، وخلق البخل، وخلق الظلم، وقد كان الاختيار لهذه الأخلاق فقط من من أخلاق الذين كفروا وذلك لعدة أسباب، هي:

– أن هذه الأخلاق قد تكررت في القرآن الكريم أكثر من غيرها من الأخلاق السلبية الأخرى.

– كما أن هذه الأخلاق هي الأكثر تأثيراً على الفرد والمجتمع، بحيث لو تم التخلص منها، نعم المجتمع بالأمن والاستقرار.

- كذلك فإن هذه الأخلاق السبع منها ما يعتبر خلقاً سلبياً كلياً، يؤدي إلي أخلاق سلبية أخرى، فمثلاً؛ خلق الكذب الذي يؤدي بصاحبه إلى نقض العهد، أو الخيانة، أو الغش، أو الخداع.

سيتم في هذا المبحث تحديد الأهداف الأخلاقية الأساسية، المستفادة من آيات الوعد والوعيد، في التحذير من كل خلق، من الأخلاق السابق ذكرها، وذلك بتقديم المعنى اللغوي والاصطلاحي لكل خلق، والأهداف التربوية الأخلاقية المستفادة من آيات الوعد والوعيد في التنفير، والتحذير من هذا خلق، مع التدليل على ذلك بثلاثة شواهد من الآيات القرآنية، مع الاستعانة بعبارات المفسرين الشارحة الموضحة.

المطلب الأول: خلق الكذب

الكذب لغة واصطلاحاً:

الكذب في اللغة يدور حول معانٍ منها: القول المخالف للواقع، والإنكار، فيقول العالم ابن منظور: "الكَذِبُ: نقيضُ الصِّدْقِ"[1]، ويقول العلامة الفيروزآبادي:"وكَذَّبَ بالأَمْرِ تَكْذِيباً وكِذَّاباً: أَنْكَرَهُ"[2].

والمعنى الاصطلاحي للكلمة يقترب من المعنى اللغوي، مع زيادة معان أخرى، فالكذب هو القول المخالف للحقيقة، فيقول الإمام السيوطي: "الكَذِبُ: بَيَان خلاف الْوَاقِع بِالْقَصْدِ"[3].

ويقول الشيخ الطاهر ابن عاشور: "وَالْكَذِبُ: الْخَبَرُ الْمُخَالِفُ لِمَا هُوَ حَاصِلٌ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ مِنْ غَيْرِ نَظَرٍ إِلَى كَوْنِ الْخَبَرِ مُوَافِقًا لِاعْتِقَادِ الْمُخْبِرِ أَوْ هُوَ عَلَى خِلَافِ مَا يَعْتَقِدُهُ"[1].

---

[1] – ابن منظور، **لسان العرب**، باب الباء، فصل الكاف، مادة (كَذَبَ) ج1، ص407.

[2] – الفيروزآبادي، **القاموس المحيط**، باب الباء، فصل الكاف، مادة (كَذَبَ) ج1، ص130.

[3] – السيوطي، **معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم**، ج1، ص207.

إن خلق الكذب كان موضع ذم وتحذير في القرآن الكريم بصورة عامة، ومن الأمثلة على ذلك؛ قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (سورة الصف:7)، وآيات الوعد والوعيد تذم وتنفر من هذا الخلق، وتحذر منه من خلال بيان ما توعد الله به المكذبين من عقاب وعذاب أليم.

وهنالك عدد من الأهداف التربوية الأخلاقية المستفادة من آيات الوعد والوعيد في التحذير من هذا الخلق، سَيُكتفى في هذا المطلب بذكر ثلاثة منها، مع الاستشهاد بالآيات القرآنية، وأقوال المفسرين، حولها، وهذه الأهداف هي:

1. معرفة أن من أكبر مظاهر الكذب الخداع بإدعاء الإيمان، مع إبطان الكفر، وتفسير العلاقة بين الكذب والكفر.
2. إدراك بعض من صفات الكاذبين، ومنها الحلف على الكذب، والصد عن سبيل الله، وما أعده الله لهم من عذاب أليم، والتعرف على أمثلة عملية من هذا الخلق وخطورته لتجنب الوقوع فيه.
3. بيان أن استحقاق الذين يفترون علي الله الكذب العذاب الأليم، بسبب كذبهم على الله وكفرهم به.

أما آيات الوعد والوعيد التي عرضت هذه الأهداف، فهي على النحو التالي:

الهدف الأول: معرفة أن من أكبر مظاهر الكذب الخداع بإدعاء الإيمان، مع ابطان الكفر، وتفسير العلاقة بين الكذب والكفر.كما في قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آَمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ (8) يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا

---

1 –ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج5، ص94.

يَشْعُرُونَ (9) فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ (10)﴾ (سورة البقرة:8-10).

تسلط الآيات الضوء على شكل خطير من أشكال الكذب، وأخطرها، وهو ادعاء الإيمان، مع إخفاء الكفر، وهو ما سمته الآيات خداعاً، فالكفر والكذب بينهما علاقة، يقول عنها الشيخ محمد عبده: "وَقَدْ يُقَالُ: لِمَ جُعِلَ الْعَذَابُ جَزَاءَ الْكَذِبِ دُونَ الْكُفْرِ؟ وَالْجَوَابُ: أَنَّ الْكُفْرَ دَاخِلٌ فِي هَذَا الْكَذِبِ، وَإِنَّمَا اخْتِيرَ لَفْظُ الْكَذِبِ فِي التَّعْبِيرِ لِلتَّحْذِيرِ عَنْهُ، وَبَيَانِ فَظَاعَتِهِ وَعِظَمِ جُرْمِهِ، وَلِبَيَانِ أَنَّ الْكُفْرَ مِنْ مُشْتَمَلَاتِهِ وَيَنْتَهِي إِلَيْهِ فِي غَايَاتِهِ، وَلِذَلِكَ حَذَّرَ الْقُرْآنُ مِنْهُ أَشَدَّ التَّحْذِيرِ، وَتَوَعَّدَ عَلَيْهِ أَسْوَأَ الْوَعِيدِ، وَمَا فَشَا الْكَذِبُ فِي قَوْمٍ إِلَّا فَشَتْ فِيهِمْ كُلُّ جَرِيمَةٍ وَكَبِيرَةٍ؛ لِأَنَّهُ يَنْشَأُ مِنْ دَنَاءَةِ النَّفْسِ وَضَعْفِ الْحَيَاءِ وَالْمُرُوءَةِ"[1].

كما أن النفاق بحد ذاته يشتمل على خصال الكذب، وفي هذا المعنى قول يقول ابن عاشور: "فَإِنَّ النِّفَاقَ يَعْتَمِدُ عَلَى ثَلَاثِ خِصَالٍ وَهِيَ: الْكَذِبُ الْقَوْلِيُّ، وَالْكَذِبُ الْفِعْلِيُّ، وَهُوَ الْخِدَاعُ، وَيُقَارِنُ ذَلِكَ الْخَوْفَ، لِأَنَّ الْكَذِبَ وَالْخِدَاعَ إِنَّمَا يَصْدُرَانِ مِمَّنْ يَتَوَقَّى إِظْهَارَ حَقِيقَةِ أَمْرِهِ، وَذَلِكَ لَا يَكُونُ إِلَّا لِخَوْفِ ضُرٍّ، أَوْ لِخَوْفِ إِخْفَاقِ سَعْيٍ، وَكِلَاهُمَا مُؤْذِنٌ بِقِلَّةِ الشَّجَاعَةِ، وَالثَّبَاتِ، وَالثِّقَةِ بِالنَّفْسِ، وَبِحُسْنِ السُّلُوكِ"[2].

ومن السلوكيات السلبية الأخرى للمكذبين؛ الحلف على الكذب، وهذا ما سيتم بيانه في الهدف الثاني.

الهدف الثاني: إدراك بعض من صفات الكاذبين، ومنها الحلف على الكذب، والصد عن سبيل الله، وما أعده الله لهم من عذاب أليم، والتعرف على أمثلة عملية من هذا الخلق وخطورته

---

[1] – رشيد رضا، **تفسير القرآن الحكيم** المسمى **(تفسير المنار)**، ج1، ص131.

[2] – ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج1، ص281.

لتجنب الوقوع فيه، كما في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (14) أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (15) اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ (16) لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (17) يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ (18)﴾ (سورة المجادلة:14-18).

لقد عرضت سورة المجادلة جانباً من سلوكيات المكذبين، وهو الحلف على الكذب، مع بيان مصيرهم الذين أعده الله لهم، وهو العذاب الشديد، وبيان خسارة موقفهم يوم لا ينفع مال ولا بنون، كما بينت الآية أن الكذب خصلة لصيقة بالكافر، تلازمه حتى يوم القيامة.

وحول هذا المعنى يقول الإمام فخر الدين الرازي في تفسير الآية ومستشهدا بقول ابن عباس-رضي الله عنه-: "...قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: إِنَّ الْمُنَافِقَ يَحْلِفُ للَّه يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذِبًا، كَمَا يَحْلِفُ لِأَوْلِيَائِهِ فِي الدُّنْيَا كَذِبًا، أَمَّا الْأَوَّلُ: فَكَقَوْلِهِ: وَاللَّهِ رَبِّنا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ (الْأَنْعَامِ: 23)، وَأَمَّا الثَّانِي: فَهُوَ كَقَوْلِهِ: (وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ) (التوبة: 56)، وَالْمَعْنَى: أَنَّهُمْ لِشِدَّةِ تَوَغُّلِهِمْ فِي النِّفَاقِ؛ ظَنُّوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَّهُ يُمْكِنُهُمْ تَرْوِيجُ كَذِبِهِمْ بِالْأَيْمَانِ الْكَاذِبَةِ عَلَى عَلَّامِ الْغُيُوبِ، فَكَانَ هَذَا الْحَلِفُ الذَّمِيمُ يَبْقَى مَعَهُمْ أَبَدًا، وَإِلَيْهِ الْإِشَارَةُ بِقَوْلِهِ: (وَلَوْ رُدُّوا لَعادُوا لِما نُهُوا عَنْهُ) (الْأَنْعَامِ: 28)"[1].

وعندما عرضت الآيات مثالاً عملياً على هذا الخلق، وهو الحلف على الكذب، بينت خطورته، ذلك أنه يستعمل في صد الناس عن سبيل الله، كما أن له خطورة أخرى على صاحبه، من خلال بيان ما أعده الله لهم من عذاب، وصف بأنه شديد.

[1]- الرازي، **مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير**، ج29، ص498.

وآية أخرى تتوعد الكاذبين وتبين أن استمتاعهم في الدنيا الذي وصلوا له عن طريق الكذب، هو استمتاع مؤقت وزائل، وتبين أن عاقبتهم ستكون عذابا شديداً، وهذا ما سيتبين معنا من الهدف الثالث.

الهدف الثالث: بيان أن استحقاق الذين يفترون علي الله الكذب العذاب الأليم، بسبب كذبهم على الله وكفرهم به، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ (69) مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ (70)﴾ (سورة يونس:69-70).

قد يعتقد المكذبون بأنهم يستطيعون بكذبهم خداع الناس، وتحقيق المكاسب الدنيوية، لكن القرآن الكريم يكشف خسرانهم، وضعف موقفهم في الآخرة، ويتوعدهم بالعذاب الشديد بسبب تكذيبهم وكفرهم، نافياً الفلاح عنهم، ويشرح الإمام القاسمي سبب نفي الفلاح عن المكذبين، فيقول: "والآية لبيان أن ما يتراءى من فوزهم بالحظوظ الدنيوية، بمعزل من أن يكون من جنس الفلاح، كأنه قيل: كيف لا يفلحون وهم في غبطة ونعيم؟ فقيل: هو متاع يسير في الدنيا، وليس بفوز بالمطلوب"[1].

ومن الملاحظ أن آيات القرآن الكريم عند حديثها عن المكذبين عادة ما تربط الكذب بالكفر، وتنفي عن المكذبين الفلاح، ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى: (وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ) (سورة النحل: 116).

1 – القاسمي، **محاسن التأويل**، ج6، ص49.

المطلب الثاني: خلق الفساد

الفساد لغة واصطلاحاً:

الفساد في اللغة عكس الصلاح، وضده الاستقامة والاعتدال، فيقول العلامة ابن سيده: "الفَسادُ نقيضُ الصَّلاحِ" 1، ويقول الزبيدي: " فسد الشئ يفسد فسادا، فهو فاسد، وقوم فسدى، كما قالوا: ساقط وسقطى، وكذلك فسد الشئ بالضم، فهو فسيد، ولا يقال انْفَسَدَ، وأَفْسَدْتُهُ أنا، والاسْتِفْسادُ: خلاف الاستصلاح، والمَفْسَدَةُ: خلاف المصلحة"2.

وفي الاصطلاح فإن الفساد هو الخروج عن الاعتدال والاستقامة، يقول العالم الراغب الأصفهاني: "الفَسَادُ: خروج الشيء عن الاعتدال، قليلا كان الخروج عنه أو كثيرا، ويضادّه الصّلاح، ويستعمل ذلك في النّفس، والبدن، والأشياء الخارجة عن الاستقامة، يقال: فَسَدَ فَسَاداً وفُسُوداً، وأَفْسَدَهُ غيره، قال تعالى: (لَفَسَدَتِ السَّماواتُ وَالْأَرْضُ) (المؤمنون: 71)، وقال تعالى: (لَوْ كانَ فِيهِما آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتا) (الأنبياء: 22)"3.

إن خلق الفساد كان موضع ذم وتحذير في القرآن الكريم بصورة عامة، وقد أنكرت آيات القرآن الكريم على المفسدين في أكثر من موضع، ومن ذلك؛ قوله تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ (سورة القصص:77)، وآيات الوعد والوعيد تذم وتنفر من هذا الخلق، وتحذر منه من خلال بيان ما توعد الله به المفسدين في الأرض من عقاب وعذاب أليم.

---

1 – ابن سيده، **المحكم والمحيط الأعظم**، حرف السين، مادة (فَسَدَ) ج8، ص458.

2 – الزبيدي، **تاج العروس من جواهر القاموس**، باب الدال، فصل الفاء، مادة (فَسَدَ) ج2، ص519.

3 – الأصفهاني، **المفردات في غريب القرآن**، كتاب الفاء، مادة (فَسَدَ) ج1، ص636.

وهنالك عدد من الأهداف التربوية الأخلاقية المستفادة من آيات الوعد والوعيد في التحذير من هذا الخلق، سَيُكتفى في هذا المطلب بذكر ثلاثة منها، مع الاستشهاد بالآيات القرآنية، وأقوال المفسرين، حولها، وهذه الأهداف هي:

1. بيان أنواع الفساد، وعاقبة المفسدين، واستحقاقهم لما أعده الله لهم من عذاب أليم.
2. إدراك بعض صفات المفسدين، ومنها التقول على الله والافتراء عليه، وإشعال الحروب ضد المؤمنين، وما أعده الله لهم من عذاب أليم.
3. بيان أن نقض العهود، وقطع ما أمر الله به أن يوصل من خصائص المفسدين في الأرض.

أما آيات الوعد والوعيد التي عرضت هذه الأهداف، فهي على النحو التالي:

الهدف الأول: بيان أنواع الفساد، وعاقبة المفسدين، واستحقاقهم لما أعده الله لهم من عذاب أليم، كما في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ (204) وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ (205) وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ (206)﴾ (سورة البقرة:204-205).

فالآية تذكر شكلا من أشكال الفساد، وهو إهلاك الزرع والولد، وتصف نفسية المفسد في الأرض، باستكباره وإصراره على المعصية، ووعيد الله له بجهنم وبئس المهاد، ولا يخفى ما للإفساد في الأرض من أثر سلبي، يذكره الإمام القاسمي من خلال تفسير قوله تعالى: (وَإِذا تَوَلَّى)، فيقول: "أي: انصرف عمّن خدعه بكلامه، و(سَعى): مشى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيها بإدخال الشبه في قلوب المسلمين، وباستخراج الحيل في تقوية الكفر، وهذا المعنى يسمّى فسادا،

كقوله تعالى- حكاية عن قوم فرعون: (أَتَذَرُ مُوسى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ) (الأعراف: 127)، أي: يردّوا قومك عن دينهم ويفسدوا عليهم شرعتهم، وسمّي هذا المعنى فسادا لأنه يوقع الاختلاف بين الناس، ويفرق كلمتهم، ويؤدي إلى أن يتبرأ بعضهم من بعض، فتنقطع الأرحام، وتتسفك الدماء"1.

وبعدما عرضت الآيات نوع الفساد وبينت أثره السلبي على الناس والحياة، ذمت عاقبة المفسدين وتوعدتهم بالعذاب في جهنم جزاءً على إفسادهم في الدنيا.

ومن أشكال الفساد أيضاً إطلاق الأكاذيب، والأقاويل على الله -عز وجل-، والتقول عليه بما لا يليق، كما فعل كفار اليهود، وهذا هو ما سيتبين معنا في الهدف الثاني.

الهدف الثاني: إدراك بعض صفات المفسدين، ومنها التقول على الله والافتراء عليه، وإشعال الحروب ضد المؤمنين، وما أعده الله لهم من عذاب أليم، كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (64)﴾ (سورة المائدة: 64).

فتعرض الآية الكريمة طرفاً من صفات المفسدين، وأنواعاً من إفسادهم، كالتطاول على الله -عز وجل-، ونسبة مالا يليق به إليه، ومحاولة الصد عن سبيل الله بإشعال نار الفتنة، وهذا كله عده القرآن فساداً، وذلك لما فيه من وقاحة في التعامل مع الله، وكذلك ما له من دور خطير، في صد الناس عن دين الله.

1 - القاسمي، **محاسن التأويل**، ج4، ص82.

ويوضح الإمام السمرقندي معنى الفساد في قوله تعالى:(وَيَسْعَوْنَ في الأرض فَسَاداً)، أي: يجتهدون في الكيد للإسلام وأهله، وإثارة الشر والفتنة فيما بينهم، مما يُغايرُ ما عبَّر عنه بإيقاد نارِ الحرب"[1].

ويشرح الشيخ محمد عبده خطورة موقف كفار اليهود المعبر عنه (وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا) بقوله: "أَيْ إِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا فِيمَا يَأْتُونَهُ، أَوْ عَلَى مَا يَأْتُونَهُ مِنْ عَدَاوَةِ النَّبِيِّ وَالْمُؤْمِنِينَ، وَإِيقَادِ نِيرَانِ الْحَرْبِ وَالْفِتَنِ وَالْقِتَالِ، مُصْلِحِينَ لِلْأَخْلَاقِ وَالْأَعْمَالِ، أَوْ لِشُئُونِ الِاجْتِمَاعِ وَالْعُمْرَانِ، بَلْ كَانُوا يَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ سَعْيَ فَسَادٍ، أَوْ لِأَجْلِ الْفَسَادِ، بِمُحَاوَلَةِ مَنْعِ اجْتِمَاعِ كَلِمَةِ الْعَرَبِ، وَخُرُوجِهِمْ مِنَ الْأُمِّيَّةِ إِلَى الْعِلْمِ، وَمِنَ الْوَثَنِيَّةِ إِلَى التَّوْحِيدِ، وَبِالْكَيْدِ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَتَشْكِيكِهِمْ فِي الدِّينِ; حَسَدًا لَهُمْ، وَحُبًّا فِي دَوَامِ امْتِيَازِهِمْ عَلَيْهِمْ، وَاللهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ، فَلَا يَصْلُحُ عَمَلُهُمْ، وَلَا يَنْجَحُ سَعْيُهُمْ; لِأَنَّهُمْ مُضَادُّونَ لِحِكْمَتِهِ فِي صَلَاحِ النَّاسِ وَعُمْرَانِ الْبِلَادِ"[2].

ومن أشكال الفساد الأخرى؛ نقض العهد مع الله، وقطع ما أمر بوصله، وهذه الأعمال أوجبت علي الكافرين المفسدين اللعنة وسوء المصير، وهذا ما يدور حوله الهدف الثالث.

الهدف الثالث: بيان أن نقض العهود، وقطع ما أمر الله به أن يوصل من خصائص المفسدين في الأرض، كما في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ (25)﴾ (سورة الرعد:25).

فالآيات تتوعد المفسدين بالطرد من رحمة الله، وبالعاقبة السيئة في جهنم، ذلك أنهم نقضوا العهود، وقطعوا الأرحام وغيرها، وهذا كله من أشكال الفساد التي وردت في الآيات.

---

[1] – أبو السعود، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، ج3، ص59.

[2] – رشيد رضا، **تفسير القرآن الحكيم** المسمى **(تفسير المنار)**، ج6، ص380.

ويشرح الإمام الألوسي معنى (القطع) الوارد في الآية، من خلال تفسير قوله تعالى: (وَيَقْطَعُونَ ما أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ)، فيقول: "أي: من الإيمان بجميع الأنبياء -عليهم السلام- المجتمعين على الحق، حيث يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض، ومن حقوق الأرحام، وموالاة المؤمنين، وغير ذلك"[1].

ويوضح الشيخ المراغي المقصود بـ(الفساد)، وعاقبة المفسدين في قوله تعالى: (وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ)، فيقول: "بظلمهم لأنفسهم وظلمهم لغيرهم، بابتزاز أموالهم، واغتصابها بلا حق، وتهييج الفتن بين المسلمين، وإثارة الحرب عليهم، وإظهار العدوان لهم، ثم حكم عليهم بما يستحقون، بما دسّوا به أنفسهم فقال: (أُولئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ)، أي: أولئك الذين اتصفوا بهذه المخازي، وسيء الصفات، لهم بسبب ذلك الطرد من رحمته ورضوانه، والبعد من خيري الدنيا والآخرة، (وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ)، أي: ولهم سوء العاقبة، وهو عذاب جهنم، جزاء وفاقا، لما اجترحوه من السيئات، وأتوا به من الشرور والآثام"[2].

وبهذا يتبين لنا أن خلق الفساد من الأخلاق التي ذمتها آيات الوعد والوعيد، وحذرت وتوعدت فاعله باللعنة والعذاب الأليم، كما بينت أن أكبر أشكال الفساد في الأرض يكون بالصد عن سبيل الله.

---

[1] – الألوسي، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، ج7، ص139.

2 – المراغي، أحمد بن مصطفى، **تفسير المراغي**، ج13، ص97.

المطلب الثالث: التبعية الجاهلية

التبعية لغة واصطلاحاً:

التبعية لغة تعني المشي خلف الغير، فيقول الجوهري: "تَبِعْتُ القومَ تَبَعاً وتَباعَةً بالفتح، إذا مشيت خلفهم، أو مَرُّوا بك فمضيتَ معهم; وكذلك اتبعتهم، وهو افتعلت، وأتبعت القوم على أفعلت، إذا كانوا قد سبقوك فلحِقتَهم"[1].

وفي الاصطلاح، تعني الإتباع بالجسم أو بالموقف والرأي، حيث يقول العلامة الأصفهاني: "يقال: تَبِعَهُ واتَّبَعَهُ: قفا أثره، وذلك تارة بالجسم، وتارة بالارتسام والائتمار، وعلى ذلك قوله تعالى: (فَمَنْ تَبِعَ هُدايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ) (البقرة/ 38)، (قالَ يا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ اتَّبِعُوا مَنْ لا يَسْئَلُكُمْ أَجْراً) (يس: 20- 21)، (فَمَنِ اتَّبَعَ هُدايَ) (طه: 123)"[2].

وقد تم المطلب الثالث من المبحث الأول من هذا الفصل الحديث عن التوكل على الله، باعتباره أحد أخلاق الذين آمنوا وعملوا الصالحات، الذين وثقوا بربهم وجعلوا توكلهم عليه وحدة، (وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل)، وفي المطلب الذي بين أيدينا سيكون الحديث عن أحد المواقف الأخلاقية للذين كفروا، والتي تتعارض مع خلق التوكل على الله، والتي يحذر منها القرآن الكريم، ألا وهي الركون للكافرين وما قد يتبع ذلك من التبعية الجاهلية المنهي عنها.

فهنالك عدد من الأهداف التربوية الأخلاقية المستفادة من آيات الوعد والوعيد في التحذير من التبعية الجاهلية، وذمها، سَيُكتفى في هذا المطلب بذكر ثلاثة منها، مع الاستشهاد بالآيات القرآنية، وأقوال المفسرين، حولها، وهذه الأهداف هي:

---

[1] - الجوهري، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، باب العين، فصل التاء، مادة (تَبِعَ) ج3، ص1189-1190.

[2] - الأصفهاني، **المفردات في غريب القرآن**، كتاب التاء، مادة (تَبِعَ) ج1، ص163.

1. التعرف على أشكال التبعية الجاهلية، وإدراك خطرها، حيث أنها تعد شكلا من أشكال اتخاذ الأنداد من دون الله، وأن التابعين والمتبوعين استحقوا دخول النار.

2. بيان أن استحقاق التابعين العذاب الأليم، بسبب أنهم سمحوا لساداتهم وكبرائهم بإضلالهم عن سواء السبيل، وكفرهم بالله ورسوله.

3. توضيح أن التبعية الجاهلية للأجداد على غير هدى وبصيرة، هي استجابة لدعوات الشيطان، والتي تؤدي بالتابعين إلى عذاب السعير.

أما آيات الوعد والوعيد التي عرضت هذه الأهداف، فهي على النحو التالي:

الهدف الأول: التعرف على أشكال التبعية الجاهلية، وإدراك خطرها، حيث أنها تعد شكلا من أشكال اتخاذ الأنداد من دون الله، وأن التابعين والمتبوعين استحقوا دخول النار، كما في قوله تعالى: (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آَمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ (165) إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ (166) وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ (167)) (سورة البقرة: 165-167).

فتعرض الآيات شكلاً من أشكال التبعية الجاهلية المتمثل في الميل القلبي والعملي للرؤساء والكبراء من دون الله، الذين سمتهم الآية (أنداداً)، وتعد الآيات الكريمة التبعية الجاهلية نوعاً من أنواع الظلم، والشرك بالله، وتتوعد الفريقين (الَّذِينَ اتُّبِعُوا)، و(الَّذِينَ اتَّبَعُوا) بالعذاب، والإمام سيد قطب يبين مشاعر الحسرة والندامة التي تغمر التابعين يوم القيامة، فيقول: "أولئك الذين اتخذوا من دون الله أندادا، فظلموا الحق، وظلموا أنفسهم، لو مدوا بأبصارهم إلى يوم يقفون

بين يدي الله الواحد لو تطلعوا ببصائرهم إلى يوم يرون العذاب الذي ينتظر الظالمين لو يرون لرأوا (أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا) فلا شركاء ولا أنداد (وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ) لو يرون إذ تبرأ المتبوعون من التابعين ورأوا العذاب، فتقطعت بينهم الأواصر والعلاقات والأسباب، وانشغل كل بنفسه تابعاً كان أم متبوعاً، وسقطت الرياسات والقيادات التي كان المخدوعون يتبعونها، وعجزت عن وقاية أنفسها فضلاً عن وقاية تابعيها، وظهرت حقيقة الأُلوهية الواحدة والقدرة الواحدة، وكذب القيادات الضالة وضعفها وعجزها أمام الله وأمام العذاب"1.

ويبين الشعراوي الحكمة من أن الآية بدأت بالذين اتُبعوا، فيقول: "وجاءت الآية بالذين (اتُّبِعُوا) أولا لأنهم المفتون فيهم، ثم جاءت بالذين (اتَّبَعُوا) من بعد ذلك، إنهم يرون العذاب وتتقطع بهم الأسباب، وأصبحت كل نفس بما كسبت رهينة، والشيطان نفسه يعترف بأنه لم يكن صاحب سلطان إلا بأن داهم، فمن استجاب له، جيء به إلى هذا المصير"2.

وشكل آخر من أشكال الضعف في الرأي والمواقف، يكون بإتباع السادة والكبراء الذين هم على ضلال، دون تفكير، أو إعمال عقل، مما أدى بهم إلى سوء الخاتمة، كما سيتبين من الهدف الثاني.

الهدف الثاني: بيان أن استحقاق التابعين العذاب الأليم، بسبب أن سمحوا لساداتهم وكبرائهم بإضلالهم عن سواء السبيل، وكفرهم بالله ورسوله، كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا (64) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (65) يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا (66) وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا

1- سيد قطب، (ت1386هـ)، **في ظلال القرآن** (بيروت: مطابع الشرق، ط15، 1408هـ/1988م) ج1، ص154.

2- الشعراوي، محمد متولي (ت1418هـ)، **تفسير الشعراوي- الخواطر** (مصر: مطابع أخبار اليوم، د.ط، 1997م) ج2، ص695.

وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا (67) رَبَّنَا آَتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا (68)﴾ (سورة الأحزاب:64-68).

تبين الآيات كيف أوقع المقلدون -على غير بصيرة- أنفسهم في أزمة، سببها التقليد الأعمى للكبراء، لقد بين الإمام الْشوكاني المراد بالسادة والكبراء الواردة في الآية، حيث يقول: "وَالْمُرَادُ بِالسَّادَةِ وَالْكُبَرَاءِ: هُمُ الرُّؤَسَاءُ، وَالْقَادَةُ الَّذِينَ كَانُوا يَمْتَثِلُونَ أَمْرَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَيَقْتَدُونَ بِهِمْ، وَفِي هَذَا زَجْرٌ عَنِ التَّقْلِيدِ شَدِيدٌ"[1].

ويشرح الشيخ المراغي الموقف الصعب الذي وقع فيه الكافرون، في قوله تعالى: "(وَقالُوا رَبَّنا إِنَّا أَطَعْنا سادَتَنا وَكُبَراءَنا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا)، فيقول: "أي: وقال الكافرون يومئذ وهم في جهنم: ربنا إنا أطعنا أئمتنا في الضلالة، وكبراءنا في الشرك، فأضلونا السبيل، وأزالونا عن محجة الحق، وطريق الهدى من الإيمان بك، والإقرار بوحدانيتك، والإخلاص لطاعتك في الدنيا، وفي هذا إحالة الذنب على غيرهم، كما هي عادة المذنب، يفعل ذلك، وهو يعلم أنه لا يجديه نفعا"[2].

كما أن هنالك مثال آخر عن التبعية الجاهلية، والتقليد الأعمى للأجداد الذين كانوا على ضلالة، تودي بأصحابها إلى عذاب السعير، كما سيتبين في الهدف الثالث.

الهدف الثالث: توضيح أن التبعية الجاهلية للأجداد على غير هدى وبصيرة، هي استجابة لدعوات الشيطان، والتي تؤدي بالتابعين إلى عذاب السعير، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آَبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ (سورة لقمان:21).

---

1 – الشوكاني، **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، ج4، ص352.

2 – المراغي، أحمد بن مصطفى، **تفسير المراغي**، ج21، ص111.

حيث تعرض الآيات نوعاً من أنواع التقليد الأعمى للآباء والأجداد الذي يتمثل بالشرك بالله، دون تفكير أو إعمال عقل.

ويبين الإمام ابن جرير نوع التقليد الأعمى للآباء، وأنه أدى بهم للشرك، شارحا قوله تعالى: (وَإِذا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ) : "وَإِذَا قِيلَ لِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي تَوْحِيدِ اللَّهِ جَهْلًا مِنْهُمْ بِعَظَمَةِ اللَّهِ: اتَّبِعُوا أَيُّهَا الْقَوْمُ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ، وَصَدِّقُوا بِهِ، فَإِنَّهُ يُفَرِّقُ بَيْنَ الْمُحِقِّ مِنَّا وَالْمُبْطِلِ، وَيَفْصِلُ بَيْنَ الضَّالِّ وَالْمُهْتَدِي، فَقَالُوا: بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا مِنَ الْأَدْيَانِ، فَإِنَّهُمْ كَانُوا أَهْلَ حَقٍّ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ذِكْرُهُ : (أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ) [لقمان: 21] بِتَزْيِينِهِ لَهُمْ سُوءَ أَعْمَالِهِمْ، وَاتِّبَاعَهُمْ إِيَّاهُ عَلَى ضَلَالَتِهِمْ، وَكُفْرِهِمْ بِاللَّهِ وَتَرْكِهِمُ اتِّبَاعَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابِهِ عَلَى نَبِيِّهِ (إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ) [الحج: 4] يَعْنِي: عَذَابَ النَّارِ الَّتِي تَتَسَعَّرُ وَتَلْتَهِبُ"[1].

وبهذا يتبين لنا أن التبعية الجاهلية هي من أخلاق وصفات الذين كفروا، وقد كانت موضع ذم واستنكار، كما ظهر من خلال آيات الوعد والوعيد السابقة، كما توعدت الآيات من يتبع الأجداد، أو السادات والكبراء في الشرك والضلال، على غير هدى وبصيرة، بالعذاب الأليم.

المطلب الرابع: خلق الفحش والمنكر

الفحش لغة واصطلاحاً:

الفحش في اللغة تعني الفعل القبيح الذي تستنكره الفطر السليمة.

[1] – الطبري، ابن جرير، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ج18، ص568.

فيقول العلامة ابن سيده:"الفُحْشُ والفحشاءُ والفاحِشَةُ: الْقَبِيح من القَوْل وَالْفِعْل"[1]، كما يقول العلامة الفيروزآبادي: "الفاحِشَةُ: الزِّنَا، وما يَشْتَدُّ قُبْحُهُ من الذُّنُوبِ، وكلُّ ما نَهَى اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عنه. والفَحْشاء: البُخْلُ في أداء الزَّكاةِ. والفاحِشُ: البخيلُ جِدّاً، والكثيرُ الغالِبُ"[2].

أما المعنى الاصطلاحي للفحشاء؛ فيبينه العلامة الجرجاني، حيث يقول: "الفحشاء: هو ما ينفر عنه الطبع السليم، ويستنقصه العقل المستقيم"[3].

إن الفحشاء من الأخلاق التي نهى عنها القرآن الكريم عامة، وكانت موضع تحذير، وقد عد القرآن الفحشاء من أفعال الشيطان، ومن الأمثلة على ذلك؛ قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (168) إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (169)﴾ (سورة البقرة:168-169)، وآيات الوعد والوعيد تذم وتنفر من هذا الخلق، وتحذر منه من خلال بيان ما توعد الله به من يسعى بالفحشاء والمنكر من عذاب أليم.

وهنالك عدد من الأهداف التربوية الأخلاقية المستفادة من آيات الوعد والوعيد في التحذير من هذا الخلق، وذمه، سَيُكتفى في هذا المطلب بذكر ثلاثة منها، مع الاستشهاد بالآيات القرآنية، وأقوال المفسرين، حولها، وهذه الأهداف هي:

1. توضيح شكل من أشكال العدوان لدى الكافرين، المتمثل في تقبلهم للمنكر، مع عدم النهي عنه.

---

[1] – ابن سيده، **المحكم والمحيط الأعظم**، حرف السين، مادة (فَحَشَ) ج3، ص114.

[2] – الفيروزآبادي، **القاموس المحيط**، باب الشين، فصل الفاء، مادة (فَحَشَ) ج1، ص600.

[3] – الجرجاني، **كتاب التعريفات**، ج1، ص165.

2. إدراك بعض صفات المنافقين، ومنها الأمر بالمنكر، والنهي عن المعروف، وبيان أن استحقاق المنافقين والكافرين للعنة وسوء المصير، إنما كان بسبب هذه الصفة فيهم.

3. التعرف على أحد المواقف النفسية للكافرين، وهو محبة إشاعة الفاحشة بين المؤمنين.

أما آيات الوعد والوعيد التي عرضت هذه الأهداف، فهي على النحو التالي:

الهدف الأول: توضيح شكل من أشكال العدوان لدى الكافرين، المتمثل في تقبلهم للمنكر، مع عدم النهي عنه، كما في قوله تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (78) كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (79) تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ (80)﴾ (سورة المائدة:78–80).

تتوعد الآيات الكفار بالخلود في العذاب الأليم، وذلك أنهم استحقوا اللعنة وسخط الله عليهم، بسبب عدوانهم، وتبين أن وصفهم بالعدوان كان بسبب أنهم يستسيغون المنكر الذي فشا بينهم، وعدم نهيهم عنه، بالإضافة إلى توليهم الكافرين وميلهم إليهم، والوعيد الشديد الذي في الآيات لمن لا ينهي عن المنكر، إنما هو بسبب ما لهذا الفعل من أثر سلبي على المجتمع، وتشجيع على إشاعة الفاحشة.

لذا نجد الإمام أبي حيان الأندلسي خطورة تفشي الفاحشة وعدم الأخذ على يد العاصي، من خلال تفسير قوله تعالى: (كانُوا لَا يَتَناهَوْنَ عَنْ مُنكَرٍ فَعَلُوهُ)، فيقول: "أَيْ: لَا يَنْهَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ جَمَعُوا بَيْنَ فِعْلِ الْمُنْكَرِ وَالتَّجَاهُرِ بِهِ، وَعَدَمِ النَّهْيِ عَنْه، وَالْمَعْصِيَةُ إِذَا فُعِلَتْ وَقُدِّرَتْ عَلَى الْعَبْدِ يَنْبَغِي أَنْ يَسْتَتِرَ بِهَا مَنِ ابْتُلِيَ مِنْكُمْ بِشَيْءٍ مِنْ هَذِهِ الْقَاذُورَاتِ فَلْيَسْتَتِرْ، فَإِذَا

فُعِلَتْ جهارا وتواطؤا عَلَى عَدَمِ الْإِنْكَارِ كَانَ ذَلِكَ تَحْرِيضًا عَلَى فِعْلِهَا وَسَبَبًا مُثِيرًا لِإِفْشَائِهَا وَكَثْرَتِهَا ".[1]

وعدم النهي عن الفحشاء يعد دليلاً على قبول المجتمع لها، والمساعدة بذلك في انتشارها، وهذه ظاهرة اجتماعية خطيرة ومرحلة من مراحل تدمير المجتمعات، والمرحلة التي تليها وتعد أخطر منها، هي مرحلة الأمر بالمنكر، والنهي عن المعروف، وهذا ما سيعرض في الهدف الثاني.

الهدف الثاني: إدراك بعض صفات المنافقين، ومنها الأمر بالمنكر، والنهي عن المعروف، وبيان أن استحقاق المنافقين والكافرين للعنة وسوء المصير، إنما كان بسبب هذه الصفة فيهم، كما في قوله تعالى: (الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (67) وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ (68)) (سورة التوبة:67-68).

تتوعد الآيات المنافقين والمنافقات باللعنة، وبالخلود في نار جهنم، وتبين أن وصفهم بالفسوق كان بسبب أنهم كانوا يأمرون بالمنكر، ولم يكتفوا بذلك، بل كانوا ينهون عن المعروف أيضاً، متجاهلين أمر الله تعالى، وهذا يعتبر من أشكال العمل على تفشي الفواحش في المجتمع، وهو عكس ما يريده الله من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ويبين الشيخ المراغي معنى المنكر المنسوب للمنافقين، فيقول: "والمنكر: إما شرعي وهو ما يستقبحه الشرع وينكره، وإما فطري: وهو ما تستنكره العقول الراجحة والفطر السليمة لمنافاته للفضائل والمنافع الفردية والمصالح العامة، وضده المعروف"1.

[1] – أبو حيان الأندلسي، **البحر المحيط في التفسير**، ج4، 337.

وبعد أن تبين لنا من الهدف السابق أن المنافقين لم يكتفوا بالسعي في الأمر بالمنكر، بل عملوا على النهي عن المعروف كذلك، الهدف الثالث سيبين أحد المواقف العملية والنفسية للكفار، والمتعلقة بحب إشاعة الفاحشة بين المؤمنين.

الهدف الثالث: التعرف على أحد المواقف النفسية للكافرين، وهو محبة إشاعة الفاحشة بين المؤمنين، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آَمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآَخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (19)﴾ (سورة النور:19).

حيث تتوعد الآيات من يسعون إلى تفشي الفاحشة بين المحصنين والمحصنات من المؤمنين بالعذاب الأليم في الدنيا والآخرة، وهذا الموقف النفسي يبينه الإمام القرطبي من خلال تفسير قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفاحِشَةُ)، حيث يقول: "شَاعَ الشَّيْءُ شُيُوعًا وشيعا وشيعانا وشيوعه، أَيْ ظَهَرَ وَتَفَرَّقَ. (فِي الَّذِينَ آَمَنُوا) أَيْ فِي الْمُحْصَنِينَ وَالْمُحْصَنَاتِ، وَالْمُرَادُ بِهَذَا اللَّفْظِ الْعَامِّ عَائِشَةُ وَصَفْوَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا[2]، وَالْفَاحِشَةُ: الْفِعْلُ الْقَبِيحُ الْمُفْرِطُ الْقُبْحِ. وَقِيلَ:

---

1 – المراغي، أحمد بن مصطفى، **تفسير المراغي**، ج21، ص111.

2 – وذلك في حادثة الإفك، وقد أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما حديث الإفك، وملخص القصة كما وردت في كتب الحديث والسيرة: أن المنافقين استغلوا حادثة وقعت لأم المؤمنين عائشة –رضي الله عنها– في طريق العودة من غزوة بني المصطلق، حين نزلت من هودجها لبعض شأنها، فلما عادت افتقدت عقدا لها، فرجعت تبحث عنه، وحمل الرجال الهودج ووضعوه على البعير وهم يحسبون أنها فيه، وحين عادت لم تجد الرَكْب، فمكثت مكانها تنتظر أن يعودوا إليها بعد أن يكتشفوا غيابها، وصادف أن مر بها أحد أفاضل أصحاب النبي –صلى الله عليه وسلم– وهو صفوان بن المعطل السلمي –رضي الله عنه–، فحملها على بعيره، وأوصلها إلى المدينة، فاستغل المنافقون هذا الحادث، ونسجوا حوله الإشاعات الباطلة، فاتُهمت أم المؤمنين عائشة بالإفك، ثم جاءت براءتها من الله، ونزل في ذلك آيات من سورة النور، ينظر الحديث كاملاً في المصدر: البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب المغازي، باب غزوة بني المصطلق، ص 463، رقم (4141)، ومسلم، **صحيح مسلم**، كتاب التوبة، باب في حديث الإفك وقبول توبة القاذف، ص689، رقم (2770).

الْفَاحِشَةُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْقَوْلُ السَّيِّئُ، (لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا) أَيِ الْحَدُّ، وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ، أَيْ لِلْمُنَافِقِينَ، فَهُوَ مَخْصُوصٌ"1.

كما أن في الآيات تهديد ووعيد لمحبي إشاعة الفاحشة، وحول هذا الموقف يقول الإمام الْشوكاني: "ثُمَّ هَدَّدَ سُبْحَانَهُ الْقَاذِفِينَ وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَتَسَامَعَ النَّاسَ بِعُيُوبِ الْمُؤْمِنِينَ وَذُنُوبِهِمْ فَقَالَ: (إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا)، أَيْ: يُحِبُّونَ أَنْ تفشوا الْفَاحِشَةُ وَتَنْتَشِرَ، مِنْ قَوْلِهِمْ شَاعَ الشَّيْءُ يَشِيعُ شُيُوعًا وَشَيْعًا وَشَيَعَانًا: إِذَا ظَهَرَ وَانْتَشَرَ، وَالْمُرَادُ بالذين آمنوا: المحصنون العفيفون، أَوْ: كُلُّ مَنِ اتَّصَفَ بِصِفَةِ الْإِيمَانِ، وَالْفَاحِشَةُ: هي فاحشة الزنا أو القول السّيّئ، (لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيا) بِإِقَامَةِ الْحَدِّ عَلَيْهِمْ، (وَالْآخِرَةِ) بِعَذَابِ النَّارِ"2.

ومما سبق يظهر لنا أن محبة إشاعة الفاحشة والأمر بالمنكر من أخلاق وصفات المنافقين والكافرين، والتي كانت موضع ذم واستنكار، كما ظهر من خلال آيات الوعد والوعيد السابقة المصير المخزي، لمن يقوم بهذا الخلق من استحقاق اللعنة، والعذاب الأليم، في الدنيا والآخرة.

---

[1] – القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد آبي بكر بن فرج الأنصاري الخزرجي (ت671هـ)، **الجامع لأحكام القرآن**، ج6، ت: أحمد البردوني وإبراهيم طفيش (القاهرة: دار الكتب المصرية، ط2، 1384هـ/1964م) ج12، ص206.

2 – الشوكاني، **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، ج4، ص17.

المطلب الخامس: خلق الكبر

الكبر لغة واصطلاحاً:

الكبر في اللغة يعني الترفع والعظم، فيقول العلامة الفيروزآبادي: "والكِبْرُ: مُعْظَمُ الشيءِ، والشَّرَفُ، ويُضَمُّ فيهما، والإِثمُ الكبيرُ، كالكِبْرَةِ، بالكسر، والرِّفْعَةُ في الشَّرَفِ، والعَظَمَةُ، والتَّجَبُّرُ، كالكِبْرياءِ. وقد تَكَبَّرَ واسْتَكْبَرَ وَتَكابَرَ"[1].

ويقول العلامة الأصفهاني: "والْكِبْرُ والتَّكَبُّرُ والِاسْتِكْبَارُ تتقارب، فالكبر الحالة التي يتخصّص بها الإنسان من إعجابه بنفسه، وذلك أن يرى الإنسان نفسه أكبر من غيره، وأعظم التّكبّر؛ التّكبّر على الله بالامتناع من قبول الحقّ والإذعان له بالعبادة"[2].

والمعنى الاصطلاحي للكلمة يقترب من المعنى اللغوي، حيث يقول الإمام السيوطي: "الكِبْرُ: رفع الْإِنْسَان فَوق قدره، وَقيل ظَنّه بِنَفسِهِ أَنه أكبر من غَيره"[3].

إن خلق الكبر، أو الاستكبار كان موضع ذم وتحذير في القرآن الكريم بصورة عامة، ومن ذلك؛ قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنْكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ (سورة المائدة:173)، وآيات الوعد والوعيد تذم وتنفر من هذا الخلق، وتحذر منه من خلال بيان ما توعدهم الله به من عذاب أليم.

وهنالك عدد من الأهداف التربوية الأخلاقية المستفادة من آيات الوعد والوعيد في التحذير من هذا الخلق، وذمه، سَيُكتفى في هذا المطلب بذكر ثلاثة منها، مع الاستشهاد بالآيات القرآنية، وأقوال المفسرين، حولها، وهذه الأهداف هي:

---

[1] – الفيروزآبادي، **القاموس المحيط**، باب اللام، فصل الباء، مادة (كَبُر) ج1، ص468.

[2] – الأصفهاني، **المفردات في غريب القرآن**، باب الكاف، مادة (كَبُر)ج1، ص679.

[3] – السيوطي، **معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم**، ج1، ص204.

1. فهم العلاقة بين الاستكبار والتكذيب بالله، واستحقاق المستكبرين إطلاق وصف الإجرام والظلم عليهم.

2. التعرف على شكل من أشكال ترفع المستكبرين عن قبول الرسالات.

3. إدراك المصير المؤلم النفسي والجسدي الذي ينتظر المكذبين المستكبرين يوم القيامة.

أما آيات الوعد والوعيد التي عرضت هذه الأهداف، فهي على النحو التالي:

الهدف الأول: فهم العلاقة بين الاستكبار والتكذيب بالله، واستحقاق المستكبرين إطلاق وصف الإجرام والظلم عليهم، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ (40) لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ (41)﴾ (سورة الأعراف:40-41).

تبين الآيات أن استكبار الكافرين هو الذي دفعهم للتكذيب بآيات الله والترفع عن قبولها، وهم بذلك الموقف استحقوا دخول جهنم، وفي معنى الاستكبار يقول الإمام فخر الدين الرازي: "وَمَعْنَى الِاسْتِكْبَارِ طَلَبُ التَّرَفُّعِ بِالْبَاطِلِ وَهَذَا اللَّفْظُ فِي حَقِّ الْبَشَرِ يَدُلُّ عَلَى الذَّمِّ قَالَ تَعَالَى فِي صِفَةِ فِرْعَوْنَ: وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ (القصص: 39) "[1].

أما عاقبة استكبارهم فقد كانت في إغلاق أبواب السماوات لأعمالهم في حياتهم، كما تفتح لأرواحهم بعد الموت، وفي هذا يقول الشيخ المراغي: "أي إن الذين كذبوا بأدلتنا ولم يتبعوا رسلنا وتكبروا عن التصديق بما جاءوا به، وأنفوا من الانقياد لها لا تفتح لأرواحهم إذا خرجت من أجسادهم أبواب السماء، ولا يصعد لهم في حياتهم قول ولا عمل، لأن أعمالهم خبيثة، وإنما يرفع

[1]- الرازي، **مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير**، ج14، ص240.

إلى الله الكلم الطيب والعمل الصالح كما قال: (إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُه) (سورة فاطر:10) "[1].

وقد يدفع الكبر صاحبه للتطاول على الله وعلى رسله، بطلب رؤية الله، ورؤية الملائكة، استكباراً وعلواً، وهذا ما يعبر عنه الهدف الثاني.

الهدف الثاني: التعرف على شكل من أشكال ترفع المستكبرين عن قبول الرسالات، وذلك بطلبهم رؤية الله، ورؤية الملائكة، كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا (21) يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا (22) ﴾ (سورة الفرقان:21-22).

فتعرض الآيات موقفا من مواقف استكبار الكافرين وعتوهم، المتمثل في طلبهم رؤية الله -عز وجل-، ورؤية الملائكة، وفعلهم هذا كان محل استنكار وذم، لأنهم طلبوا ما لا يستحقون، وحول هذا المعنى يقول الإمام البقاعي: "ولما كان حاصل أمرهم أنهم طلبوا رتبة النبي -صلى الله عليه وسلم- الذي واسطته الملك، وزادوا عليه رؤية جميع الملائكة الآخذين عن الله، وزادوا على ذلك بطلب الرؤية، قال: (وَعَتَوْا) أي وجاوزوا الحد في الاستكبار بما وراءه، من طلبهم رؤية جميع الملائكة ورؤية الملك الجبار، وزاد في تأكيد هذا المعنى لاقتضاء المقام له بقوله: (عُتُوًّا كَبِيرًا)"[2].

وبسبب موقفهم هذا واستكبارهم، فقد استحقوا الوصف بالإجرام، واستحقوا التنكيل كذلك، حيث يقول الإمام الشنقيطي: "وَوَصْفُهُ تَعَالَى عُتُوَّهُمُ الْمَذْكُورَ بِالْكِبْرِ، يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ بَالَغَ فِي إِفْرَاطِهِ، وَأَنَّهُمْ بَلَغُوا غَايَةَ الِاسْتِكْبَارِ، وَأَقْصَى الْعُتُوِّ، وَهَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ تَكْذِيبَ

1 - المراغي، **تفسير المراغي**، ج8، ص151.

2 -البقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، ج13، ص368-369.

الرُّسُلِ بَعْدَ دَلَالَةِ الْمُعْجِزَاتِ، وَوُضُوحِ الْحَقِّ وَعِنَادِهِمْ وَالتَّعَنُّتِ عَلَيْهِمْ بِطَلَبِ إِنْزَالِ الْمَلَائِكَةِ، أَوْ رُؤْيَةِ اسْتِكْبَارٍ عَنِ الْحَقِّ عَظِيمٌ وَعُتُوٌّ كَبِيرٌ يَسْتَحِقُّ صَاحِبُهُ النَّكَالَ، وَالتَّقْرِيعَ"1.

وبالإضافة للعذاب النفسي الذي توعدت به الآيات المستكبرين يوم القيامة، فقد توعدهم بالعذاب الجسدي في جهنم، كما يتبين من خلال الهدف الثالث.

الهدف الثالث: إدراك المصير المؤلم النفسي والجسدي الذي ينتظر المكذبين المستكبرين يوم القيامة، كما في قوله تعالى: ﴿أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (58) بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ (59) وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ(60) ﴾ (سورة الزمر:58-60).

فتبين الآيات مشاعر الحسرة والندم التي تصيب الكافرين يوم القيامة، وكيف أن هذا المصير المؤلم، والحكم عليهم بدخول جهنم، إنما كان بسبب تكذيبهم واستكبارهم في الدنيا، يشرح الشيخ المراغي موقف الحسرة للمتكبرين في الآخرة، فيقول: "إن هذا المقصر تحسر على التفريط في الطاعة، وفقد الهداية ثم تمنى الرجعة إلى الدنيا لتدارك ما فات، فأجابه سبحانه بقوله: (بَلى قَدْ جاءَتْكَ آياتِي فَكَذَّبْتَ بِها وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكافِرِينَ)، أي: إنه لا فائدة من ذلك، فقد جاءتك آياتي في الدنيا على لسان رسولي الذي أرسلته إليك وفي كتابي الذي يتلوه عليك، ويذكّرك بما فيه من وعد ووعيد، وتبشير وإنذار فكذبت بها واستكبرت عن قبولها، وكنت ممن يعمل عمل الكافرين ويستنّ بسنتهم، ويتّبع مناهجهم"2.

1 -الشنقيطي، محمد الآمين، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، ج6، ص38.

2 - المراغي، **تفسير المراغي**، ج24، ص25.

ويوضح الإمام الْشوكاني نوع الاستفهام في قَوْلِهِ تعالى: (أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوىً لِلْمُتَكَبِّرِينَ)"الاستفهام لِلتَّقْرِيرِ، أَيْ: لَيْسَ فِيهَا مَقَامٌ لِلْمُتَكَبِّرِينَ عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ، وَالْكِبْرُ هُوَ بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ"[1].

ومما سبق يلاحظ العلاقة بين خلقي الكبر والكذب، باعتبار أن الأول هو السبب للثاني، لأنه كثيرا ما يدفع الكبر صاحبه لإنكار الحق والتكذيب به، وقد توعدت الآيات المكذبين المتكبرين بالعذاب النفسي والجسدي جزاءً على عتوهم واستكبارهم.

المطلب السادس: خلق البخل

البخل لغةً واصطلاحاً:

البخل في لغة، هو مسك ذات اليد، وهو الخلق المذموم المعروف بأنه ضد الكرم، فيقول العلامة الفيروزآبادي :"البخل: الإِدْقاعُ الشَّديدُ"2. ويقول العالم ابن منظور: "البَخْل والبُخُول: ضِدُّ الْكَرَمِ "3.

واصطلاحاً البخل هو الحبس والإمساك، فيقول العلامة الأصفهاني: "البُخْلُ: إمساك المقتنيات عمّا لا يحق حبسها عنه، ويقابله الجود، فيقال: بَخِلَ فهو بَاخِلٌ، وأمّا البَخِيل فالذي يكثر منه البخل، كالرحيم من الراحم، والبُخْلُ ضربان: بخل بقنيات نفسه، وبخل بقنيات غيره، وهو أكثرها ذمّا، دليلنا على ذلك قوله تعالى: (الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ) (النساء:37)"4.

---

1 – الشوكاني، **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، ج4، ص541.

2 – الفيروزآبادي، **القاموس المحيط**، باب اللام، فصل الباء، مادة (بَخْل) ج1، ص964.

3 – ابن منظور، **لسان العرب**، باب اللام، فصل الباء، مادة (بَخْل) ج11، ص47.

4 – الأصفهاني، **المفردات في غريب القرآن**، كتاب الباء، مادة (بَخُلَ) ج1، ص109.

إن خلق البخل كان موضع ذم ولوم في القرآن الكريم بصورة عامة، ومن الأمثلة على ذلك؛ قوله تعالى: ﴿هَاأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾ (سورة محمد:38)، وآيات الوعد والوعيد تذم وتنفر من هذا الخلق، وتحذر منه من خلال بيان ما توعد الله به من يبخل بالعذاب.

وهنالك عدد من الأهداف التربوية الأخلاقية المستفادة من آيات الوعد والوعيد في التحذير من هذا الخلق، وذمه، سَيُكتفى في هذا المطلب بذكر ثلاثة منها، مع الاستشهاد بالآيات القرآنية، وأقوال المفسرين، حولها، وهذه الأهداف هي:

1. إدراك أن البخل لن ينفع صاحبه يوم القيامة، ذلك أن الوعيد للبخيل سيعذب بماله في ذلك اليوم.
2. بيان العلاقة بين البخل والكفر، ذلك أن موقف الكافرين من الإنفاق، إما البخل أو الرياء.
3. بيان أن استحقاق الكافرين للجزاء الأليم، بسبب بخلهم بما رزقهم الله، وكذبهم.

أما آيات الوعد والوعيد التي عرضت هذه الأهداف، فهي على النحو التالي:

الهدف الأول: إدراك أن البخل لن ينفع صاحبه يوم القيامة، بل إن البخيل سيعذب بماله في ذلك اليوم، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (180)﴾ (سورة آل عمران: 180).

فقد ينسى البخيل أن المال هو مال الله، وأن ما عنده من مال ما هو إلا من فضل الله عليه، وأن الله هو الغني، وأنه ملك السموات والأرض، فيدفعه حبه للمال إلى البخل والإمساك،

معتقداً أنه ينفع نفسه، بينما هو يضرها ، ويورد ها موارد الهلاك، يبين الإمام ابن كثير كيف يكون جمع المال مضرة للبخيل، فيقول في تفسير الآية: "لَا يَحْسَبَنَّ الْبَخِيلُ أَنَّ جَمْعَهُ الْمَالَ يَنْفَعُهُ بَلْ هُوَ مَضَرَّةٌ عَلَيْهِ فِي دِينِهِ، وَرُبَّمَا كَانَ فِي دُنْيَاهُ، ثُمَّ أَخْبَرَ بِمَآلِ أَمْرِ مَالِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَقَالَ: (سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيامَةِ)، قَالَ الْبُخَارِيُّ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُنِيرٍ، سَمِعَ أَبَا النَّضْرِ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ هُوَ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: (من آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَلَمْ يُؤَدِّ زَكَاتَهُ مُثِّلَ لَهُ شُجَاعًا أَقْرَعَ لَهُ زَبِيبَتَانِ يُطَوَّقُهُ يَوْمَ القيامة، يأخذ بلهزمتيه– يعني بشدقيه– ثم يَقُولُ: أَنَا مَالُكَ، أَنَا كَنْزُكَ)[1]، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ، (وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِما آتاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْراً لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ) إِلَى آخِرِ الْآيَةِ"[2].

ومن خلال تفسير الآية يتحدث الشيخ المراغي عن المراد بالبخل الذي تحذر منه الآيات، فيقول: "والمراد من البخل بالفضل؛ البخل به في أداء الزكاة المفروضة، وفى الأحوال التي يتعين فيها بذل المال كالإنفاق لصد عدو يجتاح البلاد ويهدد استقلالها، ويصبح أهلها أذلة بعد أن كانوا أعزة، أو إنقاذ شخص من مخالب الموت جوعا، ففي كل هذه الأحوال يجب بذل المال، لأنه يجرى مجرى دفع الضرر عن النفس، وليس الذم والوعيد على البخل بما يملك الإنسان من فضل ربه، إذ أن الله أباح لنا الطيبات لنستمتع بها، ولأن العقل قاض بأن الله لا يكلف الناس بذل كل ما يكسبون ويبقون عراة جائعين، ومن ثم قال في حق المؤمنين المهتدين: (وَمِمَّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ) (سورة البقرة:3)"3.

---

[1] – أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب التفسير، باب (ولا يحسبن الذين ...) الآية، ص 509، رقم (4565).

[2] – ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج2، ص153.

3 – المراغي، **تفسير المراغي**، ج4، ص145.

وللذين كفروا مع الإنفاق مواقف أخرى، تشكل خطراً على المجتمع، وذلك عندما يدفع حب النفس البخيل إلى إمساك يده وعدم مساعدة غيره – متجاهلاً مشاعر المحتاجين–، وضارباً المثل في الشح والبخل، مما قد يؤدي إلى إشاعة هذا الخلق الذميم بين الناس، كما سيتبين في الهدف الثاني.

الهدف الثاني: بيان العلاقة بين البخل والكفر، ذلك أن موقف الكافرين من الإنفاق، إما البخل أو الرياء، كما في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا (37) وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا (38)﴾ (سورة النساء:37–38).

تبين الآيات الموقف العملي الخطير الذي يصدر عن الكافر، عندما يبخل بإنفاق المال، ويدعو لتعزيز ونشر هذا الخلق في المجتمع، ويبين الإمام الْشوكاني خطورة هذا الموقف، فيقول: "وَهَؤُلَاءِ الْمَذْكُورُونَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ، ضَمُّوا إِلَى مَا وَقَعُوا فِيهِ مِنَ الْبُخْلِ الَّذِي هُوَ أَشَرُّ خِصَالِ الشَّرِّ مَا هُوَ أَقْبَحُ مِنْهُ وَأَدَلُّ عَلَى سُقُوطِ نَفْسِ فَاعِلِهِ، وَبُلُوغِهِ فِي الرَّذَالَةِ إِلَى غَايَتِهَا، وَهُوَ أَنَّهُمْ مَعَ بُخْلِهِمْ بِأَمْوَالِهِمْ وَكَتْمِهِمْ لِمَا أَنْعَمَ الله به عليهم من فضله، يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ، كَأَنَّهُمْ يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ مِنْ جُودِ غَيْرِهِمْ بِمَالِهِ حَرَجًا وَمَضَاضَةً"[1].

ولسوء هذا الخلق وتأثيره السلبي على المجتمع توعد الله من يبخل –ناسياً فضل الله عليه–، بالشقاوة في الآخرة، كما يتبين من الهدف الثالث.

الهدف الثالث: بيان أن استحقاق الكافرين للجزاء الأليم، بسبب بخلهم بما رزقهم الله، وكذبهم، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى (8) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى (9) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى (10) وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى (11)) (سورة الليل:8–11).

---

1 – الشوكاني، **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، ج1، ص538.

ولأن البخيل قد اختار لنفسه ألا يساهم في تفريج ضائقة محتاج، أو فك عسرة معسر، فقد كان عذبه في الآخرة بإحالته للعسرى، والشيخ ابن عاشور يبين حال ومكان من توعده الله بالعسرى، من خلال معنى (العسرى) الواردة في الآية، فيقول: "وَالْعُسْرَى: إِمَّا الْحَالَةُ وَهِيَ حَالَةُ الْعسر والشدة، أَي الْعَذَاب، وَإِمَّا مَكَانَتُهُ وَهِيَ جَهَنَّمُ، لِأَنَّهَا مَكَانُ الْعُسْرِ وَالشَّدَائِدِ عَلَى أَهْلِهَا قَالَ تَعَالَى: فَذلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ عَلَى الْكافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ (المدثر: 9-10)، فَمَعْنَى: (نُيَسِّرُهُ) نُدَرِّجُهُ فِي عَمَلَيِ السَّعَادَةِ وَالشَّقَاوَةِ"[1].

والآيات تربط حال البخيل بالجزاء الذي أعده الله له، فيقول سيد قطب: "والذي يبخل بنفسه وماله، ويستغني عن ربه وهداه، ويكذب بدعوته ودينه، يبلغ أقصى ما يبلغه إنسان بنفسه من تعريضها للفساد، ويستحق أن يعسر الله عليه كل شيء، فييسره للعسرى! ويوفقه إلى كل وعورة! ويحرمه كل تيسير! ويجعل في كل خطوة من خطاه مشقة وحرجا، ينحرف به عن طريق الرشاد، ويصعد به في طريق الشقاوة، وإن حسب أنه سائر في طريق الفلاح، وإنما هو يعثر فيتقي العثار بعثرة أخرى تبعده عن طريق الله، وتنأى به عن رضاه، فإذا تردى وسقط في نهاية العثرات والانحرافات لم يغن عنه ماله الذي بخل به، والذي استغنى به كذلك عن الله وهداه، (وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى)، والتيسير للشر والمعصية من التيسير للعسرى، وإن أفلح صاحبها في هذه الأرض ونجا، وهل أعسر من جهنم؟ وإنها لهي العسرى!"[2].

وبهذا يتبين لنا أن خلق البخل والإمساك عن الإنفاق من الأخلاق التي ذمتها آيات الوعد والوعيد، وحذرت وتوعدت فاعله باللعنة والعذاب الأليم، كما بينت أن من مواقف البخل الخطيرة؛ السعي لتفشي هذا البخل بين الناس، مع تجاهل احتياجات المحتاجين وعسرتهم.

---

[1] – ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج30، ص383.

2– سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج6، ص3922.

المطلب السابع: خلق الظلم

الظلم لغة واصطلاحاً:

الظلم في اللغة يعني الابتعاد عن الحق، وهو عكس العدل، فيقول العلامة الفيروزآبادي: "الظُّلْمُ، بالضم: وضْعُ الشيءِ في غير مَوْضِعِه"[1].

واصطلاحاً الظلم: يعني تجاوز الحد، فيقول العلامة الأصفهاني: "والظُّلْمُ يقال في مجاوزة الحقّ الذي يجري مجرى نقطة الدّائرة، ويقال فيما يكثر وفيما يقلّ من التّجاوز، ولهذا يستعمل في الذّنب الكبير، وفي الذّنب الصّغير، ولذلك قيل لآدم في تعدّيه ظالم، وفي إبليس ظالم، وإن كان بين الظُّلْمَيْنِ بون بعيد، ثم يذكر أن للظلم ثلاثة أنواع:

الأوّل: ظُلْمٌ بين الإنسان وبين الله تعالى، وأعظمه: الكفر والشّرك والنّفاق، ولذلك قال: "إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ (لقمان: 13).

الثاني: ظُلْمٌ بينه وبين الناس، وإيّاه قصد بقوله: (إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ) (الشورى: 42).

الثالث: ظُلْمٌ بينه وبين نفسه، وإيّاه قصد بقوله: (فَمِنْهُمْ ظالِمٌ لِنَفْسِهِ) (فاطر: 32)."[2].

إن خلق الظلم كان موضع ذم وتحذير في القرآن الكريم بصورة عامة، ومن الأمثلة على ذلك؛ قوله تعالى: ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ﴾ (سورة آل عمران:151)، وآيات الوعد والوعيد تذم وتنفر من هذا الخلق، وتحذر منه من خلال بيان ما توعد الله به الظالمين من عقاب وعذاب أليم.

---

[1] – الفيروزآبادي، **القاموس المحيط**، باب الميم، فصل الظاء، مادة (ظَلَمَ) ج1، ص1134.

[2] – الأصفهاني، **مرجع سابق**، كتاب الظاء، مادة (ظَلَمَ) ج1، ص537–538 .

وهنالك عدد من الأهداف التربوية الأخلاقية المستفادة من آيات الوعد والوعيد في التحذير من هذا الخلق، وذمه، سَيُكتفى في هذا المطلب بذكر ثلاثة منها، مع الاستشهاد بالآيات القرآنية، وأقوال المفسرين، حولها، وهذه الأهداف هي:

1. إدراك أن من أعظم أشكال الظلم اتخاذ الشركاء من دون الله –سبحانه وتعالى–، والتقرب إليهم بالطاعات.

2. بيان العلاقة بين الظلم، والكفر، والتعرف على أعمال الظالمين التي استحقوا بها العذاب المهين يوم القيامة، وهي: الصد عن سبيل الله، وصرف الناس عن الطريق المستقيم، والتكذيب باليوم الآخر.

3. توضيح أن تأخير الله العذاب للظالمين إنما هو من قبيل الإمهال لهم، وحسابهم سيكون يوم القيامة.

أما آيات الوعد والوعيد التي عرضت هذه الأهداف، فهي على النحو التالي:

الهدف الأول: إدراك أن من أعظم أشكال الظلم اتخاذ الشركاء من دون الله –سبحانه وتعالى–، والتقرب إليهم بالطاعات، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (135) وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (136)﴾ (سورة الأنعام:135).

تتحدث الآيات عن أعظم نوع من أنواع الظلم وهو الشرك بالله، وأي ظلم أكبر من ظلم الإنسان لنفسه، عندما تتاح له نعمة الإيمان فيستبدلها بالكفر، وتبين الآيات العلاقة بين الظلم

والكفر، وحول هذا المعنى يقول الإمام أبي السعود: "وُضع الظلمُ موضِعَ الكفرِ إيذاناً بأن امتناعَ الفلاحِ يترتب على أي فردٍ كان من أفراد الظلمِ فما ظنُّك بالكفر الذي هو أعظمُ أفرادِه"[1].

ويعتبر الكفر ظلماً، ذلك أن الكافر قابل نعمة الله عليه بالشرك والكفر، ويوضح ذلك الشيخ المراغي، حيث يقول: "إن الظالمين لأنفسهم بالكفر بنعم الله واتخاذ الشركاء له في أُلوهيته والتوجه إليهم فيما يتقرب به إليه تعالى، أو فيم لا يطلب إلا منه، وهو ما خفيت على المرء أسبابه، إذ مثل هذا لا يدعى فيه إلا الله وحده، وما عرف سببه يجب أن يطلب من طريق السبب، مع العلم بأن خالق الأسباب جميعها هو الله تعالى، وحال الظالمين للناس أشد من حال الظالمين لأنفسهم، وكلهم لا يفوزون بفلاح لا في الدنيا ولا في الآخرة، وإنما يفوز به أهل الحق والعدل الذين يؤدون حقوق الله وحقوق أنفسهم، ولا يكمل مثل هذا إلا لرسل الله وجندهم من المؤمنين"[2].

وللظلم صور أخرى، وللظالمين أعمال أخرى استحقوا بها أن يطلق عليهم وصف (الظلم) ذلك الخلق الذميم، وهذا ما سيتبين معنا في الهدف الثاني.

الهدف الثاني: بيان العلاقة بين الظلم، والكفر، والتعرف على أعمال الظالمين التي استحقوا بها العذاب المهين يوم القيامة، وهي: الصد عن سبيل الله، وصرف الناس عن الطريق المستقيم، والتكذيب باليوم الآخر، كما في قوله تعالى: (وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ (44) الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآَخِرَةِ كَافِرُونَ (45)) (سورة الأعراف:44-45).

---

[1] – أبو السعود، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، ج7، ص99.

2 – المراغي، **تفسير المراغي**، ج8، ص40.

تصف الآيات أصحاب النار بأنهم كانوا ظالمين، وكانوا كافرين، وتبين أنهم مستحقين للعنة، وذلك بسبب أعمالهم في الدنيا، وهي: الصد عن سبيل الله، صرف الناس عن دين الله والطريق المستقيم، والكفر باليوم الآخر، أما تفسير معنى الظالمين الواردة في الآية، وأعمالهم هذه فهي كما يقول الشيخ صديق خان: "فسر الظالمين من هم فقال: (الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ)، الصد: المنع، أي يمنعون الناس عن سلوك سبيل الحق (وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا) أي يطلبون اعوجاجها، أي ينفرون الناس عنها ويقدحون في استقامتها بقولهم إنها غير حق وإن الحق، ما هم فيه، والعوج بالكسر في المعاني والأعيان ما لم يكن منتصباً بالفتح ما كان في المنتصب كالرمح والحائط (وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ) أي جاحدون منكرون لها"[1].

وبالإضافة لاستحقاق الظالمين اللعنة، ودخول النار، فإنهم أيضاً قد استحقوا الذل والمهانة في يوم القيامة، كما يتبين معنا في الهدف الثالث.

الهدف الثالث: توضيح أن تأخير الله العذاب للظالمين إنما هو من قبيل الإمهال لهم، وحسابهم سيكون يوم القيامة، كما في قوله تعالى: (وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ (42) مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ (43)) (سورة إبراهيم: 42-43).

فالآية الكريمة تبين حكمة وسنة الله في إمهال الظالمين في الدنيا، ومبينة حكمة الله في إمهال الظالمين يقول الإمام القرطبي: "قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ) وَهَذَا تَسْلِيَةٌ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ أَنْ أَعْجَبَهُ مِنْ أَفْعَالِ الْمُشْرِكِينَ وَمُخَالَفَتِهِمْ دِينَ إِبْرَاهِيمَ،

---

1 – صديق خان، أبو الطيب محمد بن حسين بن علي الحسيني البخاري القنوجي (ت1307هـ)، **فتح البيان في مقاصد القرآن**، مراجعة: عبدالله إبراهيم الأنصاري (بيروت: المكتبة العصرية، د.ط، 1412هـ/1992م)ج4، ص363.

أَيِ اصْبِرْ كَمَا صَبَرَ إِبْرَاهِيمُ، وَأَعْلِمِ الْمُشْرِكِينَ أَنَّ تَأْخِيرَ الْعَذَابِ لَيْسَ لِلرِّضَا بِأَفْعَالِهِمْ، بَلْ سُنَّةُ اللَّهِ إِمْهَالُ الْعُصَاةِ مُدَّة"[1].

كما الآيات تبين نوعا من أنواع العذاب للظالمين يوم القيامة، من خلال عرض صورة لحال الظالمين المنكسرين في ذلك اليوم، فبعد أن كانوا متجبرين في الدنيا، كيف أصبح الذل حالهم في الآخرة، مصورة أشكال الذل والهوان التي سيكونون عليها في ذلك اليوم.

ومما تقدم يلاحظ أن الآيات التي تتوعد الظالمين بالعذاب الشديد تبين أن من أكبر أشكال الظلم الكفر بالله تعالى، كما كان العمل الأكبر للذين كفروا، وللذين ظلموا هو الصد عن سبيل الله، ومن هذه الآيات قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ (18) الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ (19) أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ (20) أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (21) لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ (22)﴾ (سورة هود:18-22).

وبعد، فقد اتضح من خلال الأمثلة المقدمة عن أخلاق الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله، أن كل خلق منها يرتبط بصفة الكفر من قريب أو بعيد، كما أن هنالك أخلاقاً سلبية أخرى لدى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله، كالخداع، ونبذ العهد، والغش، وقسوة القلب، ترتبط بالأخلاق السابقة، وترتبط بصفة الكافرين الأولى وهي الكذب.

ويستخلص مما سبق عرضه من نماذج لآيات الوعد والوعيد، والتي حذرت من أخلاق الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله، أن أهم ما يخص من توعدهم الله بالنار أمران:

[1] – القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج6، ص379.

الأمر الأول: أن الفئة التي أوعدت بالنار، هي الفئة التي جمعت بين الكفر والصد عن سبيل الله، فالكافر الذي اختار لنفسه طريق الضلال، وهو يعلم أن الحق في غير ما اختار، يخاف من الحق ويخشى أن ينتشر بين الناس فيعم خيره عليهم، مع علمه بقوة هذا الحق وضرورة وضع العراقيل في طريقه، لأن الناس إن تركوا دون تأثير فسيختارون عقيدة الفطرة، عقيدة لا إله إلا الله، فنجده قد تبنى الصد عن سبيل الله منهجاً له في الحياة، وقد عبر القرآن عن ذلك بآيات منها قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا (167) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا (168) إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (169)﴾ (سورة النساء:167-169).

أما معنى صدهم عن سبيل الله فهو إعراضهم عن الإسلام، وحمل غيرهم على الإعراض عنه، كما يقول الشيخ ابن عاشور: "وَصَدُّهُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ مِنْ صَدِّ الْقَاصِرِ الَّذِي قِيَاسُ مُضَارِعِهِ يَصِدُّ- بِكَسْرِ الصَّادِ-، أَيْ أَعْرَضُوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ، أَيِ الْإِسْلَامِ، أَوْ هُوَ مِنْ صَدَّ الْمُتَعَدِّي الَّذِي قِيَاسُ مُضَارِعِهِ- بِضَمِّ الصَّادِ، أَيْ صَدُّوا النَّاسَ"[1].

وبما أن الصد عن سبيل الله هو منهج الذين كفروا، فإنهم يطبقونه في حياتهم مع ما يتضمنه من أخلاق وسلوكيات، لا تليق إلا بهم، فيستحقون بذلك الأوصاف التي أطلقها عليهم القرآن الكريم، مثل: (الْفَاسِقِينَ)، و(الظَّالِمِينَ)، و(الْخَاسِرِينَ).

الأمر الثاني: إن الأخلاق المذمومة المحذر منها، هي فرع عن حالة الكفر التي يمر بها الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله، وإن كان الخلق الحسن مع الإيمان هو قمة الإيمان، فإن سوء الخلق والصد عن سبيل الله مع الكفر هو أعلى درجات الضلال والإضلال، وأشد حالات الإحباط للأعمال، ومن أكبر أنواع الإفساد في الأرض، من الآيات التي عرضت هذه الحقيقة بوضوح،

1 -ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج6، ص46.

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ (88)﴾ (سورة النحل:88)، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ (32)﴾ (سورة محمد:32).

فالآيات الكريمة السابقة تتوعد الكفار الذين أضافوا للصد عن سبيل الله أخلاقاً أخرى كالظلم، والإفساد في الأرض، والشقاق بالعذاب في الدنيا والآخرة، وتبين أن الأخلاق الذميمة تعتبر من أشكال الصد عن سبيل الله كذلك، لما لها من دور في إضلال الناس والإفساد في الأرض، التي يريد الله عمرانها بالحق.

وبذلك تبين معنا كيف أن آيات الوعد والوعيد تقوم في خطابها على التفريق بين صنفين من الناس، الصنف الأول الذين آمنوا وعملوا الصالحات، والصنف الثاني، الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله، فتحدد الموقف القلبي والوضع المعنوي لكل فريق، وكذلك الموقف العملي والمنهج الحياتي لكل منهما، فنجد آيات الوعد والوعيد تحدد السمت الأساسي لكل فريق، ثم تذكر جانباً من أخلاقهم، فتقدمهما في إطار المدح أو إطار الذم، ترغيباً وترهيباً، ليكون أمام الإنسان الاختيار بين طريقين، والانضمام لأحد فريقين، بعد أن يعمل عقله فيما يسمع من آيات الوعد والوعيد وما تضمنته من تفصيل لسمات الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وفي المقابل سمات الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله، وبعد أن يدرك الجواب الحاسم للسؤال الفاصل في قوله تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ (سورة هود:24).

وحيث أن العواقب في الدنيا والآخرة ترتبط بالأخلاق، فقد عني القرآن الكريم بالتربية الأخلاقية، حيث كانت آيات الوعد والوعيد بما تمثله من ترغيب بالجنة ونعيمها وترهيب من النار وعذابها شكلا من أشكال مخاطبة النفس والعقل، وفناً من فنون التربية بالتحفيز والردع لأهم الأخلاق المرغوب فيها، والأخلاق المرغب عنها، وهذا ما تم عرضه في هذا الفصل، من خلال

ذكر مجموعه من أخلاق الذين آمنوا وعملوا الصالحات، ومجموعة أخرى من أخلاق الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله.

كما يلاحظ من العرض السابق في المبحثين الأول والثاني في هذا الفصل أن كل خلق إيجابي لدى المؤمنين يقابله خلق أو سلوك سلبي لدى الكافرين، مما يعني أن تعزيز الأخلاق الإيجابية لدى المؤمن يتطلب منه فهما للأخلاق السلبية خشية أن يقع فيها، وحتى يحصن نفسه ضدها، وبذلك تتم عملية الترقي في التربية الأخلاقية على وعي وبصيرة.

الفصل الثاني:

أساليب آيات الوعد والوعيد في التربية الأخلاقية

المبحث الأول: الأساليب الأدبية في آيات الوعد والوعيد في التربية الأخلاقية

المطلب الأول: أسلوب الحوار.

المطلب الثاني: أسلوب القصص.

المطلب الثالث: أسلوب ضرب الأمثال.

المبحث الثاني: أساليب الإقناع في آيات الوعد والوعيد في التربية الأخلاقية

المطلب الأول: أسلوب القدوة والأسوة الحسنة أو السيئة.

المطلب الثاني: أسلوب العبرة والموعظة.

المطلب الثالث: أسلوب الترغيب والترهيب.

الفصل الثاني: أساليب آيات الوعد والوعيد في التربية الأخلاقية

تتنوع الأساليب القرآنية الأدبية والإقناعية في آيات الوعد والوعيد للحض على الأخلاق التربوية للذين آمنوا وعملوا الصالحات، والتنفير من أخلاق الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله، وذلك عندما تعرض الآيات النماذج المنيرة للإيمان، والنماذج المظلمة للكفر، فتتبين بجلاء المفارقات الواضحة بين أعمال الفريقين ومصائرهم، عندما تقرر الآيات أن الأجر الكريم، هو للذين آمنوا وعملوا الصالحات، وأن جهنم وبئس المصير، للذين كفروا، وصدوا عن سبيل الله.

المبحث الأول: الأساليب الأدبية في آيات الوعد والوعيد في التربية الأخلاقية

يكثر في القرآن الكريم استعمال الأساليب الأدبية، والأساليب الإقناعية لما لها من دور في التأثير على القارئ والسامع، جذباً أو تنفيراً، وقدرة على شرح المعاني والأفكار وتقريبها، خصوصا عند استخدام الألفاظ المتضادة، للتفريق بين عقائد وأعمال وأخلاق فريقين، أحدهما في الجنة، والآخر في السعير، فالفرق الواضح بين الفريقين في الحياة والتأثير فيها، كما في يقول تعالى: ﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (122)﴾ (سورة الأنعام:122).

ومن الأمثلة التي يضربها القرآن قوله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ (175) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (176))﴾ (سورة الأعراف:175-175).

فأسلوب الحوار، وأسلوب القصة، وكذلك أسلوب ضرب الأمثال كلها من الأساليب الأدبية التي يتميز بها القرآن الكريم عامة، وهي من الأساليب البارزة في آيات الوعد والوعيد، وتأتي أهميتها وقوة تأثيرها في أنها تخاطب العقل والقلب معاً، لإحداث التأثير اللازم للدعوة لأخلاق الذين آمنوا وعملوا الصالحات، والتنفير من أخلاق الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله، سيتم من خلال هذا المبحث اختيار بعض الأمثلة من آيات الوعد والوعيد التي غلبت عليها الأساليب المختارة، مع بيان الأخلاق التي يدعو لها كل أسلوب، والمفاهيم الأساسية التي يقدمه ودوره في تعزيز أخلاق الذين آمنوا وعملوا الصالحات، أو التنفير من أخلاق الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله.

المطلب الأول: أسلوب الحوار

الحوار من الأساليب الأدبية المؤثرة؛ والتي يتم من خلالها شرح الأفكار وعرض مبررات المواقف العملية، وربطها بالعقائد والمبادئ الأخلاقية، ومن مزايا أسلوب الحوار في آيات الوعد والوعيد تعبيره عن الحالة النفسية، والمعنوية، للمتحاورين، وعرضه المبدأ الفكري لكل فريق، والذي صدرت بناء عليه المواقف العملية، والأخلاقية الإيجابية أو السلبية.

ومن خلال آيات الوعد والوعد نجد أن لأسلوب الحوار تأثيره في الدعوة لأخلاق الذين آمنوا وعملوا الصالحات، والتحذير من أخلاق الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله، وذلك من خلال ما يأتي:

1. تركيز أسلوب الحوار على بيان الحالة النفسية والمشاعر التي تغشى كل فريق، وهي: رضا المؤمنين وزوال الهم والحزن عنهم، يقابله ندم الكافرين وحسرتهم، وتبشير الملائكة للمؤمنين، والثناء على عملهم في الدنيا، ولوم الكافرين وتقريعهم على تكذيبهم بالله فيها.
2. بيان أن المعيار الفاصل للتفريق بين أعمال وأخلاق المؤمنين والكافرين هو العقيدة الصحيحة، والمقارنة الواضحة بين أعمال وأخلاق من ثقلت وموازينهم، و أعمال وأخلاق من خفت موازينهم، مع ذكر أنواع النعيم المقدم لأهل الجنة، وأشكال العذاب التي يقاسيها أهل النار.
3. التحذير و التنفير من أخلاق الكافرين، مثل الكذب، والاستكبار، بتصوير حال المجرمين الظالمين لأنفسهم في النار، والعذاب يغشاهم من كل مكان.
4. بيان الحالة النفسية التي يمر بها الظالمون يوم القيامة، الحسرة والندامة، عندما يعلمون بمصيرهم، ومحاولة تبرير موقفهم، وإلقاء اللوم على الذين أضلوهم واتبعوهم.

5. التفريق بين الظلمات والنور، والكفر والإيمان، مع بيان أن الهداية نور، وأن الضلال ظلام، فمن سار على درب النور كان له في الآخرة نورا.

ومن الأمثلة على هذا الأسلوب في آيات الوعد والوعيد ما يلي:

المثال الأول: حوار على الأعراف:

حيث يركز أسلوب الحوار على بيان الحالة النفسية، والمشاعر التي تغشى كل فريق، وهي: رضا المؤمنين، وزوال الهم والحزن عنهم، يقابله ندم الكافرين وحسرتهم، وتبشير الملائكة للمؤمنين، والثناء على عملهم في الدنيا، ولوم الكافرين وتقريعهم على تكذيبهم بالله فيها.

وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (42) وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (43) وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ (44) الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآَخِرَةِ كَافِرُونَ (45) وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ (46) وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (47) وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ (48) أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ (49) وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ (50) الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ

الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ (51)﴾ (سورة الأعراف:42-51).

فهذا حوار على الأعراف بين أصحاب الجنة وأصحاب النار، يسترجعون فيه ذكريات الدنيا، وعملهم فيها، يعبر فيه المؤمنون عن امتنانهم لهداية الله لهم في الدنيا ووراثتهم الجنة في الآخرة، ويعبر فيه الكافرون عن معاناتهم من حر جهنم، وحاجتهم لأن يجود عليهم المؤمنون بالماء، أو بالنعم التي تفضل الله بها عليهم.

والحوار في الآيات السابقة، بين المؤمنين والكافرين يوم القيامة، يفيد أن الله رزقهم الجنة لأوصاف تحققت فيهم؛ أولها الإيمان والعمل الصالح، فكان هذا الجزاء لحسن عملهم في الدنيا، فهم بمجرد دخولهم الجنة، سينسون ما كان في الدنيا من خوف وحزن، أما أصحاب النار فقد جمعوا أوصافاً ذكرت من خلال الحوار مع أصحاب الجنة، كالظلم، والاستكبار، والكفر، واللهو، واللعب، والاغترار بالدنيا، والجحود، ونسيان لقاء الله، وكل ذلك كان كافياً لاستحقاقهم اللعن، ودخول النار، كما ويتبين من خلال الحوار مشاعر الامتنان، التي يشعر بها المؤمنون، ومشاعر الخسران والندم التي يمر بها الكافرون.

وفي بيان الآيات للجزاء الكريم لأهل الجنة، تشجيع على التحلي بأخلاق الذين آمنوا وعملوا الصالحات، والبعد عن أخلاق الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله.

والشيخ محمد عبده يفسر الآيات، ويبين هذه المشاعر، فيقول : "بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ سُبْحَانَهُ النَّارَ وَأَهْلَهَا، وَالْجَنَّةَ وَأَهْلَهَا، بَيَّنَ لَنَا فِي هَذِهِ الْآيَاتِ وَمَا بَعْدَهَا بَعْضَ مَا يَكُونُ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ (فَرِيقِ الْجَنَّةِ وَفَرِيقِ السَّعِيرِ) مِنَ الْحِوَارِ بَعْدَ اسْتِقْرَارِ كُلٍّ مِنْهُمَا فِي دَارِهِ، وَتَمَكُّنِهِ فِي قَرَارِهِ، وَهِيَ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ الدَّارَيْنِ فِي عَالَمٍ وَاحِدٍ، أَوْ أَرْضٍ وَاحِدَةٍ، يَفْصِلُ بَيْنَهُمَا حِجَابٌ، هُوَ سُورٌ وَاحِدٌ، لَا يَمْنَعُ مِنْ إِشْرَافِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَهُمْ فِي عِلِّيِّينَ؛ عَلَى أَهْلِ النَّارِ وَهُمْ فِي سِجِّينٍ، مِنْ هَاوِيَةِ الْجَحِيمِ،

فَيُخَاطِبُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، بِمَا يَزِيدُ أَهْلَ الْجَنَّةِ عِرْفَانًا بِقِيمَةِ نِعْمَةِ اللهِ عَلَيْهِمْ، وَيَزِيدُ أَهْلَ النَّارِ حَسْرَةً عَلَى تَفْرِيطِهِمْ وَشَقَاءً عَلَى شَقَائِهِمْ"[1].

ومثال آخر من المواقف الحوارية يوم القيامة، عندما يعترف من خفت موازينهم بظلمهم، يطلبون من الله سبحانه وتعالى أن يخرجوا من النار، وأن يعطوا فرصة أخرى، وكم من فرص في الدنيا ضيعوها على أنفسهم، كما سيظهر في الموقف الثاني.

المثال الثاني: حوار الله –عز وجل– مع من خفت موازينهم:

وذلك ببيان أن المعيار الفاصل للتفريق بين أعمال وأخلاق المؤمنين، والكافرين، هو العقيدة الصحيحة، والمقارنة الواضحة بين أعمال وأخلاق من ثقلت وموازينهم، ومن خفت موازينهم، مع ذكر أنواع النعيم المقدم لأهل الجنة، وأشكال العذاب التي يقاسيها أهل النار، كما في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ (101) فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (102) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ (103) تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ (104) أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ (105) قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ (106) رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ (107) قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ (108) إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ (109) فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ (110) إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ (111)﴾ (سورة المؤمنون:101–111).

[1] – رشيد رضا، **تفسير القرآن الحكيم** المسمى **(تفسير المنار)**، ج8، ص377.

فتعرض الآيات حوارا لمن خفت موازينهم وخسرت أعمالهم، وهم في النار يطلبون من ربهم فرصة ثانية للعودة للدنيا، حتى يحسنوا العمل فيها، وياتي الرد الفاصل الحازم ، في قوله تعالي: (قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ).

ومن خلال هذا الموقف تظهر المفارقات والمقارنات بين الفريقين، حيث تتقابل فيه الأحوال والمواقف والأعمال، موازين ثقيلة، تقابلها موازين خفيفة، والفلاح يقابله الخسران، والإيمان يقابله التكذيب، ويبلغ الحوار ذروته، وتبلغ حسرة المكذبين ذروتها بالسؤال في قوله تعالى: (أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ؟)، ويأتي جواب من عدمت حيلته في هذا الموقف، فلا مفر من الاعتراف، قال تعالى: (رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ).

ويلاحظ من خلال المقطع القرآني أن أخلاق وأعمال المؤمنين التي كانت محل مدح هي: الصبر، وطلب المغفرة والرحمة من الله، وأن أخلاق وأعمال الكافرين التي كانت محل ذم هي: التكذيب، والضلال، والسخرية من الحق وأهله.

وحول أحوال هذا اليوم، ومصير كل فريق يقول الشيخ المراغي: "أن من رجحت حسناته على سيئاته فاز، ونجا من النار، ودخل الجنة، ومن ثقلت سيئاته على حسناته خاب، وهلك، وأدخل النار، خالدا فيها أبدا، وكان عابس الوجه، متقلّص الشفتين من شدة الاحتراق، وأنه يقال لأهل النار توبيخا لهم على ما ارتكبوا من الكفر والآثام، ألستم قد أرسلت إليكم الرسل، وأنزلت عليكم الكتب؟ فيقولون بلى، ولكنا لم ننقد لها ولم نتبعها فضللنا، ربنا أرددنا إلى دار الدنيا، فإن نحن عدنا فإنا ظالمون مستحقون العقوبة، فيجيبهم ربهم: أُمكثوا في النار صاغرين أذلاء، ولا تعودوا إلى سؤالكم هذا، إنكم كنتم تستهزئون بعبادي المؤمنين، وكنتم منهم تضحكون، إنهم اليوم هم الفائزون، جزاء صبرهم على أذاكم، واستهزائكم بهم"1.

1 – المراغي، أحمد بن مصطفى، **تفسير المراغي**، ج18، ص57.

وحوار آخر عند الالتقاء بين الضالين والمضلين في جهنم، وحوار تلوم فيه كل فئة الأخرى، وتلعن فيه كل فئة الأخرى، ثم تصوير حال المجرمين الظالمين لأنفسهم في النار، والعذاب يغشاهم من كل مكان، صورة تتعوذ منها النفوس، نسأل الله العافية.

المثال الثالث: حوار بين الضالين والمُضلين:

وذلك بالتحذير من أخلاق الكافرين، وهي الكذب والاستكبار، مع تصوير حال المجرمين الضالين، والمضلين، والظالمين لأنفسهم في النار، والعذاب يغشاهم من كل مكان، كما في قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي آَدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آَيَاتِي فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (35) وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآَيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (36) فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآَيَاتِهِ أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ (37) قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآَتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ (38) وَقَالَتْ أُولَاهُمْ لِأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ (39) إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآَيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ (40) لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ (41)﴾ (سورة الأعراف:34-41).

ففي الآيات مقاطع حواريه متسلسلة، فالمقطع الأول عبارة عن حوار ساعة قبض الأرواح، بين الكافرين الذين أشركوا بالله، والملائكة التي كلفت بقبض أرواحهم، يستنكرون عليهم اتخاذ الانداد من دون الله، وتبين لهم أن مصيرهم النار، والحوار الثاني بين الضالين والمضلين

عندما يجتمعون في جهنم، وهم يتلاومون وتحاول كل فئة منهم أن تلقي باللوم والذنب على الأخرى، ثم الحوار الذي تطلب فيه الفئة الضالة من الله أن يضاعف العذاب للفئة المضلة التي سبقتهم، فيأتي الحكم الفاصل عليهم جميعاً، بالعذاب المضاعف لهم جميعاً.

ومن خلال الحوارات في الآيات السابقة، يتبين أن الله قد رزق المؤمنين الجنة لأوصاف تحققت فيهم؛ وهي: الإيمان والصلاح، وكان الوعد من الله بنفي الحزن عنهم، أما أصحاب النار فقد جمعوا أوصافاً منها: الكذب، والاستكبار، والظلم، والشرك، والضلال والإضلال، كل ذلك كان كافياً لاستحقاقهم إغلاق أبواب السماد عنهم، ودخولهم جهنم، كما ويتبين من خلال الحوار، مشاعر الخسران والندم التي يمر بها الكافرون.

وموقف حواري آخر، بين فئتين من الظالمين، وهم فئة المستضعفين، وفئة المستكبرين، يقفون يوم الحساب، أمام الله –سبحانه وتعالى– يتحاورون ويتلاومون، حيث يحاول المستضعفون تبرير كفرهم بتأثير المستكبرين عليهم، ويحاول المستكبرون التملص من هذا الوزر، وهذا ما سيتم بيانه في المثال الثالث.

المثال الرابع: حوار بين الذين استضعفوا والذين استكبروا:

وذلك ببيان الحالة النفسية التي يمر بها الظالمون يوم القيامة، ومشاعر الحسرة والندامة عندما يعلمون بمصيرهم، ومحاولة تبرير موقفهم وإلقاء اللوم على الذين أضلوهم واتبعوهم، كما في قوله تعالى:﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآَنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ (31) قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ (32)وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ

نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (33)﴾(سورة سبأ:31-33).

حيث تعرض الآيات صورة لحوار يبين الحالة النفسية التي يمر بها المستضعفون يوم القيامة، ومشاعر الحسرة والندامة عندما يعلمون بمصيرهم وأنهم حشروا مع الظالمين، ومحاولة تبرير موقفهم وإلقاء اللوم على اللذين استكبروا، في قوله تعالى: (لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ)، فيتخلى عنهم الذين استكبروا، ويأتيهم الجواب المفحم والسؤال الإنكاري، في قوله تعالى: (أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ).

ويبين الحوار في الآيات السابقة، بين المستضعفين والمستكبرين من الكافرين يوم القيامة، أن الفريقين عُدوا من الظالمين، وذلك لما عندهم من أخلاق وأوصاف، وهي: قبول الاستضعاف، والاستكبار، والمكر للصد عن سبيل الله، والشرك بالله باتخاذ الأنداد من دونه، والنتيجة كانت الحكم عليهم بالعذاب، والأغلال في أعناقهم.

ويبين الإمام الْشوكاني حجة ومشاعر كل فريق، كما تعرضه الآيات، فيقول: "يَتَرَاجَعُونَ الْكَلَامَ فِيمَا بَيْنَهُمْ بِاللَّوْمِ وَالْعِتَابِ، بَعْدَ أَنْ كانوا في الدنيا متعاضدين مُتَنَاصِرِينَ مُتَحَابِّينَ، ثُمَّ بَيَّنَ سُبْحَانَهُ تِلْكَ الْمُرَاجَعَةَ فَقَالَ:(يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا)، وَهُمُ الْأَتْبَاعُ (لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا)، وَهُمُ الرُّؤَسَاءُ الْمَتْبُوعُونَ لَوْلا أَنْتُمْ صَدَدْتُمُونَا عَنِ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ، والإتباع لِرَسُولِهِ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ بِاللَّهِ مُصَدِّقِينَ لِرَسُولِهِ وَكِتَابِهِ، (قالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا)، مُجِيبِينَ عَلَيْهِمْ مُسْتَنْكِرِينَ لِمَا قَالُوهُ، (أَنَحْنُ صَدَدْناكُمْ عَنِ الْهُدى)، أَيْ: مَنَعْنَاكُمْ عَنِ الإيمان بَعْدَ إِذْ جاءَكُمْ الْهُدَى، قَالُوا هَذَا مُنْكِرِينَ لِمَا ادَّعَوْهُ عَلَيْهِمْ مِنَ الصَّدِّ لَهُمْ، وَجَاحِدِينَ لِمَا نَسَبُوهُ إِلَيْهِمْ مِنْ ذَلِكَ، ثُمَّ بَيَّنُوا أَنَّهُمُ الصَّادُّونَ لِأَنْفُسِهِمْ، الْمُمْتَنِعُونَ مِنَ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالُوا:(بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ)، أَيْ: مُصِرِّينَ عَلَى الْكُفْرِ، كَثِيرِي الْإِجْرَامِ، عَظِيمِي الْآثَامِ، (وَقالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا)، رَدًّا لِمَا أَجَابُوا بِهِ عَلَيْهِمْ، وَدَفْعًا

لِمَا نَسَبُوهُ إِلَيْهِمْ مِنْ صَدِّهِمْ لِأَنْفُسِهِمْ، (بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهارِ)، أَصْلُ الْمَكْرِ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ: الْخَدِيعَةُ وَالْحِيلَةُ، وَالْمَعْنَى: بَلْ مَكْرُكُمْ بِنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، وقَوْلِهِ: (وَأَسَرُّوا النَّدامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذابَ) رَاجِعٌ إِلَى الْفَرِيقَيْنِ، أَيْ: أَضْمَرَ الْفَرِيقَانِ النَّدَامَةَ عَلَى مَا فَعَلُوا مِنَ الْكُفْرِ وَأَخْفَوْهَا عَنْ غَيْرِهِمْ، أَوْ أَخْفَاهَا كُلٌّ مِنْهُمْ عَنِ الْآخَرِ مَخَافَةَ الشَّمَاتَةِ"[1].

وهنالك حوار من نوع آخر، يوم القيامة، عندما يرى المنافقون المؤمنين في أنوارهم، وهم في ظلماتهم، يلتمسون منهم نورا، كما سيتبين معنا في المثال الخامس.

المثال الخامس: حوار بين المؤمنين والمنافقين:

التفريق بين الظلمات والنور، والكفر والإيمان، مع بيان أن الهداية نور، وأن الضلال ظلام، فمن سار على درب النور كان له في الآخرة نورا، كما في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (12) يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ (13) يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ (14) فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (15)﴾ (سورة الحديد:12-15).

وهنا أسلوب حوار آخر يحاول فيه الذين كفروا الاستعانة بالذين آمنوا ليلتمسوا منهم نورا، في الآيات القرآنية التي تدعو للتفكر والتأمل في المتقابلات المتناقضات، تبدأ بالحديث عن الليل والنهار، ثم الظلمات والنور، ثم المؤمنين والمؤمنات، والمنافقين والمنافقات، ثم الحسنى والفوز العظيم، والنار وبئس المصير، والباطن والظاهر، والرحمة والعذاب، ومشهد المؤمنين يوم القيامة،

1 – الشوكاني، **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، ج4، ص376-377 (بتصرف).

الذين وصفهم الله بقوله تعالى: (يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ) يبشرون بجنات تجري من تحتها الأنهار، والمنافقون يطمعون أن ينالهم شيء من هذا النور، لكن في يوم الفصل يضرب بينهم بسور عجيب، قال تعالى عنه: (لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ).

ويستخلص من أمثلة أساليب الحوار السابقة في آيات الوعد والوعيد، تركيزها على بيان مشاعر الرضا وزوال الحزن عن المؤمنين، ومشاعر الحسرة والندامة تغشى الكافرين، مع تمنيهم العودة للدنيا لإصلاح ما فاتهم، ووعد الآيات للمؤمنين بالنور، والمغفرة، والجنات الخالية من الهم والحزن، والوعيد للذين كفروا بالنار والعذاب يغشاهم من كل مكان.

المطلب الثاني: أسلوب القصة

القصة من الأساليب الأدبية الموضحة والمبينة للمشاعر والأفكار، والمواقف العملية المرتبطة بالعقائد والمبادئ الأخلاقية، ولأسلوب القصة تأثيره في الدعوة لأخلاق الذين آمنوا وعملوا الصالحات، والتحذير من أخلاق الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله، وذلك من خلال ما يأتي:

1. تبشير الملائكة للمؤمنين، والثناء على عملهم في الدنيا، ولوم الكافرين وتقريعهم على تكذيبهم بالله فيها، وبيان أن المعيار الفاصل للتفريق بين أعمال وأخلاق المؤمنين والكافرين هو العقيدة، مع ربط المصائر في الآخرة، بمواقف الإيمان والكفر في الدنيا، فعاقبة الإيمان النجاة والفلاح، وعاقبة الكفر والضلال الخسران والخزي، والندم يوم القيامة.
2. بيان أن الصراع بين الإيمان والكفر يتكرر في كل في كل عصر، والكبر والعناد والجحود من صفات الكافرين، والتي أدت بهم إلى تكذيب الرسل، وإنكار الرسالات.
3. التحذير من مواقف الكفر، وأخلاق وأفعال الذين كفروا، كالجدال بغير علم، والكبر، والصد عن سبيل الله، والإيمان المؤقت، واتخاذ الأنداد من دون الله.

4. بيان أن الكافر يتحمل عاقبة كفره، ولا يشفع له إيمان أهله، حتى وإن كانوا من الأنبياء، وفي المقابل فإن المؤمن لا يحمل وزر كفر أهله، وتسلية المؤمنين، وتشيعهم على الصبر، والثبات على الدين الحق.

ومن الأمثلة على هذا الأسلوب في آيات الوعد والوعيد ما يلي:

المثال الأول: قصة زمرة المتقين، وزمرة الكافرين:

وذلك من خلال تبشير الملائكة للمؤمنين المتقين، والثناء على عملهم في الدنيا، ولوم الكافرين وتقريعهم على تكذيبهم بالله فيها، وبيان أن المعيار الفاصل للتفريق بين أعمال وأخلاق المؤمنين والكافرين هو العقيدة، ربط المصائر في الآخرة، بمواقف الإيمان والكفر في الدنيا، فعاقبة الإيمان النجاة والفلاح، وعاقبة الكفر والضلال الخسران والخزي، والندم يوم القيامة، مع ربط المصائر في الآخرة، بمواقف الإيمان والكفر في الدنيا، فعاقبة الإيمان النجاة والفلاح، وعاقبة الكفر والضلال الخسران والخزي، والندم يوم القيامة، كما في قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ (68) وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (69) وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ (70) وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ (71) قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ (72) وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ (73) وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ

أَجْرُ الْعَامِلِينَ (74) وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (75)﴾ (سورة الزمر:68-75).

حيث تعرض الآيات قصة، لزمرتين، زمرة المتقين، وزمرة الكافرين، فزمرة الذين كفروا يساقون إلى جهنم، وزمرة الذين اتقوا ربهم، يساقون للجنة تستقبلهم الملائكة بالدعاء، بقوله تعالى: (سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ)، وذلك في موقف من مواقف يوم القيامة، عندما ينفخ في الصور للحساب، ويساق الناس إلى مصائرهم التي كتبوها لأنفسهم، أو عليها، المؤمنون تستقبلهم الملائكة بالسلام والتبشير بحسن العاقبة، والذين استكبروا وكفروا تستقبلهم خزنة النار، بالتقريع، واللوم، وذم سوء العاقبة، ومن المشاهد التي يسلط عليها الضوء، منظر الكافرين يساقون للنار في أغلالهم، والذلة تعلو وجوههم، بعد أن كانوا في الدنيا فرحين، ومستكبرين، وفي المقابل هنالك المنظر المفرح المبهج للمؤمنين المتقين، وهم يدخلون الجنة، وتتلقاهم الملائكة بالدعاء، والثناء عليهم، ومشاعر الفرح تغمرهم، والراحة وهم يرددون (الْحَمْدُ لِلَّهِ).

وتعرض الآيات الكيفية التي سيدخل بها الكافرون النار، والمؤمنون الجنة، والذي يشرحه الإمام القاسمي في تفسير قوله تعالى: (وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلى جَهَنَّمَ زُمَراً)، فيقول: "أي: أفواجا متفرقة بعضها في أثر بعض، على تفاوت ضلالهم وغيهم، رعاية للعدل في التقديم والتأخير، (حَتَّى إِذا جاؤُها فُتِحَتْ أَبْوابُها) أي: ليدخلوها، ولكل فريق باب، (وَقالَ لَهُمْ خَزَنَتُها)، أي: الموكلون بتعذيبهم، (أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ)، أي: من جنسكم تعرفون صدقهم وأمانتهم، (يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آياتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقاءَ يَوْمِكُمْ هذا)، أي: وقتكم أو يوم القيامة، حرصا على صلاحكم وهدايتكم، (قالُوا بَلى وَلكِنْ حَقَّتْ)، أي: وجبت، (كَلِمَةُ الْعَذابِ عَلَى الْكافِرِينَ) أي: حكمه عليهم بالشقاوة، وأنهم من أهل النار، (قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوابَ جَهَنَّمَ خالِدِينَ فِيها فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ، وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ)، أي: مساق إعزاز وتشريف، للإسراع بهم إلى دار الكرامة (زُمَراً)،

أي: متفاوتين حسب تفاوت مراتبهم في الفضل، (حَتَّى إذا جاؤُها وَفُتِحَتْ أَبْوابُها وَقالَ لَهُمْ خَزَنَتُها سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ)، أي: من دنس المعاصي، وطهرتم من خبث الخطايا، (فَادْخُلُوها خالِدِينَ)"1.

ومن الأمثلة على القصص الواردة في آيات الوعد والوعيد قصة أصحاب القرية والمرسلين، وهي من القصص التي تتكرر في كل زمان، وموضوعها الصراع بين الكفر والإيمان، وهذا ما سيتبين معنا في المثال الثاني.

المثال الثاني: قصة أصحاب القرية:

بإدراك أن الصراع بين الإيمان والكفر يتكرر في كل في كل عصر، والكبر والعناد والجحود من صفات الكافرين، والتي أدت بهم إلى تكذيب الرسل، وإنكار الرسالات، كما في قوله تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ (13) إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ (14) قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ (15) قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ (16) وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (17) قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ_أَلِيمٌ (18) قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ (19) وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ (20) اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ (21) وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (22) أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ (23) إِنِّي إِذًا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (24) إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ (25) قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ (26) بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ (27) ﴾ (سورة يس:13-27).

1 – القاسمي، **محاسن التأويل**، ج8، 297.

ففي قصة أصحاب القرية عرض للصراع بين الحق والباطل، وبين الإيمان والكفر، حيث تقدم الآيات مثلاً يتكرر، وهو تكذيب الرسل جحوداً، وجدلاً، وقد بينت الآيات كيف أن الله قد أقام عليهم الحجج: بثلاثة رسل مبلغين ، وتنزيل، ورجل مؤمن يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، ومع هذا فقد أصروا على كفرهم، وعنادهم، ولم يكتفوا بذلك، بل هددوا الرسل بالرجم والتعذيب، لهم ولأتباعهم، فحرموا الناس من عقيدة الحق.

وقصة أصحاب القرية يتبين من خلالها سمات الكافرين المعاندين، المستكبرين في كل زمان، فأدى بهم الكبر إلى رفض نور الهداية، بالرغم من قوة سطوعه، ورفض الحقيقة، بالرغم من كثرة البراهين، وفي هذا تسلية للمؤمنين في كل زمان، إن هم واجهوا هذه النماذج في طريق دعوتهم، وإيصالهم نور الهداية للناس، كما أن خاتمة الموقف بقوله تعالى: (قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ)، لهو أكبر مثبت للمؤمنين، على الطريق الحق، فهم على الحق، والعبرة بالخواتيم، ويا لها من خاتمة جميلة،كما كان لمحمد –صلى الله عليه وسلم– وأصحابه في هذه القصة تسلية أيضاً، فهم قد واجهوا المواقف المشابهة خلال مسيرة دعوتهم.

وحول هذا المعنى يقول الشيخ السعدي في تفسير الآيات: "أي: واضرب لهؤلاء المكذبين برسالتك، الرادين لدعوتك، مثلا يعتبرون به، ويكون لهم موعظة إن وفقوا للخير، وذلك المثل: أصحاب القرية، وما جرى منهم من التكذيب لرسل الله، وما جرى عليهم من عقوبته ونكاله"، ثم يبين الشاهد من ضرب هذا المثل، فيقول: "والشاهد أن هذه القرية جعلها الله مثلا للمخاطبين، (إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُون) من الله تعالى، يأمرونهم بعبادة الله وحده، وإخلاص الدين له، وينهونهم عن الشرك والمعاصي، وقوله تعالى: (إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ)، أي: قويناهما بثالث، فصاروا ثلاثة رسل، اعتناء من الله بهم، وإقامة للحجة بتوالي الرسل إليهم، (فَقَالُوا) لهم:

(إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ)، فأجابوهم بالجواب الذي ما زال مشهورا عند من رد دعوة الرسل: فـ (قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلا بَشَرٌ مِثْلُنَا)"[1].

وفي المثال الثالث سيتم التعرف على موقفين، لنموذجين من الذين كفروا؛ الأول الجاهل المستكبر، والضال المضل، الذي يجادل في الله بغير علم، والموقف الثاني لمن يعبد الله على شك، ولم يستقر الإيمان في قلبه، إن اختبر في إيمانه فشل، وارتد، كلا الفريقين خسر الدنيا، وخسر الآخرة.

المثال الثالث: قصة من يجادل في الله بغير علم، ومن يعبد الله على حرف:

حيث التحذير من مواقف الكفر، وأخلاق وأفعال الذين كفروا، كالجدال بغير علم، والكبر، والصد عن سبيل الله، والإيمان المؤقت، واتخاذ الأنداد من دون الله، كما في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ(8) ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ(9) ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ(10) وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ(11) يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا يَنْفَعُهُ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ (12) يَدْعُو لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لَبِئْسَ الْمَوْلَى وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ(13) إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ (14)﴾ (سورة الحج:8-14).

تنفر الآيات من موقفين عمليين للذين كفروا، يتعلق الأول، بالجدال الباطل الذي لا يستند لعلم، أو حق، مع الكبر والصد عن سبيل الله، ويتمثل الموقف الثاني، بإيمان الجهلاء، وهو من يؤمن بالله إيماناً مؤقتا، وضعيفاً، ويتخلى عن إيمانه في أول اختبار دنيوي، وتتوعد

[1] – السعدي، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، ج1، ص693.

الآيات كلا الموقفين بالخزي، والخسران والعذاب يوم القيامة، وتذكر الآيات الصورة المقابلة للمؤمنين، الذين قدموا الإيمان والعمل الصالح في حياتهم، فختم الله لهم بالفوز، ودخول الجنات، التي تجري من تحتها الأنهار.

ويشرح الإمام الألوسي المراد بالموقف الأول المذموم في قوله تعالى: (مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ)، فيقول: "نزلت كما أخرج ابن أبي حاتم عن أبي مالك رضي الله تعالى عنه في النضر بن الحارث وكان جدلا يقول: الملائكة عليهم السلام بنات الله سبحانه، والقرآن أساطير الأولين، ولا يقدر الله تعالى شأنه على إحياء من بلي وصار ترابا، وقيل في أبي جهل، وقيل في أبيّ بن خلف، وهي عامة في كل من تعاطى الجدل، فيما يجوز وما لا يجوز على الله سبحانه من الصفات والأفعال، ولا يرجع إلى علم ولا برهان ولا نصفة، وخصوص السبب لا يخرجها عن العموم "[1].

وفي الموقف الثاني الذي جاء في قوله تعالى: (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلى حَرْفٍ)، يقول: "شروع في حال المذبذبين أي: ومنهم من يعبده تعالى كائنا على طرف من الدين لا ثبات له فيه، كالذي يكون في طرف الجيش فإن أحس بظفر قر، وإلا فر، والمراد من الخير، الخير الدنيوي كالرخاء والعافية والولد، أي: إن أصابه ما يشتهي (اطْمَأَنَّ بِهِ)، أي: ثبت على ما كان عليه ظاهرا، (وَإِنْ أَصابَتْهُ فِتْنَةٌ)، أي: شيء يفتن به من مكروه، يعتريه في نفسه وأهله أو ماله (انْقَلَبَ عَلى وَجْهِهِ)، أي: مستوليا على الجهة التي يواجهها، غير ملتفت يمينا وشمالا، وهو كناية عن الهزيمة، وقيل هو هاهنا عبارة عن القلق، لأنه في مقابلة اطمأن، وأيّا ما كان، فالمراد ارتد أي: رجع عن دينه إلى الكفر، أخرج البخاري عن ابن عباس، أنه قال في هذه الآية: كان

[1] – الألوسي، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، ج9، ص110.

الرجل يقدم المدينة فإذا ولدت امرأته غلاما ونتجت خيله قال: هذا دين صالح وإن لم تلد امرأته ولم تنتج خيله قال: هذا دين سوء"[1]."[2].

فالآيات واضحة في ربط المصائر في الآخرة، بمواقف الإيمان والكفر في الدنيا، فعاقبة الإيمان النجاة والفلاح، وعاقبة الكفر والضلال الخزي، والندم، والخسران، ومن القصص التي كانت محل تفكير وتأثير، قصة امرأتا نوح ولوط، وقصة امرأة فرعون، ومريم ابنت عمران، وقد جمعت هذه القصص في مقطع قرآني واحد، لغاية، ستتبين معنا في المثال الرابع.

المثال الرابع: قصة امرأتي نوح ولوط، وامرأة فرعون، ومريم ابنت عمران:

ببيان أن الكافر يتحمل عاقبة كفره، ولا يشفع له إيمان أهله، حتى وإن كانوا من الأنبياء، وفي المقابل فإن المؤمن لا يحمل وزر كفر أهله، وتسلية المؤمنين، وتشيعهم على الصبر، والثبات على الدين الحق، كما في قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا اِمْرَأَةَ نُوحٍ وَاِمْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ (10) وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آَمَنُوا اِمْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (11) وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ (12)﴾ (سورة التحريم:10-12).

من النماذج التي بشرت بدخول النار، نموذجا امرأة نوح، وامرأة لوط، فبالرغم من أنهما عاشتا في بيئة إيمانية مثالية، في بيت زوج نبي، إلا أنهما اختارتا الكفر على الإيمان، وحتى يبين الله لنا فظاعة الجرم الذي وقعن فيه، يضرب لنا مثلاً للإيمان، وهو موقف امرأة فرعون،

---

[1] – أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب التفسير، باب (ومن الناس من يعبد الله على حرف ....) الآية، ص 541، رقم (4742).

[2] – الألوسي، المرجع السابق، ج9، ص119 (بتصرف).

التي صمدت بإيمانها، واختارت جوار الله، رغم الظلم المحيط بها، وسلطة الزوج، وهو الحاكم، والكافر والطاغية، والنموذج الثاني للإيمان كان في قصة مريم ابنت عمران، التي وصفت بالإيمان، والإحصان، والقنوت، رغم صغر سنها، لكنها كانت من المؤمنين المصدقين، وقد كان لهذه المقارنة دور في التفريق بين الموقفين، موقف الكفر، وموقف الإيمان.

فيقول الإمام الْشوكاني في الموقف الأول عن امرأة نوح وامرأة لوط –عليهما السلام–: "أَيْ: جَعَلَ اللَّهُ مَثَلًا لِحَالِ هَؤُلَاءِ الْكَفَرَةِ، وَأَنَّهُ لَا يُغْنِي أَحَدٌ عن أحد امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ، فقد كانَتا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبادِنا صالِحَيْنِ وَهَمَا نُوحٌ وَلُوطٌ، أَيْ: كَانَتَا فِي عِصْمَةِ نِكَاحِهِمَا فَخانَتاهُما أَيْ: فَوَقَعَتْ مِنْهُمَا الْخِيَانَةُ لَهُمَا، بِالْكُفْرِ، (فَلَمْ يُغْنِيا عَنْهُما مِنَ اللَّهِ شَيْئاً)، أَيْ: فَلَمْ يَنْفَعْهُمَا نُوحٌ وَلُوطٌ بِسَبَبِ كَوْنِهِمَا زَوْجَتَيْنِ لَهُمَا شَيْئًا مِنَ النَّفْعِ، وَلَا دَفْعًا عَنْهُمَا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مع كَرَامَتِهِمَا عَلَى اللَّهِ شَيْئًا مِنَ الدَّفْعِ (وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ)، أَيْ: وَقِيلَ لَهُمَا فِي الْآخِرَةِ، أَوْ عِنْدَ مَوْتِهِمَا ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ لَهَا مِنْ أَهْلِ الْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي."1.

ويقول في الموقف الثاني المتعلق بزوجة فرعون، في قوله تعالى: (وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ)، "أَيْ :جَعَلَ اللَّهُ حَالَ امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ مَثَلًا لِحَالِ الْمُؤْمِنِينَ تَرْغِيبًا لَهُمْ فِي الثَّبَاتِ عَلَى الطَّاعَةِ، وَالتَّمَسُّكِ بِالدِّينِ، وَالصَّبْرِ فِي الشِّدَّةِ، وَأَنَّ صَوْلَةَ الْكُفْرِ لَا تَضُرُّهُمْ، كَمَا لَمْ تَضُرَّ امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ، وَقَدْ كَانَتْ تَحْتَ أَكْفَرِ الْكَافِرِينَ، وَصَارَتْ بِإِيمَانِهَا بِاللَّهِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ"2.

يستخلص من الأمثلة السابقة لأسلوب القصة في آيات الوعد والوعيد، أنها لم تأت في القرآن الكريم لمجرد رواية القصة، والاستمتاع بسماعها، وإنما جاءت لجذب المؤمن للتفكر،

1 – الشوكاني، **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، ج5، ص304 (بتصرف).

2 – الشوكاني، **المرجع السابق**، ج5، ص305 (بتصرف).

والتدبر والانتباه، وربط خواتيم الأعمال بمقدماتها، فخاتمة الإيمان المغفرة، والنجاة، والفلاح، والفوز، وخاتمة الكفر، الذل، والخسران، والعذاب الأليم.

ولا يخفي ما لذلك التفكر والتدبر في القصص القرآني، من تشجيع المؤمنين على التمسك بدينهم، والتحلي بأخلاق الذين آمنوا، مع الصبر على أذى الذين كفروا، وفهم حقيقة مواقفهم، والاعتبار بمصائرهم المؤلمة.

المطلب الثالث: أسلوب ضرب الأمثال

ذكر القرآن الكريم أهمية ضرب الأمثال، وبأن فيها العبرة والعظة، كما في قوله تعالى: ﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (35)﴾ (سورة النور:34-35)، كما وتأتي أهمية ضرب الأمثال في كونها تجمل المعاني، وتقرب الأفكار، وتجعلها أعلق بالذهن، ومن مزايا ضرب الأمثال في آيات الوعد والوعيد أنها تقرب الصورة لأخلاق المؤمنين، ولأخلاق الكافرين، فمن هذه الأمثال تشبيه ضعف موقف المشرك بالله ،كضعف بيت العنكبوت، كما في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (41) إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (42) وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ (43)﴾ (سورة العنكبوت:41-43).

ولأسلوب ضرب الأمثال تأثيره في الدعوة لأخلاق الذين آمنوا وعملوا الصالحات، والتحذير من أخلاق الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله، وذلك من خلال ما يأتي:

1. دعوة المؤمنين إلى الإنفاق في سبيل الله، وحثهم على مراعاة مشاعر المحتاجين، وتحذيرهم من المن والرياء المحبطان للعمل.
2. بيان أن ضرب الأمثال في عدة آيات يكون لبيان الحالات الإيمانية، بحيث يشبه المعنوي بالمحسوس، كالتشبيه بالأرض، والزرع، والمطر.

3. مقارنة بين الحياة الدنيا الفانية، والحياة الآخرة الباقية، والدعوة للسعي للفوز بالمغفرة من الله، والجنة.

4. المقارنة بين أفعال، وعقائد، ومصائر كل من الذين آمنوا، والذين كفروا.

5. بيان عجز الكافرين عن الانتفاع بأعمالهم يوم القيامة فهي كالرماد الذي طارت به الريح في يوم عاصف.

ومن الأمثلة على هذا الأسلوب في آيات الوعد والوعيد ما يلي:

المثال الأول: ضرب المثل بالحبة التي أنبتت سبع سنابل:

وذلك بدعوة المؤمنين إلى الإنفاق في سبيل الله، وحثهم على مراعاة مشاعر المحتاجين، وتحذيرهم من المن والرياء المحبطان للعمل، كما في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِئَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (261) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (262) قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ (263) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (264) ﴾ (سورة البقرة:261-264).

ففي المقطع القرآني مثلان؛ الأول شبه الله فيه البركة والزيادة في الأجر عند الإنفاق في سبيل الله كتكاثر حبات القمح، بحيث أن الحبة الواحدة تصبح سبعمائة وهكذا، وبينت الآيات كذلك أن الإنفاق المحمود هو الذي يخلو من المنة، لما فيها من أذى، وجرح لمشاعر المنُفق

عليهم، والمثل الثاني لحالة مقابلة للأولى؛ وهي تشبيه الإنفاق المتبوع بالمن والأذى، كالحجر الأصم الأملس، مهما نزل عليه الغيث يبقى على حاله، وبينت بُعد هذه الحالة عن الإيمان.

وتأتي أهمية ضرب المثلين في الآية، في عرض الصورة للإنفاق الإيجابي، الذي ينتفع به المجتمع وأفراده، تقابلها صورة أخرى للإنفاق السلبي، الممزوج بالمن والرياء، مع ما في ذلك من جرح لمشاعر المحتاجين، مما قد يؤدي لترفعهم عن قبول الصدقات، بالرغم من فاقتهم، وبذلك لا ينتفع المجتمع بهذا النوع من إخراج الأموال، إضافة لعدم نفعه صاحبه في الآخرة.

وفي قوله تعالي: (لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ)، بيان أن جزاء المؤمنين كان من جنس عملهم، فهم فرجوا كرب المكروبين، عندما أنفقوا أموالهم في سبيل الله، ففرج الله عنهم كرب يوم القيامة، ففي الآيات بشارة لهم، ووعد بنفي الخوف، والحزن عنهم.

وفي ضرب المثل الأول حكمة ، يبينها الإمام فخر الدين الرازي، فيقول: "فكأنه تَعَالَى قَالَ لِمَنْ رَغَّبَهُ فِي الْإِنْفَاقِ، قَدْ عَرَفْتَ أَنِّي خَلَقْتُكَ، وَأَكْمَلْتُ نِعْمَتِي عَلَيْكَ، بِالْإِحْيَاءِ، وَالْإِقْدَارِ، وَقَدْ عَلِمْتَ قُدْرَتِي عَلَى الْمُجَازَاةِ، وَالْإِثَابَةِ، فَلْيَكُنْ عِلْمُكَ بِهَذِهِ الْأَحْوَالِ، دَاعِيًا إِلَى إِنْفَاقِ الْمَالِ، فَإِنَّهُ يُجَازِي الْقَلِيلَ بِالْكَثِيرِ، ثُمَّ ضَرَبَ لِذَلِكَ الْكَثِيرِ مَثَلًا، وَهُوَ أَنَّ مَنْ بَذَرَ حَبَّةً أَخْرَجَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ، فَصَارَتِ الْوَاحِدَةُ سَبْعَمِائَةٍ"[1].

وحول الحكمة في المثل الثاني، يقول:"فَالْكَافِرُ كَالصَّفْوَانِ، وَالتُّرَابُ مِثْلُ ذَلِكَ الْإِنْفَاقِ، وَالْوَابِلُ كَالْكُفْرِ الَّذِي يُحْبِطُ عَمَلَ الْكَافِرِ، وَكَالْمَنِّ وَالْأَذَى اللَّذَيْنِ يُحْبِطَانِ عَمَلَ هَذَا الْمُنْفِقِ، قَالَ:فَكَمَا أَنَّ الْوَابِلَ أَزَالَ التُّرَابَ الَّذِي وَقَعَ عَلَى الصَّفْوَانِ، فَكَذَا الْمَنُّ وَالْأَذَى يُوجِبُ أَنْ يَكُونَا مُبْطِلَيْنِ لِأَجْرِ الْإِنْفَاقِ بَعْدَ حُصُولِهِ، وذلك صريح في القول بالإحباط والتفكير"[2].

---

[1]– الرازي، **مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير**، ج7، ص39.

[2]– الرازي، **المرجع السابق**، ج7، ص44.

ومثال آخر لبركة الإنفاق في سبيل الله، والخير والوفرة، التي تعود على الفرد والمجتمع، في مقطع ثان يشبه الله فيه الإنفاق في سبيل الله بالمطر، الذي يسقي جنة على رابية، فيتضاعف إنتاجها، وهذا ما سيتبين في المثال الثاني.

المثال الثاني: ضرب المثل بجنة بربوة:

ببيان أن ضرب الأمثال في عدة آيات يكون لبيان الحالات الإيمانية، بحيث يشبه المعنوي بالمحسوس، كتشبيه المؤمن بالأرض الخصبة، والإنفاق بالمطر أو الطل، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (265) أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ (266)﴾ (سورة البقرة:265-266).

من خلال المثل المقدم، تمتدح الآيات المؤمنين محبي النفقة، وترفع شأنهم، فتشبههم بالجنة العالية، فهم عندما يكثرون الإنفاق في سبيل الله، تزيد فرص استفادة المجتمع وأفراده منهم، وحتى عندما يكون إنفاقهم قليلاً، ففيه نفع كذلك، كمثل المطر الخفيف الذي تنتفع به الأرض كذلك، ففي جميع أحوالهم مع الإنفاق خير، يزيد وينقص وفقاً لحجم ما ينفقونه في سبيل الله، وفي هذا المثل تشجيع للمؤمنين، للإكثار من الإنفاق في سبيل الله، لبيان عظيم أثره، كما أن في الآيات دعوة للمؤمنين، للشعور بمشاعر المحتاجين، وتخيل معاناتهم، وذلك من خلال دعوتهم، للتخيل كيف سيكون حال ذريتهم لو أصابتهم فاقة، أو حاجة.

يشرح الشيخ المراغي المثل الوارد في الآيات، فيقول: "أي مثل المنفقين أموالهم ابتغاء رضوانه تعالى، وتمكينا لأنفسهم في مراتب الإيمان والإحسان، باطمئنانها حين البذل، حتى يكون

ذلك سجية لها، كمثل جنة جيدة التربة ملتفة الشجر، عظيمة الخصب، تنبت كثيرا من الغلات، نزل عليها مطر كثير، فكان ثمرها مثلي ما كانت تغلّ، وإن لم يصبها الوابل فطلّ، ومطر خفيف، يكفيها لجودة تربتها، وكرم منبتها، وحسن موقعها، وهكذا كثير البر، كثير الجود، إن أصابه خير كثير أغدق، ووسّع في الإنفاق، وإن أصابه خير قليل، أنفق بقدره، فخيره دائم، وبره لا ينقطع، وإنما قال: (مِنْ أَنْفُسِهِمْ)، أي: بعض أنفسهم، ولم يقل لأنفسهم، لأن إنفاق المال وجه من وجوه التثبيت والطمأنينة، وبذل الروح وجه آخر، وكماله ببذل الروح"1.

ودعوة أخرى للتفكر والتأمل، في الحياة الدنيا، ومقارنتها بالآخرة، حيث الحياة الحقيقة، في جنات عرضها السماوات والأرض، وهذا ما سيتبين في المثال الثالث.

المثال الثالث: ضرب المثل بالحياة الدنيا متاع الغرور.

حيث المقارنة بين الحياة الدنيا الفانية، والحياة الآخرة الباقية، والدعوة للسعي لفوز بالمغفرة من الله، والجنة، كما في قوله تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ (20) سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (21) ﴾ (سورة الحديد:19-21).

في الآيات مثل للمطر الذي يحي الأرض بعد موتها، بعد تقرير الآيات أن الحياة الدنيا لعب ولهو، حيث تعرض الآيات صورتين الأولى الحياة الدنيا، وجذبها للناس بزينتها ومتعها، والثانية للنبات الذي سقاه الغيث، فنما وأينع، لكنه لا محالة سيذبل، ويصبح حطاما، وكذلك الدنيا بجمالها ولذتها صائرة إلى فناء، وفي هذين المشهدين دعوة للاعتبار، والاستبصار، والمقارنة

1 - المراغي، **تفسير المراغي**، ج3، ص36.

والاختيار، بين الدنيا الفانية، والآخرة الباقية، وفيها حث على الإيمان، والاستغفار، والعمل المصدق للإيمان.

ويبين ابن عاشور سبب ضرب هذا المثل، فيقول: "أَعْقَبَ التَّحْرِيضَ عَلَى الصَّدَقَاتِ وَالْإِنْفَاقِ بِالْإِشَارَةِ إِلَى دَحْضِ سَبَبِ الشُّحِّ أَنَّهُ الْحِرْصُ عَلَى اسْتِبْقَاءِ الْمَالِ لِإِنْفَاقِهِ فِي لَذَائِذِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، فَضُرِبَ لَهُمْ مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا بِحَالٍ مُحَقَّرَةٍ عَلَى أَنَّهَا زَائِلَةٌ تَحْقِيرًا لِحَاصِلِهَا وَتَزْهِيدًا فِيهَا لِأَنَّ التَّعَلُّقَ بِهَا يَعُوقُ عَنِ الْفَلَاحِ قَالَ تَعَالَى: (وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (الْحَشْر: 9)، وَقَالَ: (وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كانَ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيراً) (النِّسَاء: 128) ،كُلُّ ذَلِكَ فِي سِيَاقِ الْحَثِّ عَلَى الْإِنْفَاقِ الْوَاجِبِ وَغَيْرِهِ، وَأُشِيرَ إِلَى أَنَّهَا يَنْبَغِي أَنْ تُتَّخَذَ الْحَيَاةُ وَسِيلَةً لِلنَّعِيمِ الدَّائِمِ فِي الْآخِرَةِ، وَوِقَايَةً مِنَ الْعَذَابِ الشَّدِيدِ، وَمَا عَدَا ذَلِكَ مِنْ أَحْوَالِ الْحَيَاةِ فَهُوَ مَتَاعٌ قَلِيلٌ، وَلِذَلِكَ أَعْقَبَ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا بِالْإِخْبَارِ عَنِ الْآخِرَةِ بِقَوْلِهِ: «فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ» إِلَخْ"[1].

ونوع آخر من المقارنة، والتفريق بين أعمال وأحوال المؤمنين والكافرين، كما سيتبين معنا في المثال الرابع.

المثال الرابع: ضرب المثل بالْأَعْمَى وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ:

من خلال المقارنة بين أفعال، وعقائد، ومصائر كل من الذين آمنوا، والذين كفروا، كما في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآَخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ (19) أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ (20) أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا

[1] – ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج27، ص400–401.

يَفْتَرُونَ (21) لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ (22) إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَى رَبِّهِمْ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (23) مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (24) ﴾ (سورة هود:19-24).

فباستخدام أسلوب التضاد، تفرق الآيات بين فريقين، الذين آمنوا والذين كفروا، من خلال المقارنة بين أفعال، وعقائد، ومصائر كل فريق منهم، فالذين آمنوا يفعلون الصالحات، وعقيدتهم الإيمان، والإخبات لله، ومصيرهم الخلود في الجنان، أما الذين كفروا، فعملهم هو الصد عن سبيل الله، وإبعاد الناس عن الطريق المستقيم، وعقيدتهم التكذيب باليوم الآخر، ومصيرهم العذاب المضاعف في جهنم.

ولهذا الأسلوب خصوصيته في بيان كيف اختلف كل فريق عن الآخر بالكلية؛ اختلاف البصير عن الأعمى، واختلاف السميع عن الأصم، كذلك فإن تشبيه الذين كفروا بالأعمى والأصم، فيه بيان لعدم انتفاعهم بنعم الله عليهم، وتعطيلهم لحواسهم، وتنفير من مواقفهم وأحوالهم.

ويشرح الشيخ محمد عبده المثل الوارد في الآيات ، فيقول: "أَيْ: مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ مِنَ الْكَافِرِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ اللَّذِينَ تَقَدَّمَ وَصْفُهُمَا وَبَيَانُ حَالِهِمَا، فِي هَذِهِ الْآيَاتِ الْمُبَيِّنَةِ لِابْتِلَائِهِ – تَعَالَى – لِلنَّاسِ لِيَظْهَرَ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا، وَالصِّفَةُ الْحِسِّيَّةُ الْمُطَابِقَةُ لِحَالِهِمَا، كَمَثَلِ الْأَعْمَى الْفَاقِدِ لِحَاسَّةِ الْبَصَرِ فِي خِلْقَتِهِ، وَالْأَصَمِّ الْفَاقِدِ لِحَاسَّةِ السَّمْعِ، كَذَلِكَ فِي حِرْمَانِهِ مِنْ مَصَادِرِ الْعِلْمِ وَالْعِرْفَانِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَالْحَيَوَانِيَّةِ، وَمَنْ هُوَ كَامِلُ حَاسَّتَيِ الْبَصَرِ وَالسَّمْعِ كِلْتَيْهِمَا، فَهُوَ يَسْتَمِدُّ الْعِلْمَ مِنْ آيَاتِ اللهِ فِي التَّكْوِينِ وَالتَّشْرِيعِ بِمَا يَسْمَعُ مِنَ الْقُرْآنِ وَبِمَا يَرَى مِنَ الْأَكْوَانِ، وَهُمَا الْيَنْبُوعَانِ اللَّذَانِ يُفِيضَانِ الْعِلْمَ وَالْهُدَى عَلَى عَقْلِ الْإِنْسَانِ (هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا) أَيْ: هَلْ يَسْتَوِي الْفَرِيقَانِ صِفَةً وَحَالًا وَمَبْدَأً وَمَآلًا؟ كَلَّا إِنَّهُمَا لَا يَسْتَوِيَانِ (أَفَلَا تَذَكَّرُونَ) أَيْ: أَتَجْهَلُونَ أَيُّهَا الْمُخَاطَبُونَ هَذَا

الْمَثَلَ الْحِسِّيَّ الْجَلِيَّ، أَوْ أَتَغْفُلُونَ عَنْهُ فَلَا تَتَذَكَّرُونَ مَا بَيْنَهُمَا مِنَ التَّبَايُنِ فَتَعْتَبِرُوا بِهِ؟ أَيْ يَجِبُ أَنْ تَتَفَكَّرُوا فَتَتَذَكَّرُوا فَتَعْتَبِرُوا وَتَهْتَدُوا"[1].

ومثال آخر يبين ضلال الذين كفروا، وضياع أعمالهم في الدنيا، وخسرانهم في الآخرة، بعد أن ملكوا الأرض في الدنيا.

المثال الخامس: ضرب المثل بالرَمَاد في يوم عاصف:

وذلك ببيان عجز الكافرين عن الانتفاع بأعمالهم يوم القيامة، فهي كالرماد الذي طارت به الريح في يوم عاصف، كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ (13) وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ (14) وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ (15) مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ (16) يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ (17) مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ (18)﴾ (سورة إبراهيم:13-18).

ومن الأمثال التي يضربها القرآن لتصوير حال الذين كفروا، تشبيه أعمالهم بالرماد المتطاير في يوم عاصف، حيث لم ينتفعوا بأعمالهم التي عملوها في الدنيا، فهي إما أعمال فاسدة يؤثمون عليها، أو أعمال صالحة، وقربات خالطتها عقيدة فاسدة، فلم تكن لوجه الله تعالى، وبالتالي لم ينالوا ثوابها، فناسب تشبيه أعمالهم بالرماد في يوم شديد الريح، فبعد أن ذكرت الآيات العذاب الشديد الذي ينتظر الكافرين في الآخرة، ضربت مثلا على عجزهم عن تحصيل أعمالهم

[1] – رشيد رضا، **تفسير القرآن الحكيم** المسمى **(تفسير المنار)**، ج12، ص50.

أو الانتفاع بها في يوم القيامة، فلا وزن لها ولا قيمة، طارت بها الرياح كما تطير بالرماد في يوم شديد الريح.

فيقول ابن عاشور مفسراً المثل الوارد في الآيات، فيقول: "تَمْثِيلٌ لِحَالِ مَا عَمِلَهُ الْمُشْرِكُونَ مِنَ الْخَيْرَاتِ حَيْثُ لَمْ يَنْتَفِعُوا بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَقَدْ أَثَارَ هَذَا التَّمْثِيلُ مَا دَلَّ عَلَيْهِ الْكَلَامُ السَّابِقُ مِنْ شِدَّةِ عَذَابِهِمْ، فَيَخْطُرُ بِبَالِهِمْ أَوْ بِبَالِ مَنْ يَسْمَعُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَسْأَلَ نَفْسَهُ أَنَّ لَهُمْ أَعْمَالًا مِنَ الصِّلَةِ وَالْمَعْرُوفِ مِنْ إِطْعَامِ الْفُقَرَاءِ، وَمِنْ عِتْقِ رِقَابٍ، وَقِرَى ضُيُوفٍ، وَحِمَالَةِ دِيَاتٍ، وَفِدَاءِ أُسَارَى، وَاعْتِمَارٍ، وَرِفَادَةِ الْحَجِيجِ، فَهَلْ يَجِدُونَ ثَوَابَ ذَلِكَ؟ وَأَنَّ الْمُسْلِمِينَ لَمَّا عَلِمُوا أَنَّ ذَلِكَ لَا يَنْفَعُ الْكَافِرِينَ تَطَلَّبَتْ نُفُوسُهُمْ وَجْهَ الْجَمْعِ بَيْنَ وُجُودِ عَمَلٍ صَالِحٍ وَبَيْنَ عَدَمِ الِانْتِفَاعِ بِهِ عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ، فُضُرِبَ هَذَا الْمَثَلُ لِبَيَانِ مَا يكْشف جَمِيع احتمالات.وَالْمَثَلُ: الْحَالَةُ الْعَجِيبَةُ، أَيْ حَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا الْعَجِيبَةُ أَنَّ أَعْمَالَهُمْ كَرَمَادٍ الْخ"، وقد بين الإمام ابن عاشور وجه الشبه في تشبيه أعمالهم بالرماد: "شُبِّهَتْ أَعْمَالُهُمُ الْمُتَجَمِّعَةُ الْعَدِيدَةُ بِرَمَادٍ مُكَدَّسٍ فَإِذَا اشْتَدَّتِ الرِّيَاحُ بِالرَّمَادِ انْتَثَرَ وَتَفَرَّقَ تَفَرُّقًا لَا يُرْجَى مَعَهُ اجْتِمَاعُهُ، وَوَجْهُ الشَّبَهِ هُوَ الْهَيْئَةُ الْحَاصِلَةُ مِنَ اضْمِحْلَالِ شَيْءٍ كَثِيرٍ بَعْدَ تَجَمُّعِهِ، وَالْهَيْئَةُ الْمُشَبَّهَةُ مَعْقُولَةٌ"[1].

ويستخلص مما تقدم أن الأساليب الأدبية في آيات الوعد والوعيد تتنوع، ما بين أسلوب الحوار، وأسلوب القصة، وأسلوب ضرب الأمثال، وذلك لتقديم المقارنة بين عقيدة، وأخلاق، وأحوال، وأعمال ومصائر كل فريق منهم، وبذلك تصبح الصورة الواضحة عن أخلاق كل من المؤمنين فيقتدى بها، وأخلاق الكافرين فيتم تجنبها، وذلك للوصول إلى التربية الأخلاقية المنشودة.

[1] – ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج13، ص212.

كما أن للقران الكريم أساليب أخرى في عرض المواقف المتناقضة، وأخلاق كل فريق، الذين آمنوا وعملوا الصالحات، والذين كفروا وصدوا عن سبيل الله، بعمل المقارنات التي تدعو للتفكر والتأمل، فيحدث معها التأثير المطلوب من جذب أو تنفير، وهذا ما سيتبين في المبحث الثاني من الفصل الثاني.

المبحث الثاني: أساليب الإقناع في آيات الوعد والوعيد وأثرها في التربية الأخلاقية

يكثر في آيات الوعد والوعيد استعمال الأساليب الإقناعية، مثل: أسلوب القدوة والأسوة الحسنة أو السيئة، وأسلوب العبرة والموعظة، وأسلوب الترغيب والترهيب، حيث المقارنة بين حالين؛ حال المؤمنين بحال الكافرين، وأخلاقهم بأخلاقهم، وبيان الدرجة المتقدمة في الإيمان التي بلغها المؤمنون، ونمت معها أفعالهم وأخلاقهم، والدرجة التي هبط بها الذين كفروا، ومصير كل فريق منهم، التي تترتب على أخلاقهم وأحوالهم التي اختاروها لأنفسهم في الدنيا.

سيتم من خلال هذا المبحث اختيار بعض الأمثلة من آيات الوعد والوعيد التي غلبت عليها الأساليب المختارة، مع بيان الأخلاق التي يدعو لها كل أسلوب، والمفاهيم الأساسية التي يقدمها، ودوره في تعزيز أخلاق الذين آمنوا وعملوا الصالحات، أو التنفير من أخلاق الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله.

المطلب الأول: أسلوب القدوة والأسوة الحسنة أو السيئة

لآيات الوعد والوعيد أسلوبها في عرض القدوة والأسوة الحسنة، أو السيئة، لإحداث التأثير المطلوب، والإقناع، بإتباع أخلاق الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وتجنب أخلاق الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله، وذلك من خلال ما يأتي:

1. بيان أن أولي الألباب، هم الذين استجابوا لله تعالى، وأن الأعمى هو من الذين لم يستجيبوا له، ولكل فريق منهم المصير الملائم لموقفه الإيماني، مع بيان العديد من الصفات، التي تتمتع بها هذه القدوة الإيجابية،

2. توضيح معايير الكمال لدى المسلم الأنموذج، وهي: الإسلام، والإيمان، والقنوت، والصدق، والصبر، والخشوع، والتصدق، والصوم، وحفظ الفروج، وذكر الله كثيراً.

3. بيان أن السابقين المبادرين بالخيرات والطاعات في الدنيا، قربت لهم الجنات بما فيها من أنواع نعيم في الآخرة، بسبب سرعتهم إلى الطاعات، تقربا لله تعالى، فالجزاء من جنس العمل.

4. إدراك اشتراك المعبودين من دون الله، والعابدين لهم، في العذاب يوم القيامة، والتعرف على أبرز أخلاق النماذج التي تحذر منها الآيات، وهي: الظلم، والضلال والإضلال، والجهل، والاستكبار، والإجرام، والطغيان.

ومن الأمثلة على هذا الأسلوب في آيات الوعد والوعيد ما يلي:

المثال الأول: الأسوة الحسنة في أولي الألباب، والأسوة السيئة في من هو أعمى:

حيث بيان أن أولي الألباب هم الذين استجابوا لله تعالى، وأن الأعمى هو من الذين لم يستجيبوا له، ولكل فريق منهم المصير الملائم لموقفه الإيماني، مع بيان العديد من الصفات، التي تتمتع بها هذه القدوة الإيجابية، كما في قوله تعالى: ﴿ لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَى وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ (18) أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ (19) الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ (20) وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ (21) وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ (22) جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ (23) سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ (24) ﴾ (سورة الرعد: 18-24).

فالاستجابة لنداء الإيمان كانت نقطة البداية، للذين آمنوا، وكانت نقطة النهاية، عند الحسنى (الجنة)، وبين البداية والنهاية، حياة حافلة بالوفاء، وصلة ما أمر الله به، وخشية، وصبر، وصلاة، وإنفاق، وهذا كله لا يصدر إلا عن أولي البصائر والألباب، المستحقين لثواب الله، وفي المقابل، فإن الذين لم يستجيبوا لنداء الإيمان، قد أوجبوا لأنفسهم الوسم بالعمى، وساروا في طريق الفساد والإفساد، واستحقوا اللعنة، وسوء الدار.

وهنالك نموذج آخر للذين آمنوا وعملوا الصالحات، يمتدح عشرة من صفاتهم، وأخلاقهم، التي أوجبت لهم الشهادة بالإسلام، والإيمان معاً، كما سيتبين في المثال الثاني.

المثال الثاني: الأسوة الحسنة في المسلم الأنموذج:

من خلال توضيح معايير الكمال، لدى المسلم الأنموذج، وهي: الإسلام، والإيمان، والقنوت، والصدق، والصبر، والخشوع، والتصدق، والصوم، وحفظ الفروج، وذكر الله كثيراً، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا (35) ﴾ (سورة الأحزاب:35).

فإن القدوة الحسنة والنماذج الإيمانية الصادقة، تكون في الرجال، وتكون في النساء كذلك، في الآية عشرة صفات للمؤمنين والمؤمنات، وهي معايير نجاح، وفلاح للنموذج المسلم الحق، كما تشهد بذلك الآيات الكريمة، وكل معيار منها مرتبط بالآخر، يجعل من يحققها مستحقاً للمغفرة، والأجر العظيم، فالإسلام المبني على الإيمان، والطاعة المغلفة بالصدق، والمجملة بالصبر، المقرونة بالخشية، والطاعات الخالصة لله، كلها معايير حياة، الحياة الحقيقة حيث المغفرة والأجر العظيم من الله، ولهذا الأسلوب أهميته، في التأكيد على أخلاق وأعمال

الذين آمنوا، والأجر العظيم المبين في الآيات، فيه تحفيز على التحلي، والالتزام بأخلاقهم، وهذه الأوصاف، والأخلاق مطلوبة من جميع المؤمنين، ويا لرفعة الشأن، ويا لحسن العاقبة، لمن استطاع تحصيلها وجمعها، وهنيئاً له المغفرة والأجر العظيم.

وأهم ما يميز هذه الأعمال، أن تكون كلها خاصة لله تعالى، فيبين الإمام فخر الدين الرازي الهدف من أن هذا المقطع القرآني، حول المسلم الأنموذج، قد ختم بقوله تَعَالَى: (وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِراتِ)، فيقول: "يَعْنِي هُمْ فِي جَمِيعِ هَذِهِ الْأَحْوَالِ يَذْكُرُونَ اللَّهَ وَيَكُونُ إِسْلَامُهُمْ وَإِيمَانُهُمْ وَقُنُوتُهُمْ وَصِدْقُهُمْ وَصَبْرُهُمْ وَخُشُوعُهُمْ وَصَدَقَتُهُمْ وَصَوْمُهُمْ بِنِيَّةٍ صَادِقَةٍ لِلَّهِ"[1].

وبالإضافة لتحقيقهم لمعايير الإسلام، والإيمان معاً، فهم يسارعون في الخيرات، ويسابقون إلى رضا ربهم وقربه، وأصبحوا أنموذجاً مشرقاً، في المبادرة بالخيرات، والأعمال الصالحة، وهذا ما سيتم بيانه في المثال الثالث.

المثال الثالث: الأسوة الحسنة في السابقين المقربين:

ببيان أن السابقين المبادرين بالخيرات والطاعات في الدنيا، قربت لهم الجنات بما فيها من أنواع نعيم في الآخرة، بسبب سرعتهم إلى الطاعات تقربا لله تعالى، فالجزاء من جنس العمل، كما في قوله تعالى :﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ (10) أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ (11) فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (12) ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ (13) وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ (14) عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ (15) مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ (16) يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ (17) بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ (18) لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ (19) وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ (20) وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ (21) وَحُورٌ عِينٌ (22) كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ (23) جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (24) لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا (25) إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا (26)﴾ (سورة الواقعة:10-25).

---

[1]- الرازي، **مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير**، ج25، ص168-169.

ففي الآيات توضيح وتفصيل، للنعيم الذي سيلاقيه الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وتعبير عن الراحة النفسية التي سيكونون فيها، والأنس الذي سيلاقونه، وهم مجتمعون، متقابلون، يستمتعون بفرش الجنة وطعامها، وذلك أنهم كانوا في الدنيا محبين للطاعات مبادرين إليها، يغتنمون كل فرصة، وموسم، للتقرب إلى الله تعالى بها، فكان جزاؤهم من جنس عملهم، وهو القرب منه تعالى، وفي هذا تشويق للمؤمن، وحث على الإتيان بالطاعات والمسارعة في ذلك.

ويبين ابن كثير أن السابقون هم المبادرون للخيرات، فيقول: :"الْمُرَادَ بِالسَّابِقِينَ هُمُ الْمُبَادِرُونَ إِلَى فِعْلِ الْخَيْرَاتِ كَمَا أُمِرُوا، كَمَا قَالَ تَعَالَى:(وَسارِعُوا إِلى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّماواتُ وَالْأَرْضُ) (آلِ عِمْرَانَ: 133)، وَقَالَ تَعَالَى:(سابِقُوا إِلى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُها كَعَرْضِ السَّماءِ وَالْأَرْضِ) (الحديد: 21) وقال فمن سابق في هَذِهِ الدُّنْيَا وَسَبَقَ إِلَى الْخَيْرِ كَانَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ السَّابِقِينَ إِلَى الْكَرَامَةِ، فَإِنَّ الْجَزَاءَ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ،وَكَمَا تَدِينُ تُدَانُ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: أُولئِكَ الْمُقَرَّبُونَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ"[1].

وكما كان للقدوة الحسنة أثر في الحث على أخلاق الذين آمنوا وعملوا الصالحات، فإن للتحذير من الأسوة السيئة، والتنفير من أخلاقها، دور في البعد عن أخلاق الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وتجنبها، من هذه الأمثلة.

المثال الرابع: الأسوة السيئة في الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ:

وذلك بإدراك اشتراك المعبودين من دون الله، والعابدين لهم في العذاب يوم القيامة، والتعرف على أبرز أخلاق النماذج التي تحذر منها الآيات، وهي: الظلم، والضلال والإضلال، والجهل، والاستكبار، والإجرام، والطغيان، كما في قوله تعالى: ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ (22) مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ (23) وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ

[1] – ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج8، ص7.

(24) مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ (25) بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ (26) وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ (27) قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ (28) قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (29) وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ (30) فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ (31) فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ (32) فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ (33) إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ (34) إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ (35) وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ (36) بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ (37) إِنَّكُمْ لَذَائِقُو الْعَذَابِ الْأَلِيمِ (38) وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (39)﴾ (سورة الصافات:22-39).

ففي الآيات وعيد لمن ظلم نفسه باتخاذ الأولياء من دون الله، بالحشر في جهنم مع الأولياء الذين عبدوهم من دون، ومع أزواجهم الذين شاركوهم هذا الشرك، فكل معين ومؤيد لهم في ضلالهم، سيحشر معهم، وكعادة الظالمين، الذين كان يشجع بعضهم بعضاً على الكفر في الدنيا، يتلاومون، ويلقي كل واحد منهم، الذنب على الآخر، بعد أن يروا العذاب يوم القيامة، وهذا الوعيد ممزوج بالتنفير، من موقف هؤلاء الضالين، والمضلين، وذلك ببيان أخلاقهم، حيث وصفتهم الآيات بالطاغين، وبالمجرمين بسبب استكبارهم عن عباده الله، مبينة أن عاقبتهم في الآخرة ما هي إلا نتيجة أعمالهم في الدنيا، ولا يخفى ما لذلك من تأثير، على عقل ونفس السامع، بحيث يحرص على البراءة، من هذه الأخلاق.

ويبين الإمام فخر الدين الرازي، اشتراك الأتباع والمتبوعين في الغواية في الدنيا، وفي العذاب في الآخرة، فيقول: " (فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ) يَعْنِي: فَالْمَتْبُوعُ، وَالتَّابِعُ، وَالْمَخْدُومُ، وَالْخَادِمُ، مُشْتَرِكُونَ فِي الْوُقُوعِ فِي الْعَذَابِ، كَمَا كَانُوا فِي الدُّنْيَا، مُشْتَرِكِينَ فِي الْغَوَايَةِ، ثُمَّ بَيَّنَ تَعَالَى أَنَّهُمْ إِنَّمَا وَقَعُوا فِي ذَلِكَ الْعَذَابِ لِأَنَّهُمْ كَانُوا مُكَذِّبِينَ بِالتَّوْحِيدِ وَبِالنُّبُوَّةِ"[1].

[1]- الرازي، **مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير**، ج26، ص330 (بتصرف).

ويستخلص مما تقدم، أن أساليب القدوة الحسنة، أو السيئة، والمثل الإيجابي، أو السلبي المستفادة من آيات الوعد والوعيد، كغيرها من الأساليب الأخرى، لها أثر في التربية الأخلاقية، في الدعوة لأخلاق الذين آمنوا، والتحذير من أخلاق الكافرين، من خلال المقارنة بين عقائد، وأعمال، ومواقف، وأخلاق كل فريق منهم، والمصير المترتب على عقائدهم، وأعمالهم، بذكر طرف من أحوالهم يوم القيامة.

المطلب الثاني: أسلوب العبرة والموعظة

من أساليب آيات الوعد والوعيد العبرة والموعظة، حيث الدعوة للاعتبار والمقارنة، مقارنة عمل بعمل، وأخلاق بأخلاق، ومقارنة نتيجة بنتيجة، فتعرض الآيات ذلك من خلال الألفاظ وأضادها، مثل (المعروف، والمنكر)، و(الجنة، والنار)، و(الكفر، والإيمان)، و (العاجلة، والآخرة).

وآيات الوعد والوعيد حافلة، بأسلوب العبرة والموعظة، والتي لها دور في إحداث التأثير المطلوب، والإقناع، بإتباع أخلاق الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وتجنب أخلاق الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله، وذلك من خلال ما يأتي:

1. الحث على وحدة الأمة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والاعتبار بسوء مصير من تفرقوا من السابقين، في الدنيا والآخرة.
2. الدعوة للسير في الأرض، والاعتبار بحال المكذبين، من الأمم السابقة، واستحقاقهم للعذاب، بسبب تكذيبهم لرسلهم، مع التأكيد على أن المتقين، هم أهل الهداية والموعظة، مع بيان أن العواقب في الآخرة، هي نتيجة الأعمال في الدنيا، وتدعوهم إلى الاتعاظ، والاعتبار بمصائر الذين كفروا.

3. بيان أن الهداية تعود بالنفع على صاحبها، وأمته، والضلالة يُضِلُ بها صاحبها نفسه، ومجتمعه، وتفاوت درجات في الآخرة، ما هي إلا نتائج تفاوت الأعمال في الدنيا.
4. الدعوة للاعتبار بمصير الأمم السابقة، وفهم أن سنة الله مع الكافرين الهزيمة في الدنيا، والعذاب الأليم في الآخرة، والذنوب ستورد صاحبها العقاب الشديد، لا محالة، ونعم الدنيا من أموال وأولاد، لا تغني من الله شيئا.
5. إن تعطيل وسائل الإدراك، كالبصر، والسمع، والعقل، باتخاذ الأولياء من دون الله، سيدخل اللبس على الكافر، فيعتقد أنه على خير، بينما هو على ضلالة، مما سيجعله أهلا لدخول جهنم.
6. الاعتبار بمصير من كان في الدنيا في حالة ضعف، أمام إغواء إبليس وتزينه الباطل، وإتباعه في الضلال، باتخاذ الأرباب من دون الله.

ومن الأمثلة على هذا الأسلوب في آيات الوعد والوعيد ما يلي:

المثال الأول: العبرة بمصير بيض الوجوه، وسودها:

وذلك بالحث على وحدة الأمة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والاعتبار بسوء مصير من تفرقوا من السابقين، في الدنيا والآخرة، كما في قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (104) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (105) يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (106) وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (107) تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ (108)﴾ (سورة آل عمران:104-108).

تهدي الآيات المؤمنين، إلى أن العواقب في الآخرة، هي نتيجة الأعمال في الدنيا، وتدعوهم إلى الاتعاظ والاعتبار، بحال من تفرقوا واختلفوا، من بعد ما جاءتهم البينات، فكانت عاقبتهم العذاب الأليم، وتقدم هذه العبرة، خلال لفت انتباههم، للبعد الشاسع، والتباين في مواقف وأحوال كل فريق، فالأمة تقابلها الفرقة، والمعروف يقابله المنكر، والفلاح يقابله الاختلاف، وبيض الوجوه، يقابلهم سود الوجوه، والكفر، يقابله الإيمان، والرحمة، يقابلها العذاب.

وفي بيان معنى قوله تعالى: (يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ)، يقول الإمام القاسمي: "أي: تبيض وجوه كثيرة وهي وجوه المؤمنين، لإتباعها الدين الحق، الذي هو النور الساطع، وتسودّ وجوه كثيرة، وهي وجوه الكافرين من أهل الكتاب والمشركين، لإتباعها الضلالات المظلمة، وليستدل بذلك على إيمانهم وكفرهم، فيجازي كلاً بمقتضى حاله"1.

ويبين أن المقصود برحمة الله في الآيات الجنة، لأننا ندخلها برحمة من الله، فيشرح قوله تعالى: (وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَتِ اللَّهِ هُمْ فِيها خالِدُونَ)، وذلك بقوله: "المراد برحمة الله: الجنة، عبر عنها بالرحمة تنبيها على أن المؤمن وإن استغرق عمره في طاعة الله تعالى فإنه لا يدخل الجنة إلا برحمته تعالى "2.

ودعوة أخرى للمسارعة في الخيرات، وطلب المغفرة من الله، مع الاعتبار بمصير المكذبين من السابقين، كما سيتبين من المثال الثاني.

المثال الثاني: العبرة بعاقبة المكذبين:

الدعوة للسير في الأرض والاعتبار بحال المكذبين من الأمم السابقة، واستحقاقهم للعذاب بسبب تكذيبهم لرسلهم، مع التأكيد على أن المتقين هم أهل الهداية والموعظة، مع بيان_أن

1 – القاسمي، **محاسن التأويل**، ج2، ص382.

2 – القاسمي، المرجع السابق، ج2، ص384.

العواقب في الآخرة، هي نتيجة الأعمال في الدنيا، وتدعوهم إلى الاتعاظ، والاعتبار بمصائر الذين كفروا، كما في قوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (133) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (134) وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (135) أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (136) قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (137) هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ (138)﴾ (سورة آل عمران:133–138).

تدعو الآيات للمسارعة في طلب المغفرة من الله تعالى، وتشوق المؤمنين لجنة عرضها السماوات والأرض، وتذكر طرفاً من أخلاق مستحقيها الذين يحملون وسام (المتقين)، وأكدت الآيات على أن المتقين هم أهل الهداية والموعظة، أما أخلاقهم التي عادت بالنفع عليهم وعلى المجتمع الذي يعيشون فيه، فهي أخلاق فوق العادية، لا يقدر عليها إلا من بلغ درجة الإحسان، وهي؛ الإنفاق في سبيل الله، في اليسر والعسر، وكظم الغيظ، والعفو عمن أساء لهم، مع ملازمة الاستغفار للذنوب، وعدم الإصرار على المعاصي، ثم ذكرت ثوابهم عند الله، وهو المغفرة والأجر العظيم، وفي الآيات دعوة للاعتبار بمصير المكذبين، الذين كذبوا بالله ورسله واليوم الآخر.

يقول الإمام الطبري في تفسير قوله تعالى: (قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ)، "أي: مَضَتْ وَسَلَفَتْ مِنِّي فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ يَا مَعْشَرَ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ وَأَهْلِ الْإِيمَانِ بِهِ، مِنْ نَحْوِ قَوْمِ عَادٍ وَثَمُودَ، وَقَوْمِ هُودٍ، وَقَوْمِ لُوطٍ وَغَيْرِهِمْ مِنْ سُلَّافِ الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ، سُنَنٌ، يَعْنِي ثَلَاثَ سِيَرٍ بِهَا فِيهِمْ وَفِيمَنْ كَذَّبُوا بِهِ مِنْ أَنْبِيَائِهِمُ الَّذِينَ أَرْسِلُوا إِلَيْهِمْ، بِإِمْهَالِي أَهْلَ التَّكْذِيبِ بِهِمْ، وَاسْتِدْرَاجِي إِيَّاهُمْ، حَتَّى بَلَغَ الْكِتَابُ فِيهِمْ أَجَلَهُ الَّذِي أَجَّلْتُهُ لِإِدَالَةِ أَنْبِيَائِهِمْ وَأَهْلِ الْإِيمَانِ بِهِمْ عَلَيْهِمْ، ثُمَّ أَحْلَلْتُ بِهِمْ عُقُوبَتِي،

وَنَزَلَتْ بِسَاحَتِهِمْ نِقْمَتِي، فَتَرَكْتُهُمْ لِمَنْ بَعْدَهُمْ أَمْثَالًا وَعِبَرًا، وقوله تعالى: (فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ)، أي: فَسِيرُوا، فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ تَكْذِيبِهِمْ أَنْبِيَائِي، وَمَا الَّذِي آلَ إِلَيْهِ عَنْ خِلَافِهِمْ أَمْرِي، وَإِنْكَارِهِمْ وَحْدَانِيَّتِي، فَتَعْلَمُوا عِنْدَ ذَلِكَ أَنَّ إِدَالَتِي مَنْ أَدَلْتُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ عَلَى نَبِيِّه مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ بِأُحُدٍ، إِنَّمَا هِيَ اسْتِدْرَاجٌ وَإِمْهَالٌ، لِيَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ الَّذِي أَجَّلْتُ لَهُم"1.

وفي معنى الهدى والعظة، يقول الإمام الطبري" يَعْنِي بِالْهُدَى الدَّلَالَةَ عَلَى سَبِيلِ الْحَقِّ وَمَنْهَجِ الدِّينِ، وَبِالْمَوْعِظَةِ التَّذْكِرَةَ لِلصَّوَابِ وَالرَّشَادِ"2.

ولا يخفى علينا ما لهذا الأسلوب من تأثير على السامع، لمخاطبته العقل والقلب معاً، وجمعه ما بين الوعد والوعيد، ووقفة أخرى للاعتبار بحال من يريد الدنيا وحال من يريد الآخرة، كما في المثال الثالث.

المثال الثالث: العبرة بعاقبة من يريد العاجلة، ومن يريد الآخرة:

وذلك من خلال بيان أن الهداية تعود بالنفع على صاحبها، وأمته، والضلالة يُضِلُ بها صاحبها نفسه، ومجتمعه، وتفاوت درجات في الآخرة، ما هي إلا نتائج تفاوت الأعمال في الدنيا، كما في قوله، تعالى: ﴿مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا (15) وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا (16) وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا (17) مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا (18) وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ

1 – الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ج6، ص70–71 (بتصرف).

2 – الطبري، المرجع السابق، ج6، ص75.

فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا (19) كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا (20) انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا (21) لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولًا (22)﴾ (سورة الإسراء:15-22).

فتعرض الآيات المقارنة بين فريقين من يريد الدنيا ويعمل عملها، ومن يريد الآخرة ويعمل عملها، وتبين أن الهداية تعود بالنفع على صاحبها، والضلالة لا يُضِلُ بها صاحبها إلا نفسه، وكل إنسان ملزم بعمله الذي عمله في الدنيا، فالتفاضل في الدرجات في الآخرة، مرتبط بتفاوت الناس في الأعمال في الدنيا، وأن الله قد فاضل بين الناس في الدنيا في الهداية وفي الأرزاق، وفقاً لمشيئته وحكمته، ولكن التفاضل في الآخرة سيكون هو الأهم.

ويشرح الإمام فخر الدين الرازي معنى (التفاضل) في قوله تعالى: (انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنا بَعْضَهُمْ عَلى بَعْضٍ)، فيقول: "وَفِيهِ قَوْلَانِ: الْقَوْلُ الْأَوَّلُ: الْمَعْنَى: انْظُرْ إِلَى عَطَائِنَا الْمُبَاحِ إِلَى الْفَرِيقَيْنِ فِي الدُّنْيَا، كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ فَأَوْصَلْنَاهُ إِلَى مُؤْمِنٍ وَقَبَضْنَاهُ عَنْ مُؤْمِنٍ آخَرَ، وَأَوْصَلْنَاهُ إِلَى كَافِرٍ، وَقَبَضْنَاهُ عَنْ كَافِرٍ آخَرَ، والْقَوْلُ الثَّانِي: أَنَّ الْمُرَادَ أَنَّ الْآخِرَةَ أَعْظَمُ وَأَشْرَفُ مِنَ الدُّنْيَا، وَالْمَعْنَى أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ، وَالْكَافِرِينَ يَدْخُلُونَ النَّارَ، فَيَظْهَرُ فَضْلُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ"[1].

وفي دعوة للنظر، والاعتبار، والاستبصار في تفاضل الناس في الأعمال في الدنيا وفي الدرجات في الآخرة، دافع للسعي لنيل رضا الله والدرجات العليا في الآخرة، وعدم الانشغال عن ذلك بالدنيا وتحصيلها.

[1]- الرازي، **مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير**، ج20، ص319 (بتصرف).

وقد يكون الاعتبار بحال الذين كفروا ومصائرهم، فيه الموعظة الدافعة لتجنب أخلاقهم والبعد عن عقائدهم وسبلهم، وأعمالهم، التي دخلوا بها جهنم وبئس المصير، كما سيتبين في المثال الرابع.

المثال الرابع: العبرة بمصير آل فرعون:

حيث الدعوة للاعتبار بمصير الأمم السابقة، وفهم أن سنة الله مع الكافرين الهزيمة، في الدنيا، والعذاب الأليم في الآخرة، والذنوب ستورد صاحبها العقاب الشديد لا محالة، ونعم الدنيا من أموال، وأولاد، لا تغني من الله شيئا، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ(10) كَدَأْبِ آَلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآَيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ(11) قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ(12) قَدْ كَانَ لَكُمْ آَيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ(13)﴾(سورة آل عمران:10-13).

تقرر الآيات حقيقة، أن نعم الدنيا من أولاد وأموال، والتي هي مصر عز الكافر وفخره في الدنيا، لن تغني عنه شيئاً من عذاب الله في الآخرة، وتدعم للاعتبار بمصير آل فرعون، فهم على غناهم وجبروتهم، أخذهم الله أخذ عزيز مقتدر، وفي الآيات وعيد للذين كفروا، بالهزيمة في الدنيا، ودخول جهنم في الآخرة، وفي الآيات كذلك دعوة للمؤمنين للاعتبار، وفهم سنة الله في نصرة أوليائه، وهزيمة أعدائه، وفي ذلك حافز للمؤمنين، للاجتهاد والعمل، ليكونوا أولياء الله حقاً، فيستحقوا نصره، وتأييده.

ومثال آخر، عن موقف من المواقف السلبية للذين كفروا، يحتاج للتفكر والاعتبار، حتى لا نبتلي بما أصابهم من غفلة وعمى، كما سيتبين في المثال الخامس.

المثال الخامس: العبرة بجزاء الْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا:

حيث أن تعطيل وسائل الإدراك، كالبصر، والسمع، والعقل، باتخاذ الأولياء من دون الله، سيدخل اللبس على الكافر، فيعتقد أنه على خير، بينما هو على ضلالة، مما سيجعله أهلا لدخول جهنم، كما في قوله تعالى: ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا (100) الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا (101) أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا (102) قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا (103) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (104) أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا (105) ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا (106) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا (107) ﴾ (سورة الكهف:100-107).

وحتى تتحقق العبرة والموعظة لا بد أن تكون عندنا إجابة عن السؤال الحاسم، من هم الأخسرون أعمالا؟! إنهم الذين عطلوا حواسهم في الدنيا، عن الانتفاع بما جاءهم من ذكر، وعصوا الله باتخاذ الأولياء من دونه، ظنا منهم أنهم سينجون بتكذيبهم بلقاء الله، واستهزاءهم بأنبيائه، فبين الله لهم، أنهم قد حبطت أعمالهم، وأن منازلهم في الآخرة، ستكون في جهنم، وفي المقابل فإن الذين وجبت لهم منازل في الفردوس الأعلى، هم الذين آمنوا وعملوا الصالحات.

وفي الآيات تنبيه على ضرورة إعمال الحواس -كما أراد الله لها- وعدم تعطيلها، بإتباع الأولياء، واتخاذهم أنداداً من دون الله، وفي السؤال: (قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا)، شد للسامع، بحيث يتوقف للتفكير، في الجواب، ثم الاعتبار بمصير من ضل سعيه في الدنيا، ظاناً بنفسه الخير والنجاح.

أما الأخسرون أعمالاً، فهم كما يقول الإمام الطبري: "الَّذِينَ أَتْعَبُوا أَنْفُسَهُمْ فِي عَمَلٍ يَبْغُونَ بِهِ رِبْحًا وَفَضْلًا، فَنَالُوا بِهِ عَطَبًا وَهَلَاكًا وَلَمْ يُدْرِكُوا طَلَبًا، كَالْمُشْتَرِي سِلْعَةً يَرْجُو بِهَا فَضْلًا وَرِبْحًا، فَخَابَ رَجَاؤُهُ وَخَسِرَ بَيْعُهُ، وَوُكِسَ فِي الَّذِي رَجَا فَضْلَهُ"[1].

ودعوة أخرى للاعتبار بمصير من استجاب لجنود إبليس، من الأصدقاء الضالين المضلين، واتخذ معبوداً من دون الله، فكان جزاؤه جهنم، كما يتبين من المثال السادس.

المثال السادس: العبرة بعاقبة الغاوين، وعاقبة المؤمنين:

وذلك من خلال الاعتبار بمصير من كان في الدنيا في حالة ضعف أمام إغواء إبليس وتزينه الباطل، وإتباعه في الضلال، باتخاذ الأرباب من دون الله، كما في قوله تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ (90) وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ (91) وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ (92) مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْتَصِرُونَ (93) فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ (94) وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ (95) قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ (96) تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (97) إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (98) وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ (99) فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ (100) وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ (101) فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (102) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (103)﴾ (سورة الشعراء:90-103).

ففي الآيات مقارنة بين صورتين، صورة المؤمنين، وقد قربت لهم الجنات، يقابلها صورة الكافرين الغاوين، قد قربت لهم الجحيم، شارحين سبب ما كانوا فيه من ضلال، ذلك أنهم استجابوا لغواية الشيطان لهم، واعرضوا عن الإيمان بالله، واكتشفوا خيبة موقفهم يوم القيامة، عندما يتخلى عنهم الأصحاب والأنداد.

[1] – الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ج15، ص423.

وفي الآيات دعوة للمؤمنين بالاعتبار بمصير الكافرين، من خلال تصوير مشاعر الحسرة التي تصيب الضالين، عندما يدركون خسارتهم، فالمؤمنون قد قربت لهم الجنان، بينما هم يقتربون من الجحيم، وتزيد حسرتهم وألمهم عندما يوجه لهم السؤال في قوله تعالى: (أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ؟)، ويعبرون عن اعترافهم بسود اختيارهم في الدنيا، وتمنيهم العودة لها، لتصحيح ما فات، كما يظهر من قوله تعالى: (فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ)، ولكن دون جدوى.

وحول تخاصم أهل النار يشرح الإمام ابن عطية المشهد، كما تصوره الآيات، فيقول: "ثم وصف تعالى أن أهل النار يَخْتَصِمُونَ فيها ويتلاومون ويأخذون في شأنهم بجدال، ومن جملة قولهم لأصنامهم على جهة الإقرار وقول الحق قسم (تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا) إلا ضالين في أن نعبدكم ونجعلكم سواء مع الله تعالى الذي هو رب العالمين وخالقهم ومالكهم، ثم عطفوا يردون الملامة على غيرهم أي ما أضلنا إلا كبراؤنا وأهل الجرم والجرأة والمكانة، ثم قالوا على جهة التلهف والتأسف حين رأوا شفاعة الملائكة والأنبياء والعلماء نافعة في أهل الإيمان عموما، وشفاعة الصديق في صديقه خاصة (فَما لَنا مِنْ شافِعِينَ وَلا صَدِيقٍ حَمِيمٍ) وفي هذه اللفظة منبهة على محل الصديق من المرء، قال ابن جريج شافِعِينَ من الملائكة وصَدِيقٍ من الناس"1.

ويستخلص مما تقدم أن أساليب العبرة والموعظة المستفادة من آيات الوعد والوعيد لها أثر في التربية الأخلاقية في الدعوة لأخلاق الذين آمنوا وعملوا الصالحات، و التحذير من أخلاق الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله، من خلال الدعوة للسير في الأرض، والاعتبار بمصائر الأمم السابقة من المكذبين للرسل، والاعتبار كذلك بأحوال أهل النار، كما بينته آيات الوعد والوعيد في الأمثلة السابقة.

---

1 – ابن عطية، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ج4، ص236.

المطلب الثالث: أسلوب الترغيب والترهيب

من أساليب القرآن الكريم الواضحة في آيات الوعد والوعيد الترغيب والترهيب، لما لهذا الأسلوب من تأثير على المتلقي، يقول الإمام فخر الدين الرازي عن هذا الأسلوب: " اعلم أنه سبحانه وتعالى ما ذكر في القرآن آية في الوعيد إلا وذكر بجنبها آية في الوعد، وذلك لفوائد:

أحدها: ليظهر بذلك عدله سبحانه، لأنه لما حكم بالعذاب الدائم على المصرين على الكفر وجب أن يحكم بالنعيم الدائم على المصرين على الإيمان.

ثانيها:أن المؤمن لا بد وأن يعتدل خوفه ورجاؤه على ما قال عليه –الصلاة والسلام: "لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا"[1]، وذلك الاعتدال لا يحصل إلا بهذا الطريق.

ثالثها:أنه يظهر بوعده كمال رحمته، وبوعيده كمال حكمته، فيصير ذلك سببا للعرفان"[2].

فمن أساليب الإقناع في آيات الوعد والوعيد، أسلوب الترغيب والترهيب، للتشجيع على إتباع أخلاق الذين آمنوا وعملوا الصالحات، والتنفير من أخلاق الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله، وذلك من خلال ما يأتي:

1. الترغيب في رضوان الله، وما عنده تعالى من خلود في جنات متعددة النعم، للمؤمنين المتقين، والتحذير من الانغماس في الشهوات الزائلة، والمؤقتة، وبيان وعد الله للمؤمنين

---

[1] – السخاوي ، أبو الخير شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت902هـ)، **المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة**، ت: محمد عثمان الخشت (بيروت: دار الكتاب العربي، ط1، 1405هـ/1985م، ج1، ص555، رقم (909)، وقال: لا أصل له في المرفوع، وإنما يؤثر عن بعض السلف.
وينظر: ابن تيمية، أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبدالحليم الحراني (ت728هـ)، **مجموع الفتاوى**، ت: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم (المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، د.ط، 1416هـ/1995م)، وقال: هذا مأثور عن بعض السلف وهو كلام صحيح.

[2] – الرازي: **مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير**، ج1، ص149.

المتقين، بالجنات متعددة النعم، وهم أهل الإيمان، والاستغفار، ومن أخلاقهم: الصبر، والصدق، والقنوت، والإنفاق، والاستغفار بالأسحار.

2. الترغيب والترهيب من خلال المقارنة بين أحوال المؤمنين في الجنة، وأحوال الكافرين في جهنم ذكر أنواع النعيم المقدم لأهل الجنة، وأعلاها نيل رضوان الله تعالى، ويقابلها ألوان العذاب، التي يقاسيها أهل النار.

3. إدراك أن الأجر الكريم هو للذين آمنوا، نتيجة ثباتهم على الحق في الدنيا، وأن العذاب المهين هو للذين كفروا نتيجة إصرارهم على الكفر فيها

4. استيعاب وفهم سنة الله في إمهال الكافرين، وتمييز الخبيث من الطيب.

5. توضيح تمايز الأحوال والمشاعر بين المؤمنين، والكافرين يوم القيامة، فالمؤمنون لا يحزنهم الفزع الأكبر، والكافرون تشخص أبصارهم رعباً.

6. التفريق بين المجرمين يصلون النار بنسيانهم يوم الحساب، والمؤمنين يخرون لله سجداً عندما يتذكرون آيات الله.

ومن الأمثلة على هذا الأسلوب في آيات الوعد والوعيد ما يلي:

المثال الأول: الترهيب من متاع الحياة الدنيا، والترغيب في جنات تجري من تحتها الأنهار:

حيث الترغيب في رضوان الله، وما عنده تعالى من خلود، في جنات متعددة النعم، للمؤمنين المتقين، والتحذير من الانغماس في الشهوات الزائلة، والمؤقتة، وبيان وعد الله للمؤمنين المتقين، بالجنات متعددة النعم، وهم أهل الإيمان، والاستغفار، ومن أخلاقهم: الصبر، والصدق، والقنوت، والإنفاق، والاستغفار بالأسحار، كما في قوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ

النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآَبِ (14) قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (15) الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آَمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (16) الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ (17)﴾ (سورة آل عمران:14-17).

حيث ترغب آيات الوعد والوعيد في التحلي بأخلاق المؤمنين؛ من خلال مقارنة نعم الدنيا المؤقتة، بنعم الآخرة الدائمة، مبينة أنها تنال بالإيمان بالله، والتقوى، وتبين أخلاق المؤمنين الذين استحقوها، وهي: خلق الصبر، والصدق، والقنوت، والإنفاق، والاستغفار، وقد نوهت الآيات لهذه المقارنة باستفهام للفت الأسماع، وتشويق النفوس، في قوله تعالى: (قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ؟).

ولهذا الاستفهام حكمة، فيقول ابن عاشور في بيان حكمة الاستفهام في الآية: "والمخاطب به النبي –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–وَالِاسْتِفْهَامُ لِلْعَرْضِ تَشْوِيقًا مِنْ نُفُوسِ الْمُخَاطَبِينَ إِلَى تَلَقِّي مَا سَيُقَصُّ عَلَيْهِمْ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: (هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلى تِجارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذابٍ أَلِيمٍ) (الصَّفّ: 10)"[1].

ومثال آخر للترغيب في الجنة ونعيمها، والترهيب من جهنم وعذابها، وأعمال من استحقوا دخلوها، كما في المثال الثاني.

المثال الثاني: الترغيب في نعيم أصحاب الجنة، والترهيب من جهنم الكافرين.

حيث الترغيب والترهيب من خلال المقارنة بين أحوال المؤمنين في الجنة، وأحوال الكافرين في جهنم، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ (55) هُمْ

[1] – ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج3، ص184.

وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ (56) لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ (57) سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ (58) وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ (59) أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آَدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (60) وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (61) وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ (62) هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (63) اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (64) الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (65) ﴾ (سورة يس:55-65).

فالترغيب والترهيب في المقطع القرآني، تم من خلال تقديم صورتين، صورة المؤمنين وهم مجتمعون في الجنة، مشغولون بالتنعم فيها، هم وأزواجهم الذين تشاركوا معهم الإيمان والهداية، واجتمعوا على الطاعات في الدنيا، يتشاركون معهم نعيم الجنة ، والصورة الثانية للكافرين في وحدتهم، يصلون نار جهنم، ولتعميق الاعتبار بالمصيرين، لاسيما مصير الكافرين، تضمنت الآيات خطاباً للكافرين، ولوماً على سوء اختياراتهم في الدنيا، من إتباع الشيطان، وسلوك دروب الضلال، وتذكيرهم بأنهم قد تم وعيدهم في الدنيا بالنار، وها قد صُدقوا الوعد.

والشيخ المراغي يشرح حال الكافرين في هذا اليوم، فيقول: "بعد أن ذكرت الآيات ما للمحسنين من نعيم، واجتماع بالمحبين، والإخوان، والأزواج في الجنات- أعقبه بذكر حال المجرمين، وأنهم في ذلك اليوم يطلب منهم التفرق، وابتعاد بعضهم من بعض، فيكون لهم عذابان: عذاب النار، وعذاب الوحدة، ولا عذاب فوق هذا، ثم أردف هذا أنه قد كان لهم مندوحة من كل هذا، بما أرسل إليهم من الرسل، الذين بلغوهم أوامر ربهم، ونواهيه، ومنها نهيهم عن إتباع خطوات الشيطان، وعن إتباعه فيما يوسوس به، ثم ذكر أنه كان لهم فيمن قبلهم من العظات، ما فيه مزدجر لهم لو تذكروا، لكنهم اتبعوا وساوسه، فحل بهم من النكال والوبال، ما

رأوا آثاره بأعينهم في الدنيا، وفيه دليل على ما سيكون لهم في العقبى، ثم ذكر مآل أمرهم، وأنهم سيصلون نار جهنم، خالدين فيها أبدا بما اكتسبت أيديهم"[1].

ولأصحاب اليمين شأن آخر، ونعيم يثير العجب والتساؤل، ما أصحاب اليمين؟ كما أن لأصحاب الشمال مصير والعياذ بالله منه، يثير التساؤل، كما سيتبين في المثال الثالث.

المثال الثالث: الترغيب في أحوال أصحاب اليمين، والترهيب من أحوال أصحاب الشمال:

وذلك من خلال إدراك أن الأجر الكريم، هو للذين آمنوا نتيجة ثباتهم على الحق في الدنيا، وأن العذاب المهين هو للذين كفروا نتيجة إصرارهم على الكفر فيها، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ (27) فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ (28) وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ (29) وَظِلٍّ مَمْدُودٍ (30) وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ (31) وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ (32) لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ (33) وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ (34) إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً (35) فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا (36) عُرُبًا أَتْرَابًا (37) لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ (38) ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ (39) وَثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ (40) وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ (41) فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ (42) وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ (43) لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ (44) إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ (45) وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنْثِ الْعَظِيمِ (46) وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ (47) أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ (48) ﴾ (سورة الواقعة:27-48).

فالترغيب والترهيب في الآيات كان بالمقارنة الواضحة بين رغد الآخرة المعد لأصحاب اليمين، من الاستمتاع بالظل الممدود، والتمتع بطعام الجنة، وشرابها، وفرشها المعدة خصيصاً لهم، يقابل ذلك العذاب المهين، الذي يتجرعه أصحاب الشمال، مع تذكيرهم بأنهم كانوا مترفين

1 - المراغي، المرجع السابق، ج23، ص24-25 (بتصرف).

في الدنيا، مصرين على الكفر والتكذيب باليوم الآخر، وهذا كان سبب تجرعهم عذاب النار اليوم.

فيقول الإمام البقاعي حول شأن أصحاب اليمين كما في قوله تعالى: (وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ)، "ثم فخم أمرهم، وأعلى مدحهم، لتعظيم جزائهم، والإشارة إلى أنهم أهل لأن يسأل عن حالهم، فإنهم في غاية الإعجاب، فقال: (مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ)، ولما عبر عنهم بما أفهم أنهم أولو القوة والجد في الأعمال، والبركة في جمع الأحوال، ذكر عيشهم بادئاً بالفاكهة، لأن عيش الجنة كله تفكه، ذاكراً منها ما ينبت في بلاد العرب من غير كلفة بغرس ولا خدمة"[1].

ثم بين فراش أهل الجنة: "ولما كان التفكه لا يكمل الالتذاذ به إلا مع الراحة قال: (وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ) أي هي رفيعة القدر وعالية بالفعل لكثرة الحشو ولتراكم بعضها على بعض"[2].

وفي ترهيب الآيات من أحوال أصحاب الشمال، يقول الإمام البقاعي: "عظم ذمهم ومصابهم فقال: (مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ) أي إنهم بحال من الشؤم هو جدير بأن يسأل عنه، ولما ذمهم وعابهم، ذكر عذابهم ليعلم أن القسم الأشد منهم في الشؤم أشد عذاباً فقال: (فِي سَمُومٍ) أي ظرفهم المحيط بهم، لفح من لفح النار، شديد، يتخلل المسام، (وَحَمِيمٍ)، أي: ماء حار، بالغ في الحرارة، إلى حد يذيب اللحم، و(وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ)، أي: دخان أسود كالحمم أي الفحم شديد السواد بما أفهمته الزيادة وشبه صيغة المبالغة: ولما كان المعهود من الظل البرد والإراحة، نفى ذلك عنه فقال: (لَا بَارِدٍ) ليروح النفس (وَلَا كَرِيمٍ) ليؤنس به، ويلجأ إليه، بل هو مهين، سماه ظلاً، لترتاح النفس إليه، ثم نفى عنه نفع الظل وبركته، لينضم حرقان: اليأس بعد الرجاء إلى إحراق اليحموم، فتصير الغصة غصتين."[3].

---

[1] –البقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، ج19، ص206–207.

[2] –البقاعي، المرجع السابق، ج19، ص208.

[3] –البقاعي، المرجع السابق، ج19، ص212 (بتصرف).

وفي موضع آخر يحذر المقطع القرآني الذين كفروا بتكرار عبارة (ولا يحسبن)، فهم يسارعون في الكفر، ويشترون الكفر بالإيمان، يزدادون إثماً، ويبخلون بما آتاهم الله من فضله، وتتوعدهم بعذاب عظيم، وعذاب أليم، وعذاب مهين، كما في المثال الرابع.

المثال الرابع: الترهيب من مصير الذين يسارعون في الكفر:

وذلك باستيعاب سنة الله في إمهال الكافرين، وتمييز الخبيث من الطيب، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الْآَخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (176) إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (177) وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ (178) مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَآَمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ (179) وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (180)﴾ (سورة آل عمران:176-180).

ففي الآيات وعيد وترهيب من مواقف الكافرين، الذين: يسارعون في الكفر، والذين باعوا الإيمان، واشتروا الكفر، وتهديد لهم بأن مد الله لهم وتركهم في غيهم، إنما هو من قبيل الإمهال والاستدراج، وفي كل يوم، لهم في الكفر تكبير وتعظيم لجرمهم، الذي توعدهم الله عليه، بالعذاب الموصوف بأنه: عذاب عظيم، وعذاب أليم، وعذاب مهين، بالإضافة إلى تهديد الآيات لمن يتخلق بخل البخل، والوعيد له بالعذاب يوم القيامة.

وفي الآيات كذلك بيان، أن ابتلاء الله للمؤمنين، فيه خير لهم، لأن الله –سبحانه وتعالى– يمحصهم بهذا الابتلاء، فيتميز الطيب عن الخبيث، وفيها حث للمؤمنين بالثبات على عقيدة الإيمان، وفهم سنته في إمهال الكافرين.

فيبين الشيخ محمد عبده، حكمة الله في سنة امهال الكافرين، الواردة في قوله تَعَالَى: (وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ)، فيقول: "فَبَيَّنَ لَنَا سُنَّةً حَكِيمَةً مِنْ سُنَنِهِ فِي الِاجْتِمَاعِ الْبَشَرِيِّ، وَهِيَ أَنَّ الْإِنْسَانَ يَبْلُغُ الْخَيْرَ بِعَمَلِهِ الْحَسَنِ، وَيَقَعُ فِي الضَّيْرِ بِتَقْصِيرِهِ فِي الْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَتَشْمِيرِهِ فِي عَمَلِ السَّيِّئَاتِ، وَالْعِبْرَةُ بِالْخَوَاتِيمِ، فَكَأَنَّهُ قَالَ: إِنَّ هَذَا الْإِمْلَاءَ لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ عِنَايَةً مِنَ اللهِ بِهِمْ. وَإِنَّمَا هُوَ جَرْيٌ عَلَى سُنَّتِهِ فِي الْخَلْقِ، وَهِيَ أَنْ يَكُونَ مَا يُصِيبُ الْإِنْسَانَ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ هُوَ ثَمَرَةُ عَمَلِهِ. وَمِنْ مُقْتَضَى هَذِهِ السُّنَّةِ الْعَادِلَةِ أَنْ يَكُونَ الْإِمْلَاءُ لِلْكَافِرِ عِلَّةً لِغُرُورِهِ، وَسَبَبًا لِاسْتِرْسَالِهِ فِي فُجُورِهِ، فَيُوقِعُهُ ذَلِكَ فِي الْإِثْمِ الَّذِي يَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ الْعَذَابُ الْمُهِينُ."[1].

ومقارنة أخرى بين فريقين يوم القيامة، من يشعر بالخوف، ومن يشعر بالأمان، كما سيتبين في المثال الخامس.

المثال الخامس: حال وحال؛ الشاخصة أبصارهم، ومن لا يحزنهم الفزع الأكبر:

حيث توضيح تمايز الأحوال، والمشاعر، بين المؤمنين، والكافرين يوم القيامة، فالمؤمنون لا يحزنهم الفزع الأكبر، والكافرون تشخص أبصارهم رعباً، كما في قوله، تعالى: ﴿وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ (97) إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ (98) لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَا

[1] – رشيد رضا، **تفسير القرآن الحكيم** المسمى **(تفسير المنار)**، 4، ص205.

وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ (99) لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ (100) إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ (101) لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ (102) لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (103)﴾ (سورة الأنبياء: 97-103).

وفي الآيات ترهيب وترغيب، يتضح من خلال تصوير مشاعر الخوف والفزع، التي تجتاح الظالمين يوم القيامة، المعبر عنها بشخوص الأبصار من هول الفزع، وما يصاحب هذا الرعب من مشاعر الندم والدعاء على النفس (يا ويلنا)، ولن ينفهم هذا، ولا مجال للعودة وإصلاح ما فسد من أعمال.

تقابل تلك الصورة، صورة المؤمنين المطمئنين، الذي أبعدت عنهم كل أشكال خوف، فقد ابعدوا عن النار، وقربت لهم الجنان، حيث النعم والراحة الخالدة، فالآيات تنفي الفزع عنهم، وتعدهم بالخلود في الجنات، وتزيد الصورة روعة وترغيباً باستقبال الملائكة للمؤمنين.

وفي المشهدين الأثر البليغ على النفس، والدعوة لإعادة النظر في المواقف والاختيارات الإيمانية في الدنيا، لأن مشاعر الحسرة والندم في الآخرة، لن تجدي صاحبها نفعاً.

وفي وصف حال الشاخصة أبصارهم، يقول الشيخ المراغي: :"وقرب مجيء يوم القيامة، وإذ ذاك تشخص أبصار الذين كفروا وترتفع أجفانهم، فلا تكاد تطرف من هول ما هم فيه، حين يقومون من قبورهم، ويعلمون أن هذا يوم الحساب، الذي لم يعدّوا له العدّة، بل كانوا ينكرون مجيئه وحينئذ يقولون -كما جاء في الآيات-: (يا وَيْلَنا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هذا بَلْ كُنَّا ظالِمِينَ)، أي: يا هلاكنا احضر فهذا أوانك، فقد كنا في الدنيا في غفلة من هذا الذي دهمنا من البعث

والرجوع إلى الله للحساب والجزاء– لا بل الحق أننا لم نكن في غفلة إذ نبهتنا الآيات والنذر، وإنما كنا ظالمين لأنفسنا بتعريضها للعذاب الخالد بالتكذيب. "1.

ويقول عن حال من لا يحزنهم الفزع الأكبر: " أما من كتبت له السعادة والنجاة من النار، فأولئك يكونون مبعدين عنها، لا يسمعون صوت لهيبها، ولا يخافون من أهوالها وآلامها، بل يكونون في نعيم دائم وتستقبلهم الملائكة مهنئين لهم قائلين: (هذا يومكم الذي كنتم توعدون) في الدنيا"2.

ومقارنة أخرى، وسؤال بليغ ستجيب عليه الآيات، (أفمن كان مؤمنا كما كان فاسقا؟)، في ساعة الحساب، عندما يدرك الكفار، بأعينهم خيبة أملهم، وسوء اختيارهم، في الدنيا لطريق الضلال، يطلبون ن الله و–كلهم ندم وخجل– فرصة أخرى، كما ستبين في المثال السادس.

المثال السادس: الترهيب من مصيرمن نسوا لقاء الله، والترغيب بمصير من إذا ذكروا بآياته خروا سُجداً:

وذلك من خلال التفريق بين المجرمين يصلون النار بنسيانهم يوم الحساب، والمؤمنين يخرون لله سجداً عندما يتذكرون آيات الله، كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ (12) وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (13) فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (14) إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (15) تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (16) فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ

1 – المراغي، أحمد بن مصطفى، **تفسير المراغي**، ج17، ص71.

2 – المراغي، المرجع السابق، ج17، ص73.

قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ(17) أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ(18) أَمَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ(19) وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ (20) وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ(21) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآَيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ (22) ﴾(سورة السجدة:12-22).

ففي الآيات ترغيب وترهيب، حيث يبدأ المقطع القرآني بالترهيب من أحوال المجرمين يوم القيامة، وعليهم علامات الهزيمة والذل، يعترفون بسوء أعمالهم في الدنيا، ويطلبون من الله العودة للدنيا ليحسنوا العمل فيها، فيبين الله سبب ما هم فيه من عذاب، وأن الجزاء سيكون من جنس العمل، فمن نسي لقاء الله في هذا اليوم، نساه الله فيه ومنعه من رحمته.

ثم الترغيب في أحوال الذين آمنوا، الذين كانوا في الدنيا بمجرد تذكيرهم بآيات الله، يخرون سجودا من شدة التأثر، مع خوفهم من أهوال هذا اليوم الممزوج برجائهم، وطمعهم برحمة الله –سبحانه وتعالى.

وفي الآيات تطمين، وتبشير، وتشويق لهم، في قوله تعالى: (فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ).

ويستخلص مما تقدم أن أساليب الترهيب والترغيب المستفادة من آيات الوعد والوعيد لها أثر في التربية الأخلاقية في الدعوة لأخلاق المؤمنين، والتحذير من أخلاق الكافرين، حيث تقدم الآيات نماذج للإيمان، وأخرى للكفر، وذلك لبيان المفارقات بين أعمال الفريقين ومصائرهم، فتقرر الآيات أن الأجر الكريم، هو للذين آمنوا وعملوا الصالحات، وأن جهنم وبئس المصير، للذين كفروا، وتنفر من أخلاقهم وأولها الكبر، والكذب.

وهكذا تنوعت الأساليب القرآنية الإقناعية في آيات الوعد والوعيد للحض على الأخلاق التربوية، التي تمثلت سلوكاً وعملاً، عند الذين آمنوا وعملوا الصالحات، حيث كان التحفيز، والتشويق، والإقناع، بالاقتداء بأخلاق الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وهي كما عرضتها الآيات السابقة: الصبر، والاستغفار والتقوى، والتصدق والإنفاق في سبيل الله، والوفاء بالعهد، وخشية الله، والقنوت والحياء، وذكر الله، والمسارعة في الخيرات، والدعوة إلى لخير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكظم الغيظ، والإحسان والعفو عن الناس.

وفي المقابل نجد التنفير والذم للذين كفروا، أولا لاختيارهم الإيمان، وإتباع سبل الشيطان، وكذلك لأخلاقهم المذمومة، كالجدال في الله بغير علم، والكبر، والإعراض عن الحق، والكذب، والظلم، وسواء من خلال الأساليب الأدبية أو الإقناعية لآيات الوعد والوعيد، فقد كان من أنواع الثناء والتحفيز والتشجيع، إطلاق الأوصاف الجامعة للمعاني العقلية والأخلاقية، فهم أولو الألباب، وهم السابقون والمقربون، وهم المفلحون، وهم أصحاب اليمين. ويبلغ التشويق منتهاه عندما تبشر الآيات الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالأجر العظيم من الله، والمعبر عنه بأساليب قرآنية مؤثرة، كقوله تعالى:

- (تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ) (سورة الأعراف:43)
- (ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ) (الأعراف:49)
- (جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آَبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ (23) سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ (24)) (سورة الرعد:23-24).
- (وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ) (سورة الحديد:20)
- (وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ) (سورة الحديد:21)

- (أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا (35)) (سورة الأحزاب:35).

كما تبين أن أساليب آيات الوعد والوعيد قد تنوعت في التحذير والتنفير من أخلاق ومواقف الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ومنها ما عرضته الآيات السابقة، منها على سبيل المثال: الكذب، والاستكبار، والظلم، والضلال والإضلال، والصد عن سبيل الله، والبخل، وهي كلها تعود على صاحبها بالحسرة والندامة، والخسران في الدنيا والآخرة، وفي المقابل كما كان التنفير والترهيب من أخلاقهم بإطلاق الأوصاف الجامعة للموقف العملية والأخلاقية، فهم المجرمون، وهم الظالمون، وهم المنافقون، وهم الأخسرون، وهم الطاغون، وهم الفاسقون، ويبلغ الوعيد والتحذير قمة التأثير عندما تذكر الآيات المصير المرعب الذي ينتظرهم، وقد تم تصوير ذلك من خلال الآيات في قوله تعالى:

- (وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ) (سورة آل عمران:178).
- (أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) (سورة الأعراف:36).
- (لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ) (الأعراف:41).
- (مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ (16) يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ) (سورة إبراهيم:16-17).
- (إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا) (سورة الكهف:102).
- (لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ) (سورة الحج:9).
- (لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ) (سورة الأنبياء:100).

- (فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) (سورة السجدة:14).

- (وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (سورة سبأ:33).

- (مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ) (سورة الحديد:15).

الفصل الثالث:

أثر آيات الوعد والوعيد في التربية الأخلاقية على الفرد والجماعة.

المبحث الأول: أثر آيات الوعد والوعيد في التربية الأخلاقية على الفرد.

المطلب الأول: كمال الإيمان.

المطلب الثاني: الوصول لأعلى الدرجات في الجنة.

المطلب الثالث: اكتساب محبة الله ثم محبة العباد.

المطلب الرابع: السكينة والاطمئنان القلبي.

المبحث الثاني: أثر آيات الوعد والوعيد في التربية الأخلاقية على الجماعة.

المطلب الأول: الولاء والبراء والمودة بين أفراد المجتمع.

المطلب الثاني: الدعوة لدين الله بالقدوة الحسنة.

المطلب الثالث: تحقيق المساواة ووحدة الصف.

المطلب الرابع: تحقيق التكافل الاجتماعي.

الفصل الثالث: أثر آيات الوعد والوعيد في التربية الأخلاقية على الفرد والجماعة

لآيات الوعد والوعيد أثر في التربية الأخلاقية على الفرد المسلم، وعلى الجماعة المسلمة كذلك، فكمال الإيمان، والوصول لأعلى الدرجات في الجنة، واكتساب محبة الله ثم محبة العباد، والسكينة والاطمئنان القلبي، كلها مكاسب وآثار يتمتع بها المؤمن المستجيب لآيات الوعد والوعيد والملتزم بالأخلاق التي تدعو لها.

وكذلك فإن الولاء والبراء والمودة بين أفراد المجتمع، والدعوة لدين الله بالقدوة الحسنة، وتحقيق المساواة ووحدة الصف، وتحقيق التكافل الاجتماعي، كلها آثار إيجابية ومكاسب للمجتمع المؤمن الذي تناصح أفراده واستجابوا لدعوات الرقي بالأخلاق كما تدعو لها آيات الوعد والوعيد.

المبحث الأول: أثر آيات الوعد والوعيد في التربية الأخلاقية على الفرد

لقد تبين معنا من الفصلين الأول والثاني، كيف أن الأخلاق الحسنة كانت موضع ثناء ومدح في آيات الوعد والوعيد، وهي موضع مدح كذلك في السنة النبوية، فمن الأحاديث النبوية التي مدحت حسن الخلق ما أخرجه الإمام مسلم في الصحيح، دخلْنا على عبدِاللهِ بنِ عمرو حين قدِم معاويةُ إلى الكوفةِ، فذكر رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ فقال : لم يكن فاحشًا ولا مُتفَحِشًا، وقال: قال رسولُ اللهِ –صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ–: " إنَّ من خيارِكم أحاسنُكم أخلاقًا"[1].

كذلك فقد كان للأساليب الأدبية والإقناعية في آيات الوعد والوعيد تأثيرها الإيجابي على الفرد المؤمن، بحيث أنها تشجع وتعزز لديه فضائل الأخلاق، مثل: المراقبة، والمحاسبة، والإحسان، والصدق، والعدل، وبذلك تصل به لكمال الإيمان، كما أنها تنفع صاحبها في الوصول لأعلى الدرجات في الجنة، والتي تطيب بالفوز برضا الله تعالى ومحبته وقربه، مما يعود على المسلم بالسكينة، والاطمئنان القلبي، وغيرها من الآثار الهامة، سيتم في هذا المبحث عرض بعضٍ منها، من خلال أربعة مطالب، يتم فيها الاستشهاد بأمثلة من آيات الوعد والوعيد، وأقوال المفسرين.

المطلب الأول: كمال الإيمان

لآيات الوعد والوعيد الأثر الإيجابي في التربية الأخلاقية على الفرد، مما يؤدي إلى كمال الإيمان، وهذا ما يمكن تحصيله من خلال ما يلي:

[1] – أخرجه مسلم في **صحيحه**، كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل، وعقوبة الجائر، والحث على الرفق بالرعية، والنهي، عن إدخال المشقة عليهم، ص472، رقم (1827).

1. إدراك أن المؤمنين الذين ترقوا في معارج الإيمان هم الذين استحقوا لقب (أولياء الله)، وأنهم الذين استحقوا البشارة في الدنيا وفي الآخرة لأنهم بلغوا منزلة المتقين.

2. بيان أخلاق المخبتين، التي وصلوا بها درجة عالية من الإيمان، استحقوا معها البشرى من الله، وهي: خشية الله، والصبر، والمحافظة على إقامة الصلاة، والإنفاق.

3. بيان صفات المؤمنين الموعودين بقرة الأعين، والمستحقين لجنات المأوى، وهم أهل السجود والتواضع والإنفاق، يعبدون الله خشية عذابه وطمعا في مرضاته، مع فهم العلاقة بين قوة إيمان المؤمنين، ونفي الكبر عنهم، واثبات تواضعهم وتذللهم لله –سبحانه وتعالى–، والذي ينبع من عمق تصديقهم، وقوة عقيدتهم، وفي المقابل فقد كان الكبر سبباً في تكذيب الكافرين، وفساد عقيدتهم.

ومن الأمثلة على هذه الآثار في آيات الوعد والوعيد ما يلي:

المثال الأول: إدراك أن المؤمنين الذين ترقوا في معارج الإيمان هم الذين استحقوا لقب (أولياء الله)، وأنهم الذين استحقوا البشارة في الدنيا وفي الآخرة، لأنهم بلغوا منزلة المتقين، كما في قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (62) الَّذِينَ آَمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (63) لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآَخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (64)﴾ (سورة يونس:62–64).

فالآيات تصف المؤمنين المستحقين لدخول الجنة بأنهم أولياء الله، وبأنهم أهل التقوى، مما يبين أنهم بلغوا من الإيمان منزلة استحقوا بها هذا الوصف المتضمن الثناء من الله سبحانه وتعالى، فتنفي الحزن عنهم، وتبين أنهم استحقوا أن يبشرهم الله بالفوز في الدنيا والآخرة.

والأولياء هم المؤمنون المخلصون، فيقول الإمام الْشوكاني: " الْوَلِيُّ فِي اللُّغَةِ: الْقَرِيبُ. وَالْمُرَادُ بِأَوْلِيَاءِ اللَّهِ: خُلَّصُ الْمُؤْمِنِينَ، كَأَنَّهُمْ قُرِّبُوا مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ بِطَاعَتِهِ وَاجْتِنَابِ مَعْصِيَتِهِ. وَقَدْ

فَسَّرَ سُبْحَانَهُ هَؤُلَاءِ الْأَوْلِيَاءَ بِقَوْلِهِ: (الَّذِينَ آمَنُوا وَكانُوا يَتَّقُونَ) أي: يُؤْمِنُونَ بِمَا يَجِبُ الْإِيمَانُ بِهِ، وَيَتَّقُونَ مَا يَجِبُ عَلَيْهِمُ اتِّقَاؤُهُ مِنْ مَعَاصِي اللَّهِ سُبْحَانَهُ"[1].

وهذه الدرجة من كمال الإيمان هي التي يسعى المؤمن لتحصيلها والوصول إليها، للفوز برضا الله، وما عنده من أجر وثواب.

كذلك فهنالك وصف آخر للمؤمنين الذين سموا بإيمانهم وأخلاقهم، واستحقوا البشرى من الله، كما يتبين في المثال الثاني.

المثال الثاني: بيان أخلاق المخبتين، التي وصلوا بها درجة عالية من الإيمان، استحقوا معها البشرى من الله، وهي: خشية الله، والصبر، والمحافظة على إقامة الصلاة، والإنفاق، كما في قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ (34) الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (35)﴾ (سورة الحج:34-35).

فنجد أن الآيات تمتدح من وصفتهم بـ(المخبتين)، وتبين صفاتهم وأخلاقهم التي استحقوا بها هذا التعبير، وهي: خشية الله والتواضع له، والصبر، والمداومة على إقامة الصلاة كما يحب الله، والإنفاق في سبيل الله، لسد حوائج الناس، وكذلك فإن صفة الإخبات تتضمن عدد من الأخلاق الطيبة، مثل التواضع والإخلاص.

وحول بيان حقيقة الإخبات يقول الإمام فخر الدين الرازي: "الْمُخْبِتِ مَنْ صَارَ فِي خَبْتٍ مِنَ الْأَرْضِ، يُقَالُ أَخْبَتَ الرَّجُلُ إِذَا صَارَ فِي الْخَبْتِ كَمَا يُقَالُ أَنْجَدَ وَأَشْأَمَ وَأَتْهَمَ، وَالْخَبْتُ هُوَ

1 – الشوكاني، **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، ج2، ص520.

الْمُطْمَئِنُّ مِنَ الْأَرْضِ، وَلِلْمُفَسِّرِينَ فِيهِ عِبَارَاتٌ: منها: الْمُخْبِتِينَ الْمُتَوَاضِعِينَ، أو الْمُجْتَهِدِينَ فِي الْعِبَادَةِ، أو الْمُخْلِصِينَ، أو الْمُطْمَئِنِّينَ إِلَى ذِكْرِ اللَّه تَعَالَى، أو الصَّالِحِينَ"[1].

وتتجلى أحد الأمثلة على كمال الإيمان، في وعد الله للمؤمنين بقرة الأعين، كما سيتبين في المثال الثالث.

المثال الثالث: بيان صفات المؤمنين الموعودين بقرة الأعين, والمستحقين لجنات المأوى، ، مع فهم العلاقة بين قوة إيمان المؤمنين، ونفي الكبر عنهم، واثبات تواضعهم وتذللهم لله – سبحانه وتعالى–، والذي ينبع من عمق تصديقهم، وقوة عقيدتهم، وفي المقابل فقد كان الكبر سبباً في تكذيب الكافرين، وفساد عقيدتهم، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (15) تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (16) فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (17) أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ (18) أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (19) وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ (20)﴾ (سورة السجدة:15–20).

ففي الآيات بيان لأحوال المؤمنين، الذين وصل بهم إيمانهم درجة استحقوا بها الوعد من الله بقرة الأعين، فهم الذين بلغ اليقين وقوة الإيمان بهم درجة عالية، دفعتهم إلى التذلل لله، والمسارعة بالسجود، مع تعظيم الله وتسبيحه، ومن صفاتهم أيضاً: خشية الله ومحبته، مع الإنفاق في سبيل الله، وعند مقارنة مصائر الكافرين بمصائر المؤمنين، تبين الآيات أن المؤمنين قد قُربت لهم جنات المأوى، جزاءً على أعمالهم في الدنيا، بينما الذين كفروا قرب لهم عذاب النار.

[1]– الرازي، **مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير**، ج23، ص255 (بتصرف).

أما معنى قرة العين، فقد جاء بيانه في الحديث، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (قَالَ اللَّهُ –عز وجل– أعدت لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ،– ثُمَّ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ–" تَتَجافى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضاجِعِ– إِلَى قَوْلِهِ–" بِما كانُوا يَعْمَلُونَ"[1].

وهكذا تبين من الأمثلة السابقة، أن لآيات الوعد والوعيد أثر في التربية الأخلاقية على الفرد، في الوصول إلى كمال الإيمان، وقد ظهر ذلك من خلال ثناء الآيات على أخلاقهم، وأعمالهم، ووعدهم بأعلى الدرجات في الجنة.

كما تبين العلاقة القوية بين قوة إيمان المؤمنين، ونفي الكبر عنهم، واثبات تواضعهم وتذللهم لله –سبحانه وتعالى–، والذي انعكس على أعمالهم وأخلاقهم، كما كان الكبر سبباً في تكذيب الكافرين، وفساد عقيدتهم، وسوء أخلاقهم.

المطلب الثاني: الوصول لأعلى الدرجات في الجنة

ومما سبق تبين كيف أن آيات الوعد والوعيد قد بشرت الذين آمنوا وعملوا الصالحات بأعلى الدرجات في الجنة، وفي الحدث الشريف أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قال: "أقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحسنكم خلقا"[2]. كما أنها توعدت الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله بالعذب الأليم في نار جهنم.

---

[1] – أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب التفسير، باب قوله (فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ)، ص549، رقم (4779).

[2] – أخرجه الإمام أحمد في **المسند**، مسند المكثرين من الصحابة، ج11، ص347، وقال: (إسناده صحيح)، بلفظ: (ألا أخبرُكم بأحبّكم إليَّ وأقربكم منّي مجلِسًا يومَ القيامةِ ؟ فسكَتَ القومُ فأعادَها مرَّتينِ أو ثلاثًا قال القومُ: نعَم يا رسولَ اللهِ قال أحسَنُكم خُلُقًا)، المصدر: ابن حنبل، أبو عبدالله أحمد بن محمد (ت241هـ)، **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، ت: شعيب الأرناؤوط وآخرون (د.ب: مؤسسة الرسالة، ط1، 1421هـ/2001م).
وحسنه الألباني في **صحيح الجامع الصغير وزياداته**، ج1، ص259، رقم (1173).

سيتم في المطلب الثاني من هذا المبحث بيان الأثر الإيجابي لآيات الوعد والوعيد في التربية الأخلاقية على الفرد، والذي يؤدي إلى الوصول لأعلى الدرجات في الجنة، وهذا ما يمكن تحصيله من خلال ما يلي:

1. إثبات آيات الوعد والوعيد السعادة والخلود في الجنة، والعطاء الدائم للمؤمنين.
2. بيان وعد الله للذين آمنوا وعملوا الصالحات بالدرجة العالية بالجنة والحالة الطيبة، والمرد الحسن.
3. وعد الله للذين آمنوا بالبشرى، والغرف في الجنات التي تجري من تحتها الأنهار، لما تحقق فيهم من صفات، فهم أهل الهداية، وهم أولو الألباب، وهم الذين يتبعون أحسن القول، وهم أهل التقوى.

ومن الأمثلة على هذه الآثار في آيات الوعد والوعيد ما يلي:

المثال الأول: إثبات آيات الوعد والوعيد السعادة والخلود في الجنة، والعطاء الدائم للمؤمنين، كما في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ (106) خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ (107) وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ (108)﴾ (سورة هود:106-108).

حيث تبشر آيات الوعد والوعيد الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالدرجات العليا في الجنة، وتصف نعيمها بأوصاف منها أنه دائم غير منقطع على عكس نعم الدنيا الزائلة لا محالة، كما أنهم بشروا بالخلد على عكس الحياة الدنيا المحدودة.

وللمبالغة في التأثير، ولبيان نجاح المؤمنين وفوزهم بالجنة، تبين الآيات الفرق بين مصير وأحوال كل فريق، من الذين آمنوا وعملوا الصالحات، ومن الذين كفروا، فسعادة المؤمنين يقابلها شقاء الكافرين، والجنة تقابلها النار، التنعم بالعطاء يقابله المعاناة من زفير وشهيق.

كما أن للذين آمنوا وعملوا الصالحات رزق من نوع آخر، لا يقارن بمتاع الدنيا، وهذا ما سيتبين معنا في المثال الثاني.

المثال الثاني: بيان وعد الله للذين آمنوا وعملوا الصالحات بالدرجة العالية بالجنة والحالة الطيبة، والمَرد الحسن، كما في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ (26) وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ (27) الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ (28) الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ (29) كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لِتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ (30)﴾ (سورة الرعد:26-30).

فتبشر الآيات الذين آمنوا وعملوا الصالحات، بالرزق الطيب في الآخرة، وهو طوبى، أي: شجرة في الجنة، والعاقبة الحسنة، وتبين أعمال وأخلاق الذين آمنوا، وهي: الإيمان بالله، ومحبته، وذكره، والإتيان بالصالح من الأعمال.

ويفسر الشيخ السعدي قوله تعالى: (الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ)، فيقول: "أي: آمنوا بقلوبهم بالله وملائكته، وكتبه ورسله واليوم الآخر، وصدقوا هذا الإيمان بالأعمال الصالحة، أعمال القلوب كمحبة الله وخشيته ورجائه، وأعمال الجوارح كالصلاة ونحوها. (طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ)، أي: لهم حالة طيبة ومرجع حسن. وذلك بما ينالون من رضوان الله وكرامته في الدنيا

والآخرة، وأن لهم كمال الراحة وتمام الطمأنينة، ومن جملة ذلك شجرة طوبى التي في الجنة، التي يسير الراكب في ظلها مائة عام ما يقطعها، كما وردت بها الأحاديث الصحيحة."[1].

وطوبى، شجرة في الجنة، ففي الحديث عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، أَنَّهُ قَالَ لَهُ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا طُوبَى؟ قَالَ: "شَجَرَةٌ فِي الْجَنَّةِ مَسِيرَةُ مِائَةِ سَنَةٍ، ثِيَابُ أَهْلِ الْجَنَّةِ تَخْرُجُ مِنْ أَكْمَامِهَا" [2].

وبشرى من الله –سبحانه وتعالى– لأهل الهداية والتقوى، ومكانة مميزة في الجنات التي تجري من تحتها الأنهر، كما سيتبين في المثال الثالث.

المثال الثالث: بيان وعد الله للذين آمنوا بالبشرى، والغرف في الجنات التي تجري من تحتها الأنهار، لما تحقق فيهم من صفات، كما في قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي (14) فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ (15) لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ (16) وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ (17) الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ (18) أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ (19) لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ (20)﴾ (سورة الزمر:14–20).

---

[1] – السعدي، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، ج1، ص418.

[2] –أخرجه أحمد في **المسند**، مسند المكثرين من الصحابة، ج18، ص211، رقم (11673).
وأخرجه ابن حبان في **صحيحه**، كِتَابُ اخباره –صلى الله عليه وسلم– عن مناقب الصحابة، بَابُ وصف الجنة وأهلها، ج16، ص429، رقم (7413).

حيث تبشر الآيات المؤمنين بالغرف في الجنات التي تجري من تحتها الأنهار، وتبين أنهم بلغوا هذه المنزلة لصفات، وأعمال تتوافر فيهم، وهي: إخلاص التوحيد لله واجتنابهم عبادة الطاغوت، أصحاب الفطر السليمة التي تختار القول الأحسن، وهم أهل الهداية التي من الله عليهم بها، وهم بأعمالهم استحقوا لقب أولوا الألباب، واستحقوا المكانة العالية في الآخرة.

كما تقارن الآيات بين جزاء المشركين بالله وجزاء المتقين، بصورتين الأولى موضوعها السعير والثانية موضوعها النعيم، صورة المشركين تظللهم النار من فوقهم ومن تحتهم، وصورة المتقين في غرف الجنة، من فوقها غرف، ومن تحتها الأنهار.

ويشرح الإمام المراغي مدح الله سبحانه وتعالى للمنيبين إلى الله، وما أعده لهم من ثواب، مفسراً قوله تعالى: (فَبَشِّرْ عِبادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ)، فيقول: "أي: فبشر هؤلاء الذين اجتنبوا عبادة الطاغوت، وأنابوا إلى ربهم وسمعوا القول فاتبعوا أولاه بالقبول– بالنعيم المقيم في جنات النعيم. (أُولئِكَ الَّذِينَ هَداهُمُ اللَّهُ)، أي: هؤلاء هم الذين وفقهم الله للرشاد، وإصابة الصواب، لا الذين يعرضون عن سماع الحق، ويعبدون ما لا يضر ولا ينفع. (وَأُولئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبابِ)، أي وأولئك هم أصحاب العقول السليمة، والفطر المستقيمة، التي لا تطيع الهوى ولا يغلبها الوهم، فتختار خير الأمرين في دينها ودنياها"[1].

وبناءً على ما تقدم يتجلى أثر آيات الوعد والوعيد في التربية الأخلاقية على الفرد، والمتمثل في الوصول لأعلى الدرجات في الجنة، وذلك بالفهم والإدراك لتحقيق الذين آمنوا وعملوا الصالحات للأعمال، والمواقف، والأخلاق الصالحة المتميزة، ومنها: إخلاص الإيمان لله، ومحبة الله ومحبة ذكره، والاستجابة لأوامر الله، وإتباع هدايته، والتي استحقوا بها وصف (المتقين)، ووصف (أولي الألباب)، واستحقوا المكانة العالية في الجنة.

[1] – المراغي، **تفسير المراغي**، ج23، ص157.

المطلب الثالث: اكتساب محبة الله ثم محبة العباد

تخبر آيات الوعد والوعيد علاقة الذين آمنوا وعملوا الصالحات مع ربهم، حالة حب بلغت درجة الرضوان –اللهم إنا نسألك رضاك والجنة، ونعوذ من سخطك والنار– ثم تذكر الأخلاق التي أوصلتهم لهذه المنزلة.

ولآيات الوعد والوعيد الأثر الإيجابي في التربية الأخلاقية على الفرد، مما يؤدي إلى الوصول لأعلى الدرجات في الجنة، وهذا ما يمكن تحصيله من خلال ما يلي:

1. بيان أن المؤمنين الذين استحقوا رضوان الله –سبحانه وتعالى– ومحبته، هم من جمعوا فضائل الأعمال والأخلاق والمواقف، وأهمها: الإيمان بالله والتقوى، وطلب المغفرة منه.
2. التأكيد على أن خلق الصدق من الأخلاق الموجبة لرضوان الله –سبحانه وتعالى– في الآخرة.
3. إدراك مشاعر، وأعمال، وأخلاق، المؤمنين التي استحقوا بها رحمة الله، وجناته، ورضوانه، وأن المؤمنون هم أولياء الله، وبعضهم أولياء بعض.

ومن الأمثلة على هذه الآثار في آيات الوعد والوعيد ما يلي:

المثال الأول: بيان أن المؤمنين الذين استحقوا رضوان الله –سبحانه وتعالى– ومحبته، هم من جمعوا فضائل الأعمال والأخلاق والمواقف، كما في قوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ (14) قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (15) الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (16) الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ (17)﴾ (سورة آل عمران:15–17).

فقد اختصرت الآية النعم التي تتعلق بها النفس في الدنيا في آية، وجاءت بعدها بتساؤل للفت انتباه السامع (قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ) وكلنا شوق لمعرفة ما هو الخير الأفضل من نعم الدنيا مجتمعة، ويأتي الجواب الدقيق محفزا العقل على المقارنة بين نعم الدنيا وعطاء الله في الآخرة، ففي الدنيا تتعلق النفس بالنساء والأبناء والأموال والأنعام والزرع، ونعيم الآخرة يشمل كل هذه الأمور لكنها من نوع آخر يصعب على العقل تصوره، مع ضمان الخلود في النعم، والنعيم الأكبر والأعظم في نيل رضوان الله.

وتبين الآيات الأعمال والأخلاق التي استحق بها الذين آمنوا وعملوا الصالحات الجنات التي تجري من تحتها الأنهار، ورضوان الله ومحبته وأهمها: الإيمان بالله والتقوى، وطلب المغفرة منه، بالإضافة للصبر، والقنوت، والإنفاق، ولا شك أن النعيم الأكبر في الجنة يكون بنيل رضوان الله –سبحانه وتعالى–.

ويبين الإمام الطبري أهمية وعد الله المتقين بالرضوان، فيقول: "وَإِنَّمَا ذَكَرَ اللَّهُ جَلَّ ثناؤُهُ فِيمَا ذَكَرَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَهُ مِنَ الْخَيْرِ رِضْوَانَهُ؛ لِأَنَّ رِضْوَانَهُ أَعْلَى مَنَازِلِ كَرَامَةِ أَهْلِ الْجَنَّةِ"[1].

وآية أخرى تبين سبب استحقاق نيل رضوان الله تعالى، كما يتبين في المثال الثاني.

المثال لثاني: التأكيد على أن خلق الصدق من الأخلاق الموجبة لرضوان الله –سبحانه وتعالى– في الآخرة، كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (119)﴾ (سورة المائدة:119).

[1] – الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ج5، ص271.

إن كان في دخول الجنة نصر وفوز فإن النصر الأعظم يكون في نيل رضوان الله عز وجل، واستشعار المؤمن برضاه وسعادته بمصيره الجميل وجزاء الله له عن صدقه، ذلك الخلق الكلي الهام، ومن أكبر أنواع الصدق، صدق الإيمان، الذي تصدقه الأعمال الصالحة.

وبلوغ رضوان الله –سبحانه وتعالى– منزلة عظيمة، يقول الإمام الشوكاني عنها، من خلال تفسير الآية: (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ): "أَيْ: رَضِيَ عَنْهُمْ بِمَا عَمِلُوهُ مِنَ الطَّاعَاتِ الْخَالِصَةِ لَهُ، وَرَضُوا عَنْهُ بِمَا جَازَاهُمْ بِهِ مِمَّا لَا يَخْطُرُ لَهُمْ عَلَى بَالٍ وَلَا تَتَصَوَّرُهُ عُقُولُهُمْ، وَالرِّضَا مِنْهُ سُبْحَانَهُ هُوَ أَرْفَعُ دَرَجَاتِ النَّعِيمِ وَأَعْلَى مَنَازِلَ الْكَرَامَةِ، وَالْإِشَارَةُ بِذَلِكَ إِلَى نَيْلِ مَا نَالُوهُ مِنْ دُخُولِ الْجَنَّةِ وَالْخُلُودِ فِيهَا أَبَدًا، وَرِضْوَانِ اللَّهِ عَنْهُمْ. وَالْفَوْزُ: الظَّفَرُ بِالْمَطْلُوبِ عَلَى أَتَمِّ الْأَحْوَالِ"[1].

وهنالك معايير أخرى للمؤمنين، لنيل رضوان الله –سبحانه وتعالى–، ندركها من خلال المثال الثالث.

المثال الثالث: إدراك مشاعر، وأعمال، وأخلاق، المؤمنين التي استحقوا بها رحمة الله، وجناته، ورضوانه، كما في قوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (71) وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (72)﴾ (سورة التوبة:71–72).

فرابطة الإيمان تقوم على المحبة، ورجاء الخير للجماعة المؤمنة، بأفرادها، وعلاقة الولاء، هذه تقتضي من الذين آمنوا، السعي نحو طهارة المجتمع المسلم، وذلك بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو معيار مهم من المعايير التربوية الأخلاقية للمؤمنين عطف، عليها إقام

1 – الشوكاني، **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، ج5، ص100.

الصلاة، وإيتاء الزكاة، وإطاعة الله –سبحانه وتعالى– ورسوله –صلى الله عليه وسلم–، أما جوائزهم فهي الجنات، التي تجري من تحتها الأنهار، بما فيها مساكن، أما الجائزة الأكبر فهي نيل رضوان الله –سبحانه وتعالى–.

ويبين الشيخ المراغي معنى الرضوان، في قوله تعالى: (وَرِضْوانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ)، فيقول: "رضوان الله هو مقام رؤيته تعالى التي تكمل بها معرفته، والإنسان جسد وروح، ففي الجنات ومساكنها أعلى النعيم الجسماني، ورضوان الله هو أعلى النعيم الروحاني، وقوله تعالي: (ذلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)، أي: ذلك الوعد بالنعيم الجسماني، والروحاني، هو الفوز العظيم، الذي يجزى به المؤمنون المخلصون، لا غيره من حظوظ الدنيا الفانية، التي يتكالب عليها الكفار والمنافقون"1.

وبناءً على ما تقدم يتجلى أثر آيات الوعد والوعيد في التربية الأخلاقية على الفرد في اكتساب محبة الله ثم محبة العباد، في إدراك أن صدق الإيمان من أعظم الأمور التي تؤهل العبد لنيل رضوان الله –سبحانه وتعالى– ، وأن المؤمنون هم أولياء الله، وبعضهم أولياء بعض.

المطلب الرابع: السكينة والاطمئنان القلبي

تطمئن آيات الوعد والوعيد المؤمنين الذين كان الإيمان بالله عقيدتهم، والاستقامة منهجهم، بصدق وعد الله لهم بالجنة، حيث لا مكان للخوف والحزن، وهذا الوعد من الله كفيل بأن يجعل المؤمن يعيش في راحة، وسكينة، واطمئنان، لما وعد به من الله –عز وجل–.

ولآيات الوعد والوعيد الأثر الإيجابي في التربية الأخلاقية على الفرد، مما يؤدي إلى السكينة والاطمئنان القلبي، وهذا ما يمكن تحصيله من خلال ما يلي:

---

1 – المراغي، **تفسير المراغي**، ج10، ص162.

1. فهم أن نفي الخوف والحزن عن المؤمنين، والتبشير بالجنة، هو من آثار الإيمان مع الاستقامة.
2. استحقاق أهل الإيمان والاستقامة لولاية الله في الدنيا والآخرة، والثناء على كم جمع بين القول الحسن والعمل الصالح.
3. طمأنة الآيات للمؤمنين، ووعدهم بدخول الجنة مع ذريتهم، مع التنعم بنعمها المعدة خصيصاً لهم.

ومن الأمثلة على هذه الآثار في آيات الوعد والوعيد ما يلي:

المثال الأول: فهم أن نفي الخوف والحزن عن المؤمنين، والتبشير بالجنة، هو من آثار الإيمان مع الاستقامة، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (30) نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ (31) نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ (32) وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (33) وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (34) وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (35)﴾ (سورة فصلت:30-35).

حيث تبين الآيات أن المؤمنين حقاً، هم الذين جمعوا بين الإيمان بالقول والعمل، فاضمروا الإيمان في قلوبهم، وجعلوه منهجاً في حياتهم، فكانت الاستقامة خلقهم، فاستحقوا بذلك نفي الخوف والحزن عنهم، كما استحقوا البشرى بالجنة، ومن الله عليهم بالولاية في الدنيا والآخرة.

يشرح ابن عاشور معنى تنزل الملائكة على المؤمنين وأثره في تحقيق السكينة، فيقول: "وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ تَنَزُّلُ الْمَلَائِكَةِ عَلَيْهِمْ فِي الدُّنْيَا، وَهُوَ تَنَزُّلٌ خَفِيٌّ يُعْرَفُ بِحُصُولِ آثَارِهِ فِي نُفُوسِ الْمُؤْمِنِينَ وَيَكُونَ الْخِطَابُ بِقوله تعالى: (أَلَّا تَخافُوا وَلا تَحْزَنُوا) بِمَعْنَى: إِلْقَائِهِمْ فِي رُوعِهِمْ عَكْسَ

وَسْوَسَةِ الشَّيَاطِينِ الْقُرَنَاءِ بِالتَّزْيِينِ، أَيْ يُلْقُونَ فِي أَنْفُسِ الْمُؤْمِنِينَ مَا يَصْرِفُهُمْ عَنِ الْخَوْفِ وَالْحُزْنِ وَيُذَكِّرُهُمْ بِالْجَنَّةِ فَتَحِلُّ فِيهِمُ السَّكِينَةُ فَتَنْشَرِحُ صُدُورُهُمْ بِالثِّقَةِ بِحُلُولِهَا، وَيُلْقُونَ فِي نُفُوسِهِمْ نَبْذَ وِلَايَةِ مَنْ لَيْسُوا مِنْ حِزْبِ اللَّهِ، وَهَذَا يَقْتَضِي أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ الْكَامِلِينَ لَا يَخَافُونَ غَيْرَ اللَّهِ، وَلَا يَحْزَنُونَ عَلَى مَا يُصِيبُهُمْ، وَيُوقِنُونَ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ، وَهُمْ فَرِحُونَ بِمَا يَتَرَقَّبُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ."[1].

وآية أخرى تبين انتفاء الخوف والحزن عن المؤمنين، حال دخولهم الجنة، تطمأن بها نفوسهم، وقلوبهم في الدنيا، وتكون عونا لهم على الصبر، والثبات، على الطريق المستقيم، كما في المثال الثاني.

المثال الثاني: وعد الله للمؤمنين الذين كانت الاستقامة منهجهم في الدنيا، بالخلود في الجنة، مع نفي الخوف والحزن عنهم، كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آَمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ (11) وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَانًا عَرَبِيًّا لِيُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ (12) إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (13) أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (14)﴾ (سورة الأحقاف:11-14).

ويتكرر وعد الله للذين آمنوا وجعلوا الاستقامة منهجهم، بنفي الحزن والخوف عنهم، حيث أن مصيرهم الجنة، بنعيمها، خالدين فيها، فلا داعي للتوتر والقلق الدنيوي خوفا من تحول النعم أو زوالها عند التعرض لعوارض الدهر، وتربط الآيات الجزاء الطيب للمؤمنين بعملهم الصالح في الدنيا.

ويفسر الشيخ السعدي الآية، فيقول: "إن الذين أقروا بربهم، وشهدوا له بالوحدانية، والتزموا طاعته، وداوموا على ذلك، و(اسْتَقَامُوا) مدة حياتهم، (فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ)، من كل شر

[1] – ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج7، ص118 (بتصرف).

أمامهم، (وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ)، على ما خلفوا وراءهم، (أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ)، أي: أهلها الملازمون لها، الذين لا يبغون عنها حولا، ولا يريدون بها بدلا، (خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) من الإيمان بالله المقتضى للأعمال الصالحة التي استقاموا عليها."1.

ومثال آخر لوعد الله المتقين بالجنة، بالراحة والتفكه فيها، مع نفي القلق عن والخوف والإشفاق عنهم والذي كانوا فيه في الدنيا، كما سيتبين في المثال الثالث.

المثال الثالث: حيث طمأنة الآيات للمؤمنين، ووعدهم بدخول الجنة مع ذريتهم، مع التنعم بنعمها المعدة خصيصاً لهم، كما في قوله تعالى:﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ (17) فَاكِهِينَ بِمَا آَتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (18) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (19) مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ (20) وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ (21) وَأَمْدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ (22) يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ (23) وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ (24) وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ (25) قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ (26) فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ (27) إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ (28)﴾ (سورة الطور:17-28).

فتصف الآيات الراحة النفسية التي يعيش فيها أهل الجنة، عندما يدخلونها مع ذريتهم، ومشاعر الاطمئنان بالنجاة من النار، ومشاعر الامتنان لله تعالى الذي استجاب لدعائهم بأن وقاهم عذاب الجحيم، وفي ذكر نعيم الجنة من الراحة، وتناول ألوان الشراب الطعام بمشاركة المؤمنين والأصحاب والذرية، مع ما تم توفيره لهم من حور عين، وغلمان، كل ذلك تقديراً لعملهم الصلاح في الدنيا، وحول قرة عين المؤمنين بدخول الجنة مع ذريتهم، يقول الشيخ المراغي: "بعد

1 – السعدي، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، ج1، ص780.

أن ذكر ما يتمتع به أهل الجنة من المطاعم والمشارب والأزواج كرما منه وفضلا- أردف ذلك ذكر ما زاده لهم من الفضل والإكرام، وهو أن يلحق بهم ذريتهم المؤمنة في المنازل والدرجات، وإن لم تبلغ بهم أعمالهم ذلك، لتقرّبهم أعينهم إذا رأوهم في منازلهم على أحسن الأحوال، فيرفع الناقص في عمله إلى الكامل فيه، ولا ينقص من عمله هو ولا منزلته، قال ابن عباس: إن الله ليرفع ذرية المؤمن في درجته وإن كانوا دونه في المنزلة، لتقرّبهم عينه، وقرأ الآية1."2.

فيستخلص مما تقدم أن أثر آيات الوعد والوعيد في التربية الأخلاقية على الفرد في تحقيق السكينة والاطمئنان القلبي في معرفة أن الإيمان بالله والاستقامة على منهجه، يستحق بها المؤمن وعد الله بالجنة، مما يؤدي لنفي الحزن والخوف فلا خوف ولا قلق من تبدل النعم أو زوالها، كما أن الوعد بالجنة برفقة الأهل والذرية الصالحة، مما يرفع الشعور بالسكينة والاطمئنان القلبي.

---

[1] - أخرجه الهيثمي في **مجمع الزوائد ومنبع الفرائد**، كتاب التفسير، سورة والطور، ج7، ص114، رقم (11370)، وقال: فيه قيس بن الربيع وثقه شعبة والثوري وفيه ضعف، المصدر: الهيثمي، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان (ت807هـ)، **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، ت: حسام الدين القدسي (القاهرة: مكتبة القدسي، د.ط، 1414هـ/1994م).

وصححه الألباني في **سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها**، بلفظ: (إن الله ليرفع ذرية المؤمن إليه في درجته وإن كانوا دونه في العمل، لتقر بهم عينه، ثم قرأ: الآية)، ج5، ص647، رقم (2490)، وقال: (اسناده صحيح) المصدر: الألباني، محمد ناصرالدين (ت1420هـ)، **سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها** (الرياض: مكتبة المعارف، ط1، 1416هـ/ 1996م).

2 - المراغي، **تفسير المراغي**، ج21، ص111.

المبحث الثاني: أثر آيات الوعد والوعيد في التربية الأخلاقية على الجماعة

تنعكس الأخلاق التربوية إيجابيا على صاحبها، وينتفع بأثرها الطيب في الدنيا والآخرة، وكذلك المجتمع المسلم، ينتفع بصلاح آحاده، المكونين للمجتمع المؤمن، وهمتهم في نفع المجتمع وصلاحه، وبذلك تنشأ الآثار الإيجابية، لتطبيق الأخلاق التربوية، كما حثت عليها آيات الوعد والوعيد، انطلاقا من شيوع عاطفة المودة، بين أفراد المجتمع، والتي تقوم على موالاة المؤمنين، وتتطلب الدعوة لدين الله بالقدوة الحسنة، مما يؤدي إلى تحقيق المساواة ووحدة الصف، واستقرار المجتمع واطمئنان أفراده، عند تحقيق التكافل الاجتماعي.

المطلب الأول: الولاء والبراء، والمودة بين أفراد المجتمع المؤمن

الولاء والمودة من سمات المجتمع المسلم، حيث يقول السول الكريم –صلى الله عليه وسلم–: "مَثلُ المؤمنين في توادِّهم وتراحُمِهم وتعاطُفِهم، مَثلُ الجسدِ، إذا اشتكَى منه عضوٌ، تداعَى له سائرُ الجسدِ بالسَّهرِ والحُمَّى"[1].

تصف آيات الوعد والوعيد العلاقة بين المؤمنين بأنها علاقة ولاية، وللقيام بحق هذه العلاقة الوثيقة، فلابد من الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، الذي يعتبر صمام الأمان للمجتمعات وسلامتها من الفساد، وهم على التزامهم برابطة الولاء، وحقها، استحقوا من الله الأجر العظيم، المعبر عنه بجنات عدن، ورضوان من الله، هو أكبر من كل نعيم في الآخرة.

ولآيات الوعد والوعيد الأثر الإيجابي في التربية الأخلاقية على الجماعة، مما يؤدي إلى تحقيق الولاء والبراء، والمودة بين أفراد المجتمع المؤمن وهذا ما يمكن تحصيله من خلال ما يلي:

---

[1] – أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، ص686، رقم (6011)، وأخرجه مسلم في **صحيحه**، كتاب البر والصلة، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، ص646، رقم (2586).

1. التأكد على علاقة الولاء بين المؤمنين، الذين يقومون بحقوق هذه الولاية بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

2. التأكيد على أن المؤمن أخو المؤمن، وأن رابطة العقيدة هي أقوى الروابط.

3. فهم أن الإيواء والنصرة، عملان عظيمان ينفعان المجتمع بشكل مباشر وكبير في الأزمات لا يقدر عليه إلا المؤمنون حقا، وأن الرحمة والمؤازرة موقفان عمليان يقويان المجتمع المسلم والوعد من الله لهذا العمل العظيم بالأجر العظيم.

ومن الأمثلة على هذه الآثار في آيات الوعد والوعيد ما يلي:

المثال الأول: التأكد على علاقة الولاء بين المؤمنين، الذين يقومون بحقوق هذه الولاية، من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما في قوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (71) وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (72)﴾ (سورة التوبة:71-72).

حيث تؤكد الآيات على علاقة الولاء بين المؤمنين، وتربطها بوعد الله لهم بالرحمة، والخلود في الجنات التي تجري من تحتها الأنهار، وتبشرهم بالأجر الأكبر، وهو نيل رضوان الله -عز وجل-، وتبين أن من أهم أخلاق المؤمنين الذين يقومون بحق علاقة الولاء: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والاتيان بالواجبات من صلاة وصيام، طاعة لله تعالى.

وللإمام فخر الدين الرازي كلام جميل في تفسير الآيات، وبيان فضائل المؤمنين، حيث يقول: "هَذِهِ الْأُمُورَ الْخَمْسَةَ الَّتِي بِهَا يَتَمَيَّزُ الْمُؤْمِنُ مِنَ الْمُنَافِقِ، فَالْمُنَافِقُ عَلَى مَا وَصَفَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْآيَةِ المتقدمة يَأْمُرُ بِالْمُنْكَرِ، وَيَنْهَى عَنِ الْمَعْرُوفِ، وَالْمُؤْمِنُ بِالضِّدِّ مِنْهُ، وَالْمُنَافِقُ لَا

يَقُومُ إِلَى الصَّلَاةِ إِلَّا مَعَ نَوْعٍ مِنَ الْكَسَلِ وَالْمُؤْمِنُ بِالضِّدِّ مِنْهُ، وَالْمُنَافِقُ يَبْخَلُ بِالزَّكَاةِ وَسَائِرِ الْوَاجِبَاتِ كَمَا قَالَ: (وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ) وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ، وَالْمُنَافِقُ إِذَا أَمَرَهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ بِالْمُسَارَعَةِ إِلَى الْجِهَادِ فَإِنَّهُ يَتَخَلَّفُ بِنَفْسِهِ، وَيُثَبِّطُ غَيْرَهُ كَمَا وَصَفَهُ اللَّهُ بِذَلِكَ، وَالْمُؤْمِنُونَ بِالضِّدِّ مِنْهُمْ، وَهُوَ الْمُرَادُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ بِقَوْلِهِ: (وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ)"[1].

ومظهر آخر من مظاهر الولاء وشيوع المحبة في المجتمع المسلم، يتمثل في وحدة العقيدة والهدف، كما سيتبين في المثال الثاني.

المثال الثاني: التأكيد علي أن المؤمن أخو المؤمن، وأن رابطة العقيدة هي أقوى الروابط، كما في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آَوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (74) وَالَّذِينَ آَمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (75)﴾ (سورة الأنفال: 74-75).

حيث تتحدث الآيات عن روابط الأخوة، المبنية على الإيمان في المجتمع المسلم، وتثني على المؤمنين، الذين أضافوا للإيمان والهجرة والجهاد في سبيل الله، عملاً آخر عظيماً، استحقوا به المغفرة، والرزق الكريم، وهو العمل الاجتماعي الكبير، في إيواء ونصرة إخوانهم، انطلاقاً من مبدأ الولاء للمؤمنين، والبراء من المشركين.

وحول هذا المعنى يقول الشيخ السعدي: "الآيات السابقات في ذكر عقد الموالاة بين المؤمنين من المهاجرين والأنصار، وهذه الآيات في بيان مدحهم وثوابهم، فقال: (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ) أي: المؤمنون من المهاجرين والأنصار (هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا) لأنهم صدقوا إيمانهم بما قاموا به من الهجرة والنصرة والموالاة

[1]- الرازي، **مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير**، ج16، ص100-101.

بعضهم لبعض، وجهادهم لأعدائهم من الكفار والمنافقين. (لَهُمْ مَغْفِرَةٌ) من الله تمحى بها سيئاتهم، وتضمحل بها زلاتهم، (و) لهم (رِزْقٌ كَرِيمٌ) أي: خير كثير من الرب الكريم في جنات النعيم. وربما حصل لهم من الثواب المعجل ما تقر به أعينهم، وتطمئن به قلوبهم، وكذلك من جاء بعد هؤلاء المهاجرين والأنصار، ممن اتبعهم بإحسان فآمن وهاجر وجاهد في سبيل الله، (فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ) لهم ما لكم وعليهم ما عليكم"[1].

وتصوير عجيب لعلاقة المودة والمناصرة، للمؤمنين مع رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، وتشبيه بالزرع رمز الحياة، ولنا فيهم قدوة، كما يتبين في المثال الثالث.

المثال الثالث: فهم أن الإيواء والنصرة، عملان عظيمان ينفعان المجتمع بشكل مباشر وكبير في الأزمات لا يقدر عليه إلا المؤمنون حقا، وأن الرحمة والمؤازرة موقفان عمليان يقويان المجتمع المسلم والوعد من الله لهذا العمل العظيم بالأجر العظيم، كما في قوله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا (29)﴾ (سورة الفتح:29).

ففي الآيات بيان لقوة ورفعة العلاقة بين المؤمنين، ورحمتهم ببعضهم، ومؤازرتهم، فتصف الآيات العلاقة بين المؤمنين ورسول الله –صلى الله عليه وسلم– بأنها قائمة على الرحمة، وتمتدح مؤازرتهم للرسول –صلى الله عليه وسلم– وتشبه هذا الموقف الإيماني العملي، بالزرع رمز الحياة والنماء، ويأتي الثناء منه تعالى، والوعد، بالمغفرة والأجر العظيم.

[1] – السعدي، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، ج1، ص327.

فيقول الإمام الطبري في تفسير قَوْلُهُ تعالى: (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ): "يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَأَتْبَاعُهُ مِنْ أَصْحَابِهِ الَّذِينَ هُمْ مَعَهُ عَلَى دِينِهِ، أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ، غَلِيظَةٌ عَلَيْهِمْ قُلُوبُهُمْ، قَلِيلَةٌ بِهِمْ رَحْمَتُهُمْ (رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ)، يَقُولُ: رَقِيقَةٌ قُلُوبُ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ، لِينَةٌ أَنْفُسُهُمْ لَهُمْ، هَيِّنَةٌ عَلَيْهِمْ لَهُمْ، كَمَا: حَدَّثَنَا بِشْرٌ قَالَ: ثَنَا يَزِيدُ قَالَ: ثَنَا سَعِيدٌ، عَنْ قَتَادَةَ، (رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ) أَلْقَى اللَّهُ فِي قُلُوبِهِمُ الرَّحْمَةَ، بَعْضُهُمْ لِبَعْض "[1].

وبناءً على ما تقدم يتجلى أثر آيات الوعد والوعيد في التربية الأخلاقية على الجماعة في تحقيق الولاء والبراء، والمودة بين أفراد المجتمع المسلم في التأكيد على مبدأ أن المؤمن أخو المؤمن ورابطة العقيدة أقوى الروابط، وأن من أهم معايير خيرية الأمة المسلمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والإيواء والنصرة والرحمة هي من سمات المجتمع المؤمن، الذي استحق من الله المغفرة، والرحمة، والأجر العظيم.

المطلب الثاني: الدعوة لدين الله بالقدوة الحسنة

تعرض آيات الوعد والوعيد المعايير الأخلاقية والعبادات العملية للمؤمن القدوة مع الله ومع الناس، وهي: التوبة، والعبادة بأنواعها، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والوقوف عن حدود الله، فتأتي البشارة من الله لمن التزم بها.

ولآيات الوعد والوعيد الأثر الإيجابي في التربية الأخلاقية على الجماعة، عن طريق الدعوة لدين الله بالقدوة الحسنة، وهذا ما يمكن تحصيله من خلال ما يلي:

[1] – الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ج21، ص321.

1. تحديد معايير وأخلاق المؤمنين المحققين للفوز العظيم، ولنا فيهم قدوة، وهي: التوبة، والعبادة، حمد الله وشكره، والاتيان بالواجبات من صوم وصلاة، والقيام بحق المجتمع من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وحفظ حدود الله.

2. تمييز أخلاق وأعمال أولي الألباب، الذين استجابوا لله، وفازوا بعقبى الدار، وهي: الوفاء بعهد الله، وصلة ما أمر الله به، والخشية من الله، والصبر لوجه الله، والإنفاق في سبيله، ودفع السيئات بالحسنات.

3. استخلاص أخلاق عباد الرحمن، الذين كان جزاؤهم الغرفة، خالدين فيها، ومنها التواضع، والسلامة من آفات اللسان، وحفظ النفس والفرج، وتوحيد الله، مع الاستتابة، وطلب المغفرة والبركة في الأزواج والذرية.

ومن الأمثلة على هذه الآثار في آيات الوعد والوعيد ما يلي:

المثال الأول: تحديد معايير وأخلاق المؤمنين المحققين للفوز العظيم، كما تبينه الآيات في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (111) التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآَمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (112)﴾ (سورة التوبة:111-112).

فتحدد الآيات تسعة من معايير الفوز، للشخصية المؤمنة القدوة، والتي مدحتها الآيات واثنت عليها وبشرتها بالفوز العظيم، وهي: التوبة، والعبادة، حمد الله وشكره، والاتيان بالواجبات من صوم وصلاة، والقيام بحق المجتمع من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وحفظ حدود

الله، ثم وعدتهم بالبشرى من الله، وفي هذا لعرض لصفات وأخلاق المؤمنين والثناء عليهم، دعوة للاقتداء بهم والالتزام بأخلاقهم التي وصلوا بها للفوز العظيم.

ويقول ابن كثير:"هَذَا نَعْتُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ اشْتَرَى اللَّهُ مِنْهُمْ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ الْجَمِيلَةِ وَالْخِلَالِ الْجَلِيلَةِ، التَّائِبُونَ مِنَ الذُّنُوبِ كُلِّهَا، التَّارِكُونَ لِلْفَوَاحِشِ الْعابِدُونَ، أَيْ: الْقَائِمُونَ بِعِبَادَةِ رَبِّهِمْ مُحَافِظِينَ عَلَيْهَا وَهِيَ الْأَقْوَالُ وَالْأَفْعَالُ، فَمِنْ أَخَصِّ الْأَقْوَالِ الْحَمْدُ، فَلِهَذَا قَالَ: الْحامِدُونَ وَمِنْ أَفْضَلِ الْأَعْمَالِ الصِّيَامُ وَهُوَ تَرْكُ الْمَلَاذِّ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَالْجِمَاعِ، وَهُوَ الْمُرَادُ بِالسِّيَاحَةِ هَاهُنَا، وَكَذَا الرُّكُوعُ وَالسُّجُودُ، وَهُمَا عِبَارَةٌ عَنِ الصَّلَاةِ، وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ يَنْفَعُونَ خَلْقَ اللَّهِ، وَيُرْشِدُونَهُمْ إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ بِأَمْرِهِمْ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْيِهِمْ عَنِ الْمُنْكَرِ مَعَ الْعِلْمِ بِمَا يَنْبَغِي فِعْلُهُ وَيَجِبُ تَرْكُهُ، وَهُوَ حِفْظُ حُدُودِ اللَّهِ فِي تَحْلِيلِهِ وَتَحْرِيمِهِ عِلْمًا وَعَمَلًا، فَقَامُوا بِعِبَادَةِ الْحَقِّ وَنُصْحِ الْخُلُقِ، وَلِهَذَا قَالَ:(وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ) لِأَنَّ الْإِيمَانَ يَشْمَلُ هَذَا كُلَّهُ، وَالسَّعَادَةُ كُلُّ السَّعَادَةِ لِمَنِ اتَّصَفَ بِهِ"[1].

ولأولي الألباب مدح وثناء، فهم قدوة أيضاً، لما تحقق فيهم من أخلاق وصفات، كما سيتبين في المثال الثاني.

المثال الثاني: تمييز أخلاق وأعمال أولي الألباب، الذين استجابوا لله، وفازوا بعقبى الدار، كما في قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَى وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ (18) أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ (19) الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ (20) وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ (21) وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ (22) جَنَّاتُ عَدْنٍ

[1] – ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج4، ص192 (بتصرف).

يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ (23) سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ (24)﴾ (سورة الرعد:18-24).

وصف آخر للذين آمنوا وعملوا الصالحات إنهم أولو الألباب الذين جمعوا فضائل الأخلاق من الوفاء بعهد الله، وصلة ما أمر الله به، والخشية من الله، والصبر لوجه الله، والإنفاق في سبيله، ودفع السيئات بالحسنات، وهم لنا قدوة حسنة فيما يأتون من أعمال صالحة، وما يتخلقون به من أخلاق راقية، فلا عجب أن تعدهم الآيات بعقبى الدار، وبالجنات التي يدخلونها مع الصالحين من أهليهم وذرياتهم، فتكتمل فرحتهم وأنسهم، وتحفهم الملائكة وترحب بهم.

فيبين الحافظ ابن كثير معنى عقبى الدار، ومن استحقها، فيقول: "يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَمَّنِ اتَّصَفَ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ الْحَمِيدَةِ بِأَنَّ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ، وَهِيَ الْعَاقِبَةُ وَالنُّصْرَةُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ: الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ، وَلا يَنْقُضُونَ الْمِيثاقَ، وَلَيْسُوا كَالْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ إِذَا عَاهَدَ أَحَدُهُمْ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا ائْتُمِنَ خَانَ، وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ، مِنْ صِلَةِ الْأَرْحَامِ، وَالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ، وَإِلَى الْفُقَرَاءِ وَالْمَحَاوِيجِ، وَبَذْلِ الْمَعْرُوفِ، وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ، أَيْ: فِيمَا يأتون، وما يذرون من الأعمال، ويراقبون اللَّهَ فِي ذَلِكَ، وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ، فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ، فَلِهَذَا أَمْرُهُمْ عَلَى السَّدَادِ، وَالِاسْتِقَامَةِ، فِي جَمِيعِ حَرَكَاتِهِمْ وَسَكَنَاتِهِمْ، وَجَمِيعِ أَحْوَالِهِمُ الْقَاصِرَةِ وَالْمُتَعَدِّيَةِ"[1].

ومن القدوات الحسنة؛ عباد الرحمن، الذين سيتبين معنا صفاتهم، التي استحقوا بها أن ينسبهم الله لنفسه، كما في المثال الثالث.

المثال الثالث: استخلاص أخلاق عباد الرحمن، الذين كان جزاؤهم الغرفة، خالدين فيها، كما في قوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا

[1] – ابن كثير، المرجع السابق، ج4، ص387.

سَلَامًا (63) وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا (64) وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا (65) إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا (66) وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا (67) وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (68) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (69) إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (70) وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا (71) وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا (72) وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا (73) وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا (74) أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا (75) خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا (76)﴾ (سورة الفرقان: 63-76).

المؤمنون الذين شرفهم الله بلقب (عباد الرحمن) وذكر أوصافهم ليكونوا للناس قدوة ومثلا، هم الذين بشرهم ووعدهم بالجزاء الكبير في الآخرة لتواضعهم وصبرهم ومثابرتهم على الطاعات، أما أخلاقهم وأعمالهم التي استحقوا بها هذا اللقب الشريف، وهذه المنزلة الرفيعة فهي: التواضع، وقيام الليل، والخشية من الله، ومراعاة الله في الإنفاق، وتوحيد الله وإفراده بالعبادة، وحفظ النفس والعرض، والاستتابة من الذنوب، والبراءة من قول الزور واللغو، وتدبر آيات الله والاتعاظ بها، الذين يسألون الله التقوى والبركة في الأزواج والذرية، وهم في كل ما سبق من صفات، قدوة للمؤمنين.

وبناءً على ما تقدم يتجلى أثر آيات الوعد والوعيد في التربية الأخلاقية على الجماعة في الدعوة لدين الله بالقدوة الحسنة من خلال تطبيق أخلاق المؤمنين وصفاتهم، فالأمر بالمعرف

والنهي عن المنكر الذي يعتبر صمام الأمان لمجتمعات وسلامتها من الفساد، كما يكون المؤمن قدوة بتحقيق المعايير الأخلاقية والعبادات العملية مع الله ومع الناس.

المطلب الثالث: تحقيق المساواة ووحدة الصف

فالمساواة بين المؤمنين، ووحدة الصف المؤمن، هدف جليل للدعوة الإسلامية، أكد عليه الرسول –صلى الله عليه وسلم– في عدة أحاديث منها، قال –صلى الله عليه وسلم–: "المؤمنُ للمؤمنِ كالبنيانِ، يشدُّ بعضُه بعضًا، وشبّك بين أصابعِه"[1].

ولآيات الوعد والوعيد الأثر الإيجابي في التربية الأخلاقية على الجماعة، مما يؤدي إلى تحقيق المساواة بين المؤمنين، ووحدة الصف، وهذا ما يمكن تحصيله من خلال ما يلي:

1. تحديد معايير فلاح المجتمع المسلم، وهي: الاعتصام بحبل الله ودينه، والاجتماع ونبذ الفرقة، وأخوة المؤمنين وألفتهم، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
2. تحذير الآيات من الفرقة الناتجة عن الانشقاق عن سنة الرسول –صلى الله عليه وسلم–، وعن طريق المؤمنين، وتتوعد من يقوم بها بالعذاب الأليم.
3. بيان أن حزب الله، المشكلون للأمة الإسلامية، هم الذين قدموا رابطة العقيدة على رابطة الدم، فاستحقوا الوصف بأنهم المفلحون.

ومن الأمثلة على هذه الآثار في آيات الوعد والوعيد ما يلي:

المثال الأول: تحديد معايير فلاح المجتمع المسلم، وهي: الاعتصام بحبل الله ودينه، والاجتماع ونبذ الفرقة، وأخوة المؤمنين وألفتهم، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما في

---

[1] – أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب في المظالم والغصب، باب نصر المظلوم، ص271، رقم (2446)، وأخرجه مسلم في **صحيحه**، كتاب البر والصلة والادب، باب تراحم المومنين وتعاطفهم وتعاضدهم، ص646، رقم (2585).

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (102) وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آَيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (103) وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (104) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (105)﴾ (سورة آل عمران:102-105).

فتتحدث الآيات عن المؤمنين الذين أكرمهم الله بتأليف قلوبهم فصاروا بالإيمان إخوانا، وأي رابطة أقوى من هذه الرابطة؟! ومن متطلبات هذه العلاقة القوية؛ علاقة الأخوة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ثم الوعد بالفلاح والتحذير من الفرقة، واستحقاق العذاب الأليم، وفي الآيات تأكيد على وحدة الصف المسلم، وبيان أن ذلك من أسباب الفلاح، بحيث يصبح المجتمع قوياً بهذه المعايير، عصياً على الأعداء، ويصبح مستحقاً لرضا الله، والفلاح في الآخرة كذلك.

وفي معنى الفرقة، ومعنى الألفة، يقول الزمخشري: "(وَلا تَفَرَّقُوا) ولا تتفرقوا عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم، كما اختلفت اليهود والنصارى، أو كما كنتم متفرقين في الجاهلية، متدابرين، يعادى بعضكم بعضا ويحاربه، أو ولا تحدثوا ما يكون عنه التفرق، ويزول معه الاجتماع، والألفة التي أنتم عليها، مما يأباه جامعكم، والمؤلف بينكم، وهو إتباع الحق، والتمسك بالإسلام، فقد كانوا في الجاهلية بينهم الإحن، والعداوات، والحروب المتواصلة، فألف الله بين

قلوبهم بالإسلام، وقذف فيها المحبة، فتحابوا، وتوافقوا، وصاروا إِخْواناً، متراحمين، متناصحين، مجتمعين، على أمر واحد، قد نظم بينهم، وأزال الاختلاف، وهو الأخوة في الله"[1].

كما وتحذر الآيات من الفرقة والاختلاف، وتدعو لوحدة الصف المسلم، القائمة على علاقة وعاطفة الأخوة في العقيدة، وتخاطب المسلمين جميعا بكلمة الأمة وتصفها بالخيرية القائمة على مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما سيتبين في المثال الثاني.

المثال الثاني: ترغيب الآيات في الإصلاح بين الناس، والتحذير من الفرقة الناتجة عن الانشقاق عن سنة الرسول –صلى الله عليه وسلم–، وعن طريق المؤمنين، وتتوعد من يقوم بها بالعذاب الأليم، كما في قوله تعالى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (114) وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (115)﴾ (سورة النساء:114–115).

حيث تثني الآيات على من يساهم في إصلاح المجتمع المسلم، من خلال الصدقات وسد حوائج الناس، أو بالإصلاح بينهم، وتعده بالأجر العظيم من الله، وفي المقابل فإنها تتوعد من يجحد نعمة الهداية ويخالف منهج الرسول –صلى الله عليه وسلم– والجماعة المؤمنة، بالعذاب الأليم، لما لهذا الموقف من خطر وتهديد لوحدة جماعة المسلمين.

ويبين الأصفهاني سبب تركيز الآيات على ثلاث من الخلال الحسنة، فيقول: "هذه الثلاثة متضمنة للأفعال الحسنة كلها، وذلك أنه نبه بالصدقة على الأفعال الواجبة، وخص الصدقة لكونها أكثر نفعا، في إيصال الخير إلى الغير، ونبه بالمعروف على النوافل، التي هي

[1] – الزمخشري، أبو القاسم محمود بن أحمد (ت538هـ): **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل** (بيروت: دار الكتاب العربي، ط3، 1407هـ) ج1، ص395.

الإحسان، والتفضل، وبالإصلاح بين الناس، على سياستهم، وما يؤدي إلى نظم كلهم، وإيقاع الألفة بينهم، وذلك أفضل الأفعال، لقول النبي – صلى الله عليه وسلم –: (ألا أخبركم بأفضل من درجة الصلاة والصيام والصدقة، قيل بلى يا رسول الله، قال: صلاح ذات البين)[1]، ونبه بقوله: (وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ) أن أفعال الخير يستحق بها الأجر العظيم، إذا قصد بها وجه الله، لا أن يفعل رياء وسمعة واستجلاب منفعة، أو محمدة من الناس، ووصف الأجر بالعظيم، تنبيهًا على حقارة ما يفوت في جنبه من أعراض الدنيا"[2].

وفي المقابل فيبين سيد قطب خطورة الشقاق الذي تحذر منه الآيات "والمشاقة – لغة – أن يأخذ المرء شقا مقابلا للشق الذي يأخذه الآخر، والذي يشاق الرسول – صلى الله عليه وسلم – هو الذي يأخذ له شقا وجانبا وصفا غير الصف، والجانب والشق الذي يأخذه النبي – صلى الله عليه وسلم –، ومعنى هذا أن يتخذ له منهجا للحياة كلها، غير منهجه، وأن يختار له طريقا غير طريقه، فالرسول – صلى الله عليه وسلم – جاء يحمل من عند الله منهجا كاملا للحياة، يشمل العقيدة، والشعائر التعبدية، كما يشمل الشريعة، والنظام الواقعي، لجوانب الحياة البشرية كلها، وهذه وتلك كلتاهما جسم هذا المنهج، بحيث تزهق روح هذا المنهج إذا شطر جسمه، فأخذ

---

[1]– أخرجه أبو داود في **سننه**، كتاب الأدب، باب في إصلاح ذات البين، ج4، ص280، رقم (4919)، المصدر: أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي السجستاني (ت275هـ)، **سنن أبي داود**، ت: محمد محي الدين عبد الحميد (بيروت: المكتبة العصرية، د.ط، د،ت).
وأخرجه الترمذي في **سننه**، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، ج4، ص663، رقم (2509) وقال (حديث صحيح).

2– الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد (ت502هـ)، **تفسير الراغب الأصفهاني**، ت: هند بنت محمد بن زاهد سردار (مكة: جامعة أم القرى، ط1، 1422هـ/2001م) ج4، ص150–151 (بتصرف).

منه شق وطرح شق! والذي يشاق الرسول – صلى الله عليه وسلم –، هو كل من ينكر منهجه جملة، أو يؤمن ببعض، ويكفر ببعض، فيأخذ بشق منه ويطرح شقا! "[1].

وكذلك الثناء والمدح لحزب الله، والاعتراف لهم بالفلاح، فهم الذين قدموا رابطة العقيدة على رابطة الدم، كما سيتبين في المثال الثالث.

المثال الثالث: بيان أن حزب الله، المشكلون للأمة الإسلامية، هم الذين قدموا رابطة العقيدة على رابطة الدم، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ (20) كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ (21) لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (22)﴾ (سورة المجادلة:20–22).

ففي الآيات تحذير من التفريط في وحدة المجتمع المسلم، بالميل القلبي نحو الكافرين الذين يصدون عن سبيل الله، حتى وإن كانوا أولي قربى، فتنفي عن المؤمنين مودة من يحارب الله ورسوله، حتى وإن كانوا من ذوي الأرحام، وتمتدح ولائهم للإسلام والجماعة المؤمنة وتصفهم بالفلاح وتعدهم بالجنات التي تجري من تحتها الأنهار، وتشرفهم بلقب (حزب الله)، ويا له من شرف.

ويشرح الإمام الْشوكاني، معنى (حزب الله)، ويذكر أجرهم في الدنيا والآخرة، من خلال تفسير قوله تعالى: (أُولئِكَ حِزْبُ اللهِ): "أَيْ: جُنْدُهُ الَّذِينَ يَمْتَثِلُونَ أَوَامِرَهُ وَيُقَاتِلُونَ أَعْدَاءَهُ وَيَنْصُرُونَ أَوْلِيَاءَهُ، وَفِي إِضَافَتِهِمْ إِلَى اللهِ سُبْحَانَهُ تَشْرِيفٌ لَهُمْ عَظِيمٌ وَتَكْرِيمٌ فَخِيمٌ، وقوله تعالى: (أَلا إِنَّ

1 – سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج2، ص759.

حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)، أَيِ: الْفَائِزُونَ بِسَعَادَةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، الْكَامِلُونَ فِي الْفَلَاحِ الَّذِينَ صَارَ فَلَاحُهُمْ هُوَ الْفَرْدُ الْكَامِلُ، حَتَّى كَانَ فَلَاحُ غَيْرِهِمْ بِالنِّسْبَةِ إِلَى فَلَاحِهِمْ كـ: لا فَلَاحٍ"[1].

وبناءً على ما تقدم يتجلى أثر آيات الوعد والوعيد في التربية الأخلاقية على الجماعة في تحقيق المساواة ووحدة الصف من خلال التأكيد على أنوحدة الصف المسلم أساسها العقيدة الصحيحة القائمة على الإيمان بالله وبرسوله، مع تحذير المؤمنين من شق الصف واستحقاق عذاب الله بذلك، والشهادة للأمة المسلمة بالخيرية وسمتها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتأكيد على أن علاقة العقيدة مقدمة على رابطة الرحم.

المطلب الرابع: تحقيق التكافل الاجتماعي

من القضايا التي تدعو لها آيات الوعد والوعيد الإنفاق في سبيل الله، وذلك لتحقيق التكافل الاجتماعي، وسداً لحاجات المحتاجين، والمتعففين، وصوناً لكرامتهم عن السؤال، لذا فقد وعدت الآيات المنفقين بالأجر الكريم، والجنات التي تجري من تحتها الأنهار.

ولآيات الوعد والوعيد الأثر الإيجابي في التربية الأخلاقية على الجماعة، مما يؤدي إلى تحقيق التكافل الاجتماعي في المجتمع المسلم، وهذا ما يمكن تحصيله من خلال ما يلي:

1. بيان أن الأجر الكريم من الله والجنات التي تجري من تحتها الأنهار لمن أنفق في سبيل الله، وسعى في سد حاجات المحتاجين.
2. إدراك أهمية كفالة المسكين واليتيم والأسير، ببيان عظيم جزاء الله على هذا ذلك، من نضرة، وسرور في يوم القيامة.

---

1 – الشوكاني، **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، ج5، ص231.

3. إدراك بعض أشكال مجاهدة النفس وإلزامها بالطاعات، والتي ينتفع بها أفراد المجتمع تقربا لله –سبحانه وتعالى–، مثل عتق الرقاب، وإطعام الطعام.

ومن الأمثلة على هذه الآثار في آيات الوعد والوعيد ما يلي:

المثال الأول: بيان أن الأجر الكريم من الله والجنات التي تجري من تحتها الأنهار لمن أنفق في سبيل الله، وسعى في سد حاجات المحتاجين، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (10) مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ (11) يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (12)﴾ (سورة الحديد:10–12).

فتذكر الآيات المؤمنين القادرين على الإنفاق، بأن المال لله تعالى، وأن النفاق في سبيله هو موضع ندب وتقدي، فيجازي كل منفق بقدر نفقته، وبقدر حاجة المجتمع لها، ويعد الجميع بالحسنى، وفي هذا الحث على الإنفاق في سبيل الله، تحقيق للتكافل الاجتماعي في المجتمع المسلم، فيخلو من المحتاجين، والفقراء، كما يعود بالنفع على المنفقين، فالصدقة نور، سيهتدي به المتصدق يوم القيامة.

وفي حث الآيات على الإنفاق، يقول الإمام أبي حيان الأندلسي: "أَمَرَ تَعَالَى عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ بِالثَّبَاتِ عَلَى الْإِيمَانِ وَإِدَامَتِهِ، وَالنَّفَقَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى. وقَالَ الضَّحَّاكُ: نَزَلَتْ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، (مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ): أَيْ لَيْسَتْ لَكُمْ بِالْحَقِيقَةِ، وَإِنَّمَا انْتَقَلَتْ إِلَيْكُمْ مِنْ غَيْرِكُمْ، وَكَمَا وَصَلَتْ إِلَيْكُمْ تَتْرُكُونَهَا لِغَيْرِكُمْ، وَفِيهِ تَزْهِيدٌ فِيمَا بِيَدِ النَّاسِ، إِذْ مَصِيرُهُ إِلَى غَيْرِهِ، وَلَيْسَ لَهُ مِنْهُ إِلَّا مَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: (يَقُولُ ابْنُ آدَمَ: مَالِي مَالِي، وَهَلْ لَكَ مِنْ مَالِكَ إِلَّا مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ أَوْ لَبِسْتَ

فَأَبْلَيْتَ أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ)[1]. وَقِيلَ لِأَعْرَابِيٍّ: لِمَنْ هَذِهِ الْإِبِلُ؟ فَقَالَ: هِيَ لِلَّهِ تَعَالَى عِنْدِي، أَوْ يَكُونَ الْمَعْنَى: أَنَّهُ تَعَالَى أَنْشَأَ هَذِهِ الْأَمْوَالَ، فَمَتَّعَكُمْ بِهَا وَجَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ فِي التَّصَرُّفِ فِيهَا، فَأَنْتُمْ فِيهَا بِمَنْزِلَةِ الْوُكَلَاءِ، فَأَنْفِقُوا مِنْهَا فِي حُقُوقِ اللَّهِ تَعَالَى. ثُمَّ ذَكَرَ تَعَالَى مَا لِلْمُؤْمِنَ الْمُنْفِقِ مِنَ الْأَجْرِ، وَوَصَفَهَ بِالْكَرَمِ لِيَصْرَعَهُ فِي أَنْوَاعِ الثَّوَابِ"2.

والنضرة والسرور، لمن يتفهم حاجات المجتمع المسلم الذي يعيش فيه، فيطعم الطعام، بالرغم من حاجته له، كما سيتبين في المثال الثاني.

المثال الثاني: إدراك أهمية كفالة المسكين واليتيم والأسير، ببيان عظيم جزاء الله علي ذلك، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا (5) عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا (6) يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا (7) وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا (8) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا (9) إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا (10) فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا (11) وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا (12)﴾ (سورة الإنسان:5-12).

حيث تذكر الآيات أشكالاً من التكافل الاجتماعي، داخل المجتمع المؤمن، والمتمثل في كفالة وإطعام المسكين، واليتيم، والأسير، لوجه الله تعالى، وطمعاً في مرضاته، وخوفا من عذابه، وتذكر وعد الله لهم بالسرور، يوم القيامة وبالجنة متعددة النعم.

ويشرح سيد قطب –رحمه الله– كيف تصور الآيات مشاعر البر والعطف في المجتمع المسلم، فيقول: "تصور الآيات شعور البر، والعطف، والخير، ممثلا في إطعام الطعام، مع حبه بسبب الحاجة إليه، فمثل هذه القلوب لا يقال عنها: إنها تحب الطعام الذي تطعمه للضعاف

---

[1] – أخرجه مسلم في **صحيحه** كتاب الزهد والرقائق، ص730، رقم (2958).

[2] – أبو حيان الأندلسي، **البحر المحيط في التفسير**، ج10، ص101.

المحاويج على اختلاف أنواعهم، إلا أن تكون في حاجة هي إلى هذا الطعام، ولكنها تؤثر به المحاويج"[1].

ثم يبين كيف يكون التصدق نابعا من نفس مؤمنة، والتي تبتغي به وجه الله، بعيداً عن المصالح والمنافع الدنيوية، فيقول: "فهي الرحمة الفائضة من القلوب الرقيقة الرفيقة، تتجه إلى الله تطلب رضاه، ولا تبتغي بها جزاء من الخلق ولا شكرا، ولا تقصد بها استعلاء على المحتاجين ولا خيلاء، كما تتقي بها يوما عبوسا شديد العبوس، تتوقعه وتخشاه، وتتقيه بهذا الوقاء، وقد دلهم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عليه، وهو يقول: (اتق النار ولو بشق تمرة)[2]، وقد كان إطعام الطعام هكذا مباشرة، هو وسيلة التعبير عن هذه العاطفة النبيلة الكريمة، ووسيلة الإشباع لحاجات المحاويج، ولكن صور الإحسان ووسائله قد تتغير بحسب البيئات والظروف، فلا تظل في هذه الصورة البدائية المباشرة، إلا أن الذي يجب الاحتفاظ به هو حساسية القلوب، وحيوية العاطفة، والرغبة في الخير ابتغاء وجه الله، والتجرد عن البواعث الأرضية من جزاء أو شكر أو نفع من منافع الحياة"[3].

وآيات أخرى تتحدث عن أشكال من التكافل الاجتماعي، وتعد من يقوم بها بأن يكون من أصحاب الميمنة، كما في المثال الثالث.

المثال الثالث: إدراك بعض أشكال مجاهدة النفس وإلزامها بالطاعات التي ينتفع بها أفراد المجتمع تقربا لله، كما في قوله تعالى: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ (11) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ (12) فَكُّ رَقَبَةٍ (13) أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ (14) يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ (15) أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ (16) ثُمَّ

---

1 – سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج2، ص759.

2 – أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب الرقائق، باب من نوقش العذاب عذب، ص738، رقم (6540).
وأخرجه مسلم في **صحيحه**، كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة أو كلمة طيبة وأنها حجاب من النار، ص241، رقم (1016).

3 – سيد قطب، **المرجع السابق**، ج2، ص759.

كَانَ مِنَ الَّذِينَ آَمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ (17) أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ (18) وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآَيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ (19) عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةٌ (20)﴾ (سورة البلد:11-20).

حيث تمتدح الآيات المؤمنين الذين جاهدوا رغباتهم، والزموا أنفسهم بالطاعات، تقربا لله تعالى، بما يعود بالنفع على المجتمع المسلم، وتذكر أمثلة تطبيقية على هذه الطاعات، والتي يتحقق بها التكافل الاجتماعي، للمجتمع المسلم، مثل: عتق الرقاب، وإطعام الطعام، وعند ثناء الآيات على من يقوم بهذا الدور الاجتماعي الهام، تذكر طرفا من أخلاق المؤمنين، الذين صدرت عنهم، فتصفهم بالإيمان، وبالصبر، وبالحرص على صلة الأرحام، وتبشرهم بالميمنة.

ومن خلال تفسير الآيات يبين الإمام القاسمي أنواع التكافل الاجتماعي الذي تحض عليها الآيات، فيقول: "(فَكُّ رَقَبَةٍ) أي: عتقها، أو المعاونة عليه، وتخليصها من الرق، وأسر العبودية، رجوعا به إلى ما فطرت عليه من الحرية، (أَوْ إِطْعامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ) أي: مجاعة، (يَتِيماً ذا مَقْرَبَةٍ) أي: قرابة، قال السيد المرتضى: وهذا حض على تقديم ذوي النسب والقربى المحتاجين، على الأجانب في الإفضال، وقوله تعالى: (أَوْ مِسْكِيناً ذا مَتْرَبَةٍ) أي: فقر شديد لا يواريه إلا التراب، يقال: (ترب) كأنه لصق بالتراب، ويقال: (فقر مدقع)، و(فقير مدقع)، بمعنى لاصق بالدقعاء، وهي التراب"[1].

وبناءً على ما تقدم يتجلى أثر آيات الوعد والوعيد في التربية الأخلاقية على الجماعة في تحقيق التكافل الاجتماعي من خلال بيان أن الإنفاق في سبيل الله أحد أشكال الإيمان العملي الذي يعود بالنفع على المجتمع، وأن الأجر الكريم من الله والجنات التي تجري من تحتها الأنهار لمن أنفق في سبيل الله.

---

1 – القاسمي، **محاسن التأويل**، ج8، ص478 (بتصرف).

وهكذا فمن خلال استعراض آيات الوعد والوعيد التي تبين الأثر الإيجابي لتطبيق الأخلاق التربوية للذين آمنوا وعملوا الصالحات بما يعود بالنفع على الفرد وعلى المجتمع، كما نلمس ثناءً خاصاً، وبياناً لمنازل المؤمنين، الذين تحققت فيهم المعايير العالية، المعبر عنها من خلال الآيات القرآنية، في قوله تعالى:

- (الَّذِينَ آَمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ) (سورة يونس:63)
- (الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ) (سورة الزمر:18).
- (الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا) (سورة فصلت:30).
- (أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا) (سورة الأنفال:74).
- (أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ) (سورة الفتح:29).
- (التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآَمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ) (سورة التوبة:112).
- (لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَى) (سورة الرعد:18).
- (عِبَادُ الرَّحْمَنِ) (سورة الفرقان:63).
- (وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (سورة آل عمران:104).
- (الْأَبْرَارَ) (سورة الإنسان:5).

ونلمس كذلك وعدا خاصا من الله، أعده لهم بطريقة تشوقهم، من خلال الآيات القرآنية، في قوله تعالى:

- (لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ) (سورة آل عمران:15).

- (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) (سورة المائدة:119).

- (لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ) (سورة الأنفال:74).

- (وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) (سورة التوبة:72).

- (فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) (سورة التوبة:111).

- (عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ) (سورة هود:108).

- (جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ) (سورة الرعد:23).

- (الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ) (سورة الرعد:30).

- (وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ) (سورة الحج:34).

- (أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا) (سورة الفرقان:75).

- (فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (سورة السجدة:17).

- (لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ) (سورة الزمر:20).

- (تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ) (سورة فصلت:30).

- (إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ) (سورة الطور:17).

- (أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (سورة المجادلة:22).

- (فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا، وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا) (سورة الإنسان:11-12).

- (أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ) (سورة البلد:18).

الخاتمة

أولا: نتائج البحث.

ثانياً: التوصيات.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على رسوله الله –صلى الله عليه وسلم، وبعد.

فقد انتهت الباحثة من بحثها الموسوم بـ (أثر آيات الوعد والوعيد في التربية الأخلاقية) وقد تبين من خلال فصول الرسالة كيف أن آيات الوعد والوعيد في القرآن الكريم قد دعت وأثنت علي مجموعة من الأخلاق التي ترتب عليها الفوز بالجنة والنجاة من النار لفئة (الذين آمنوا وعملوا الصالحات)، وبالمقابل فإنها حذرت وأنكرت على مجموعة من الصفات للفئة التي استحقت جهنم وبئس المصير وهم (الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله).

وقد توصل البحث لمجموعة من النتائج، وخرج بمجموعة من التوصيات.

نتائج البحث

أهم نتائج البحث تتجلي فيما يأتي:

1. اهتمام آيات الوعد والوعيد بالأهداف التربوية الأخلاقية للدعوة لأخلاق الذين آمنوا وعملوا الصالحات ومنها خلق الصدق، والإحسان، والتوكل على الله، والعفاف، والتواضع، والإنفاق في سبيل الله، والعدل.
2. اهتمام آيات الوعد والوعيد بالأهداف التربوية الأخلاقية التي تحذر وتنفر من أخلاق الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله من خلال ذم بعض الأخلاق مثل: خلق الكذب، والفساد، والتبعية الجاهلية، والفحش والمنكر، والكبر، والبخل، والظلم.

3. تنوع أساليب آيات الوعد والوعيد في الدعوة لأخلاق المؤمنين لتعزيز الأخلاق التربوية الإيجابية، والتحذير من أخلاق الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله، للتخلي والابتعاد عن الأخلاق السلبية، وذلك من خلال الأساليب الأدبية، وهي: أسلوب الحوار، وأسلوب القصة، وضرب الأمثال.

4. تنوع أساليب آيات الوعد والوعيد في الدعوة لأخلاق المؤمنين لتعزيز الأخلاق التربوية الإيجابية، والتحذير من أخلاق الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله، للتخلي والابتعاد عن الأخلاق السلبية، وذلك من خلال الأساليب الإقناعية، وهي: القدوة، والأسوة الحسنة أو السيئة، والعبرة والموعظة، والترغيب والترهيب.

5. الآثار الإيجابية لآيات الوعد والوعيد في التربية الأخلاقية، على الفرد وأهمها كمال الإيمان، والوصول لأعلى الدرجات في الجنة، واكتساب محبة الله ثم محبة العباد، والسكينة والاطمئنان القلبي.

6. الآثار الإيجابية لآيات الوعد والوعيد في التربية الأخلاقية، على الجماعة وأهمها : الولاء والبراء والمودة بين أفراد المجتمع، والدعوة لدين الله بالقدوة الحسنة، وتحقيق المساواة ووحدة الصف، وتحقيق التكافل الاجتماعي.

التوصيات

أهم التوصيات التي تم التوصل لها:

أولاً: التوصيات خاصة للباحثين:

تتقدم الباحثة ببعض التوصيات للباحثين في الدراسات الإسلامية وهي:

1. التركيز على موضوع التربية الأخلاقية، والتربية الإسلامية في الدراسات الشرعية، باعتبارها أحد أشكال التطبيق العملي للقرآن الكريم، والسنة النبوية، فالقران كتاب هداية وإرشاد، جاء بالبصائر الكفيلة بإصلاح حياة الناس.

2. تبسيط المفاهيم والأفكار الشرعية، ووضعها بين يدي عامة الناس، الذين يتولون عملية تربية الجيل، من آباء ومعلمين، و خصوصا ما يتعلق منها بالأخلاق الإسلامية الأصيلة.

3. الاستفادة من التراث الفكري العظيم، في القوانين والمبادئ المنظمة للحياة العملية، في المجالات الإنسانية والاجتماعية والتربوية والتعليمية، فلا تقتصر الدراسات الشرعية وفهمها والاستفادة منها على أساتذة العلم وطلبته.

4. التوجه المكثف نحو موضوعات التربية الإسلامية الأصلية، والتفكير في أساليب تطبيقها، باعتبارها ملاذ الأمة في عصر التحديات، وعدم ترك الجيل للمنظومات التربوية الدخيلة.

ثانياً: التوصيات الخاصة بالعاملين في مجال التربية:

توصي الباحثة العاملين في مجال التربية بالسعي الجاد لتعزيز الأخلاق التربوية، لدى الأجيال المسلمة، وتقترح أن يتم ذلك من خلال:

1. إدراك الأهداف التربوية الأخلاقية المستفادة من آيات الوعد والوعيد في تعزيز خلق الصدق، الإحسان، التوكل، الحياء، التواضع، الإنفاق في سبيل الله، العدل.

2. التعرف على أهداف آيات الوعد والوعيد في التربية الأخلاقية، في التنفير من أخلاق الكافرين ومنها؛ الكذب، الفساد، الضعف، الفحش والمنكر، الكبر، البخل، الظلم.

3. التعرف على أمثلة عملية لأخلاق الذين كفروا، وخطورتها، لتجنب الوقوع فيها، والتعرف على أنواع النعيم المقدم لأهل الجنة، وأشكال العذاب التي يقاسيها أهل النار.

4. إيجاد الترابط المنطقي بين أخلاق الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وأخلاق الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ومصير كل فريق، وفهم حقيقة أن الهداية تعود بالنفع على صاحبها، والضلالة لا يضل بها صاحبها إلا نفسه، وأن تفاوت الدرجات في الآخرة هو إلا نتائج تفاوت الأعمال في الدنيا.

5. ضرب الأمثلة على أخلاق كل فريق، والتعرف على الأسباب المعينة على التحلي بأخلاق المؤمنين، والوقاية من أخلاق الكافرين، وتحليل نماذج للكفر، وأخرى للإيمان، لبيان المفارقات بين أعمال الفريقين، ومصائرهم.

6. فهم العلاقة بين فلاح العبد في الدنيا والآخرة، والتزامه بالأخلاق التربوية للمؤمنين، وتذكر أن المعيار الفاصل للتفريق بين أعمال وأخلاق المؤمنين والكافرين هو العقيدة الصحيحة.

7. البدء بتطبيق أخلاق الذين آمنوا وعملوا الصالحات، والتي سبق التعرف عليها، واجتناب أخلاق الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله، والسعي للمبادرة بالأخلاق الحسنة، فبمقدار المبادرة والتنافس للأعمال الصالحة، تكون القربى من الله تعالى يوم القيامة.

8. تطبيق أخلاق الذين آمنوا وعملوا الصالحات في الحياة العملية، مع المثابرة عليها واستشعار الصبر والأجر من الله في الدنيا والآخرة.

وأخيراً:

أسأل الله تعالى أن يوفقنا لأن نكون من "الذين آمنوا وعملوا الصالحات"، وأن يكف عنا بأس "الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله"، إنه نعم المولى ونعم النصير.

وإني أسأل الله تعالى أن يتقبل هذا العمل، وأن ينفع بهذا البحث، وأن يزدني علماً، والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.

قائمة المصادر والمراجع

المراجع باللغة العربية:

- **القرآن الكريم.**

- إبراهيم عبدالله ناصر وآخرون، **مدخل إلى التربية** (عمان: الجامعة الأردنية، ط2، 2010) ص19.

- الألباني، محمد ناصرالدين (ت1420هـ):

- **سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها** (الرياض: مكتبة المعارف، ط1، 1416هـ/ 1996م).

- **صحيح الجامع الصغير وزياداته** (د.م: المكتب الإسلامي، د.ط، د.ت).

- الأزهري، أبو منصور، محمد بن أحمد الهروي (ت370هـ)، **تهذيب اللغة**، ت: محمد عوض مرعب (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط1، 2001م).

- الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد (ت502هـ):

- **تفسير الراغب الأصفهاني**، ت: هند بنت محمد بن زاهد سردار (مكة: جامعة أم القرى، ط1، 1422هـ/2001م).

- **المفردات في غريب القرآن**، ت: صفوان عدنان الداودي (دمشق/ بيروت: دار القلم/ الدار الشامية، ط1، 1412هـ).

- الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبدالله الحسيني (ت1270هـ)، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، ت: علي عبدالباري عطية (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1415هـ).

- البخاري، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل (ت256هـ)، **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وسننه وأيامه**، ت. حسان عبدالمنان الجبالي الكرمي (الأردن- بيت الأفكار الدولية- د.ط- 2008م).

- البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء (ت510هـ)، **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، ت: عبدالرزاق المهدي (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط1، 1420هـ).

- البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر(ت885هـ)، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور** (القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، د.ط، د.ت).

- البلخي، مقاتل بن سليمان (ت150هـ)، **الوجوه والنظائر في القرآن الكريم**، ت: حاتم صالح الضامن (دبي: مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، ط1، 1427هـ/ 2006م).

- الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى (ت279هـ)، **الجامع الكبير المعروف بسنن الترمذي**، ت: بشار عواد معروف (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1، 1996م).

- ابن تيمية، أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبدالحليم الحراني (ت728هـ)، **مجموع الفتاوى**، ت: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم (المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، د.ط، 1416هـ/1995م).

- الجاحظ أبو عثمان عمر بن بحر (ت421هـ)، **تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق** (مصر: دار الصحابة للتراث، ط1، 1410هـ/1989م).

- الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف (ت816هـ)، **كتاب التعريفات**، ت: جماعة من العلماء (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1403هـ/1983م).

- ابن جزي، محمد بن أحمد بن محمد بن عبدالله الكلبي الغرناطي (ت741هـ)، **التسهيل لعلوم التنزيل**، ت: عبدالله الخالدي (بيروت: دار الأرقم بن أبي الأرقم، ط1، 1416هـ).

- ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج (ت:597هـ)، **نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر**، ت: محمد عبدالكريم كاظم الراضي (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، 1404هـ/1984م).

- الجوهري، إسماعيل بن حماد (ت393هـ)، **الصحاح**، ت: أحمد عبدالغفور عطار (بيروت: دار العلم للملايين، ط2، 1399هـ/ 1979م).

- ابن حبان، أبو حاتم، محمد بن حبان بن أحمد بن معاذ بن معبد التميمي، الدارمي، البستي (ت354هـ)، **صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان**، ت: شعيب الأرناؤوط (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط2، 1414هـ/1993م).

- ابن حنبل، أبو عبدالله أحمد بن محمد (ت241هـ)، **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، ت: شعيب الأرناؤوط وآخرون (د.ب: مؤسسة الرسالة، ط1، 1421هـ/2001م).

- أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن أثيرالدين (ت745هـ)، **البحر المحيط في التفسير**، ت: صدقي محمد جميل (بيروت: دار الفكر العربي، د.ط، 1420هـ).

- أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي السجستاني (ت275هـ)، **سنن أبي داود**، ت: محمد محي الدين عبد الحميد (بيروت: المكتبة العصرية، د.ط، د،ت).

- الرازي، فخر الدين أبو عبدالله محمد بن عمر حسين القرشي الطبرستاني (ت606هـ)، **مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير** (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ط، 1425هـ/2004م).

- رشيد رضا، محمد القلموني الحسيني (ت1354)، **تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)**، (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، 1995م).

- الزبيدي، السيد محمد مرتضى الحسيني (1205هـ)، **تاج العروس من جواهر القاموس**، ت: عبدالستار أحمد فراج (الكويت: مطبعة حكومة الكويت، د.ط، 1391هـ/ 1971م).

- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن أحمد (ت538هـ):

- **أساس البلاغة**، ت: محمد باسل عيون السود (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1419هـ/ 1998م).

- **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل** (بيروت: دار الكتاب العربي، ط3، 1407هـ).

- ابن أبي زمنين، أبو عبدالله محمد بن عبدالله الأندلسي (ت399هـ)، **رياض الجنة بتخريج أصول السنة**، ت: عبدالله بن محمد بن عبدالرحيم بن حسين البخاري (المدينة المنورة: مكتبة الغرباء الأثرية، ط1، 1415هـ).

- السخاوي ، أبو الخير شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت902هـ)، **المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة**، ت: محمد عثمان الخشت (بيروت: دار الكتاب العربي، ط1، 1405هـ/1985م).

- السعدي، عبدالرحمن بن ناصر (ت1376هـ)، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان** (الكويت: جمعية إحياء التراث الإسلامي، ط4، 1420هـ/2000م).

- أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى العمادي (ت982هـ)، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم** (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ط، د.ت).

- السفاريني، شمس الدين أبو العون محمد بن أحمد بن سالم (ت1188هـ)، **غذاء الألباب شرح منظومة الآداب** (مصر: مؤسسة قرطبة، ط2، 1414هـ/1993م).

- السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم (ت375هـ)، **بحر العلوم**، ت: علي محمد معوض وآخرون (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1413هـ/1993م).

- سيد قطب (ت1386هـ)، **في ظلال القرآن** (بيروت: مطابع الشرق، ط15، 1408هـ/1988م).

- ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسي (ت458هـ)، **المحكم والمحيط الأعظم**، ت: عبد الحميد هنداوي (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1421هـ/2000م).

- السيوطي، عبدالرحمن بن أبي بكر جلال الدين (ت911هـ)، **معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم**، ت: محمد إبراهيم عبادة (القاهرة: مكتبة الآداب، ط1، 1424هـ/2004م).

- الشعراوي، محمد متولي (ت1418هـ)، **تفسير الشعراوي- الخواطر** (مصر: مطابع أخبار اليوم، د.ط، 1997م).

- الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبدالقادر الجنكي (ت1393هـ)، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن** (بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر، د.ط، 1415هـ/1995م).

- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبدالله (ت1250هـ)، **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير** (دمشق: دار ابن كثير، ط1، 1414هـ).

- صديق خان، أبو الطيب محمد بن حسين بن علي الحسيني البخاري القنوجي (ت1307هـ):

- **عون الباري بحل أدلة البخاري** (قطر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط1، 1430هـ/ 2009م).

- **فتح البيان في مقاصد القرآن**، مراجعة: عبدالله إبراهيم الأنصاري (بيروت: المكتبة العصرية، د.ط، 1412هـ/1992م).

- الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد (ت360هـ)، **المعجم الأوسط**، ت: طارق الحسيني (القاهرة: دار الحرمين، د.ط، د.ت).

- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي (ت 310هـ): **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**- ت. عبدالله بن عبدالمحسن التركي (الرياض- دار هجر- ط1- 1422هـ/2001م).

- ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد التونسي (1393هـ): **التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)** (تونس- الدار التونسية للنشر، د.ط، 1984م).

- عبدالباقي، محمد فؤاد (ت1388هـ)، **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم** (القاهرة: دار الحديث، د.ط، 1422هـ/2001م).

- ابن عطية، أبو محمد عبدالحق بن غالب بن عبدالرحمن بن تمام الأندلسي (ت542هـ)، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ت: عبدالسلام عبدالشافي محمد (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1422هـ).

- العيني، بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد (ت855هـ)، **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، ضبطه وصححه: عبدالله محمود محمد عمر (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1421هـ/2001).

- الغزالي، أبي حامد محمد بن محمد (ت505هـ)، **إحياء علوم الدين** (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1406هـ/1986م).

- ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن زكريا القزويني (ت395هـ)، **معجم مقاييس اللغة**، ت: عبدالسلام هارون (د.ب، دار الفكر، د.ط، 1399هـ/1979م).

- الفيروزآبادي، أبو الطاهر مجد الدين محمد بن يعقوب (ت816هـ):

- **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**، ت: محمد النجار (القاهرة: لجنة إحياء التراث الإسلامي، د.ط، 1412هـ/1992م).

- **القاموس المحيط**، ت: محمد نعيم عرقسوسي (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط8، 1426هـ/2005م).

- الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقريء، **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير** (بيروت: المكتبة العلمية، د.ط، د.ت).

- القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق (ت1332هـ)، **محاسن التأويل**، ت: محمد باسل عيون السود (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1418هـ).

- القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد آبي بكر بن فرج الأنصاري الخزرجي (ت671هـ)، **الجامع لأحكام القرآن**، ج6، ت: أحمد البردوني وإبراهيم طفيش (القاهرة: دار الكتب المصرية، ط2، 1384هـ/1964م).

- ابن كثير، إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي (ت774هـ)، **تفسير القرآن العظيم**، ت: محمد حسين شمس الدين (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1419هـ).

- الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي(ت450هـ)، **تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملك**، ت: محي هلال السرحان وحسن الساعاتي (بيروت: دار النهضة، د.ط، د.ت).

- مجمع اللغة العربية، **معجم ألفاظ القرآن الكريم** (مصر: الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث، 1409هـ/1988م).

- المراغي، أحمد بن مصطفى (ت1371هـ)، **تفسير المراغي** (مصر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط1، 1365هـ/1946م).

- مسلم، أبو الحسين بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت261هـ)، **المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم**– ت. حسان عبدالمنان الجبالي الكرمي (الأردن– بيت الأفكار الدولية– د.ط– 2008م).

- المناوي، زين الدين محمد بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي القاهري (ت1031هـ)، **التوقيف على مهمات التعاريف**، ت: عبد الخالق ثروت (القاهرة: عالم الكتب، ط1، 1410هـ/1990م).

- ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت711هـ)، **لسان العرب**، ت: عبدالله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي (القاهرة: دار المعارف، د.ط، د.ت).

- الهيثمي، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان (ت807هـ)، **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، ت: حسام الدين القدسي (القاهرة: مكتبة القدسي، د.ط، 1414هـ/1994م).